العطاء الأخضر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فاروق خورشيد

أبدا يا حبى أحبك ·

مات المعنى ، والمغزى ، والحس ، والرائحة ، والرقة ، ولكنى أحبك ·· ابدا يا حبيبى أحبك ·· قهرنى الصمت والاستسلام ، وأنت جزء من آلة فى ترس عجلة دوارة ، أصحابها ليسوا منا ، وانما هم يضيعون وجودنا وغدنا ، حتى خجلت من نفسى ووجودى ، وحتى ضاع احساسى بمعنى الرجولة فى كل ما أحس وأمثل وأكون ، ولكنى يا حبيبى أحبك ·· أبدا يا حبيبى ·· أحبك ·

يزحف البناء على أرضنا المخصبة الطيبة ، وترتفع العمائر حيث ارتفعت نوارات القطن ، وسنابل الحنطة ، وحيث اهتزت زهرات البرسيم،

وتأتي الآلة تمر فوق الأرض فاذا كل شيء مساو لكل شيء ، واذا نحن معا عند الأسفلت السميك نفقد معنى اللعب ، والحرص ، والخوف واحب المتلصص الحزين ، ومع هذا يا حبيبي أحبك ٠٠ وسأظل أحبك ، حتى خلف الآلة الدوارة أحبك ، حتى خلف الآلة الهدارة أحبك ، حتى خلف الآلة الصاخبة أحبك ، فأنا يا بنت الأرض السمراء أحبك ٠٠

أبدا يا حبي أحبك ٠

ألف كلمة ساذجة أنت ، وألف كلمة ساذجة أنا ، فماذا نعرف عن زحف العلم والتكنولوجيا ومعطيات العلم والتكنولوجيا ، أنا وانت يانبت حقل البرسيم الأخضر ، لا نعرف الا أن البرسيم أخضر ، والا أن موعدنا عند حافة الترعة ، أنت تملئين زلعتك ، وانا أملأ عيني من القوام المياس ، والغصن اللدن ، والضحكة الواعدة الحلوة ؛ واننا مجرد بشر ، مجرد لمحة شباب تمر بدنيا القرية ، فنعيش ونثمر ثم نعبر ؛ لنثرى أرضنا من جديد ياحبيبي أبدا أحبك ٠٠

ألف ناي عزف قبلي لألف محبة سمراء قبلك ، ثم مضينا نجر وراءنا ألف ألف ولد يحبون كما نحب ، يحسون الحيـاء والخفر عند الحب كما نحس ، ولكن الجميزة العتيقة تجمعهم جيلا بعد جيل ، ولكن النسمات عند الغروب تنسيهم أنهم فتى وفتاة ٠٠ وأن الحب أطل عليهما ، وغطاهما ، ونسى كل شيء ويريد أن ينسى كل شيء ٠٠ الا هما ٠٠ الفتى والفتاة والترعة وشجرة الجميز ، والنسيم يعبث بالنهد النافر لا يغطيه الا الثوب الرقيق ٠٠

وبالجسد النافر لا يبعده عن اليد الممتدة الا هذه الغطاء العاجز الذي يظهر ويبين ، والشعر المضفر ، وأنت يا سيد غريب ، وتقدم لأبي قبل أن تمد يدك الى الخد الأصيل الأسمر ؛ ما أحلى الخد الأصيل الأسمر ، أما شفتاى ، فيا فتى أنا أحبك ، وأنت تحبني ، ولكننا نحب أمهاتنـا وآباءنا أكثر ، وما قالت به الأمهات وما قال به الآباء أرسخ ٠٠٠ فماذا تقول يا ابن الندى ، يا حبي ٠ وقال حبيبها :

– أبدا يا حبيبي أحبك ٠

عند بزوغ القمر أنتظر أن تهل علي ، وأنا أفترش حقل القمح وأطمئن للمعان القمر في سكون ، وأعرف انك ستأتي ، ستهرب من اسرار البيت ، والأعمام والأخوال ، ستهرب وستأتي الى وأحتضنك ، وأنسى كل الوجود في لمسات جسدك ، في رائحة العرق الحر الكريم يملأ كل أعطافك ، في همسات شفتيك ، في شمتهما ؛ في تموج شعرك ألمسه ثم أطلقه ، ثم ألمسه وأطلقه ، وهمستك يا حبي تحت شفتي وفوق جسدي ؛ وتحت وجودي الحي ، ويدك تمر فوق كل جزء في ٠٠ وتلفني رائحتك ، ونوار شبابك الغض يعرف كيف يلتصق بوجودي كله ساعتها أسمعك يا حبي وانت تقول :

– أنا أحبك ٠٠

وأنسى وجودي ، ويمور كل شيء في داخلي ، وتدور الدنيا حولي وأقول :

– يا حبيبي أبدا أحبك ٠٠

لن يغتصبني من بين ساعديك نداء جابي الضرائب ، ولا صاحب الشرطة ، ولا أبناء السخرة ، ولا محركي الدميات للجيش الموهوم ، ولا جيش هو هناك ولا ضرائب ولا شرطة ولا سخرة ٠٠ كلهم يريدون أن يأخذوا لحظة العمر وسط حقل الحنطة ٠٠

وساعداك يا حبيبي لفافتي وغطائي وأرضي لمعنى الحب ولمعنى الحياة ٠٠ كلهم أعداء هذه اللحظة يريدون انتزاعي منها كي يسوقوني الى أصحاب الغلظة ، وأصحاب السطوة ؛ وأصحاب السيف ، وأضيع بعيدا عنك يا حبي يا نواره ، يا سنبله ، يا مترع الشهد من وعاء اللبن تسخو به جاموستنا المعطاءة ، وأفقد البراءة ، وأفقد الحب والشهامة ، وأفقد معنى أن أكون عطرا وحبا وغناء ونايا ، وحلما كريما تضمينه يا حبي بين أعطافك ٠٠

وحين أعود ·

ياتعس الوجود حين أعود ، شاخت شجرة الجميز ، واهتز القمر ، وذبلت زهرات البرسيم ، ويداك امتلأتا بالعروق ، وأنا بين وجودك مجرد شيء يعطي الحياة ويمضي ، حتى عطرك نسيته ، حتى ضمة الشفتين ضاعت ، حتى ابنك مني ،

يا حبي ·· لم تعد الجميزة لنا ، بل لم تعد الجميزة تهتز فروعها مع الريح ·· شيء آخر مكانها ، من طوب وأسمنت ، وعربات تقف ، وأبواق تعوي؛ والبناء عال أصم ··· ومكان الخضرة أسفلت ، وسور بسجن الترعة ·· وأين أنت يا حبيبي ··

وأقف ذاهلا ، وأسأل نفسي أين حبيبي ، ولكن أعرف انني غريب ، ضربة يد الصول فوق عنقي تقول انني غريب ،هزتي أمام العريف ، وارتعاشي أمام الرائد في الطابور تقول انني غريب ونحن نساق في العرض الكبير ، وكل منا يشد نفسه كما لم يشدها من قبل ، ثم نخرج من العربة السوداء المصفحة وكل منا يحمل عصا ودرعا ،

ولم نستعمل الدرع قط ، فلم يهاجمنا أحد ، لا بالطوب ، ولا بالعصى ، فقط نحن نركب العربات المصفحة ، ونجرى بها في أروقة وارفة ، ثم نقف ، ثم ننزل حين يقول الضابط ونجرى ، ونقف ، ونرفع العصى والتروس ، ثم نقف ، ثم نعود الى العربات من جديد ·· لم يعد أحد أبدا يرمينا بشيء ، فقدوا حتى القدرة على رمينا بشيء ، فقدوا حتى معنى التحدي الذي نحمل له العصى والدروع ··

ولكني حين أعود اليك ، لا أجدك ··

الخضرة تتحول الى عصى ودروع ··

وهمسات الليل ، تؤرقها صراخ الضابط الشاب الحديث ، وأزيز السيارة ، واننا نركب من جديد ولا أجدك ··

لا أجد سلامي بين عطرك وأنفاسك وجسدك البكر ، هل مازال جسدك بكرا ؟

وتهدر السيارة ، وتصرخ السارينة ، والعمائر تتعالى تشق بكارة الأرض ، وتنتهك براءتها ، لتدوسها الأقدام ، وتدقها السنابك ، وتمر فوقها السيارات ويغطيها الأسفلت وتتجمع فوقها الطوابير بحثا عن رغيف خبز وانتظارا لنصيب في بطاقة ، وتمور بأصوات الشحاذين وهدير أجهزة الراديو والتليفزيون وأزيز الطائرات ·

ولكني أبدا يا حبيبي أحبك ··

وأعود ·· ذات يوم سأعود بحثا عن الجميزة ·· وحافة الترعة ، ورائحة زهر البرسيم ، عسى أن أجد صدى لحلمي ، فلم يبق شيء قريبا الا الحلم ·· من ذكرى قديمة ·· من الطهارة والعطاء والخصب ·

انني يا حبيبي أبدا أحبك ··

- ٢ -

يا حزني عليك يا عويس ··

ذوت أغصان عويس ، وتهاوت الى حافة الترعة عجفاء ميتة ، حين امتد المنشار يجز جذع شجرة الجميز فيقتلها من أساسها ، فتهاوت وترنحت ، ثم ماتت ·· وثوت مجرد قطعة خشب الى جوار الترعة تمر بها المياه فتمسها ولا تحييها ، بل هي حين تمسها تزيد موتها موتا من جديد ·· اذ يعلوها العفن المترسب ، وتهترىء مكوناتها طبقة طبقة فتشف وتهترىء ، وتنشف وتهترىء والماء يمر ، وندف العفن تتكون ثم يتحول الكل الى صدأ مخيف ، ما ان تأتي موجة حتى تجرفه في صدر الماء المتحرك داخل الترعة ، وما ان تلعب بها يد صبي حتى تفتت مزقا مزقا ، وتمضي الى التراب ·· من التراب كانت والى التراب تعود ··

يا حزني عليك يا عويس ··

خرير ماء الترعة همسك ، همسات النسيم وسط أغصان الجميزة كلماتك ، ندى الفجر فوق حبات العنب في التكعيبة القبلية دموع تلمع فوق وجناتك المشرقة بكل المعاني التي أفهمها والتي لم أفهمها ·· ثم تنضم قبضتك فوق ذراعي فأحس أنني موجودة وانني انسانة ، وانني يا عويس عاشقة ··

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يا حزنى عليك يا عويس ..

والعيب فى قريتنا يا عويس أن تكون العذراء عاشـقة ، ولكننى يا عويس عاشـقة ، أنتظر همسك ، صوتك ، كلماتك ؛ رائحتك ؛ قسـوة أصابعك ، دفء صدرك ، عطر أنفاسك ، وانحنى يا عويس ، لا أعرف أين أنا ولا من أنا ، وأنت تضمنى الى صـدرك ، فيحتك نهداى النافران بنبض قلبك ، ويصرخ وجودى المستنيم يثيره وجودك الحى المتوفز ، وأضيع بين ذراعيك ، وتحوطنا روائح أزهار البرسيم ، وترف حولنا سنابل الحنطة .. وتختفى بكل وجودنا تحت أعواد القصب ، وتقول أحبك وأخجل ، ولا أرد عليك ، لا أعرف الكلمات ؛ ولكنى يا عويس أسليك . أعطيك وجودى كله ..

يا حزنى عليك يا عويس ..

كان عويس يكره المدينة ؛ لا يحب العمائر العالية ، ولا البيوت الأسمنتية ، ذات الجراجات والعربات الغريبة الملونة ، التى تنفث الدخان تقهر به رائحة الياسمين والفل وزهرات البرسيم فى حقلنا عند حافة الترعة .. وحين جاء البناؤون الى حافة الترعة هرب ، وساخت قدماه فى الطين فتمايل ووقع ، وذهبت الملمه وسـط الطين الطرى ، وندى الفجر يتسـاقط حـول جبهته وجبهتى ، ويميل شعرى فيلصقه فى مفرقى ، ورفع عويس الى وجهى عينه الحزينة وقال :

ـ ضاع الطين يا صابحة ، ضاع الطين ..

ولم أفهمه .. وقلت له وأنا أزيل عن جبهته ووجهه ، وجسده كله ما عليه من طين طرى ..

ـ لم يضع الطين يا عويس ، الطين باق كما هو ، الطين هو الطين يا عويس .. ثم لماذا تريد الطين .. آلم تشبع منه يا عويس ..

ضحك عويس ضحكة خافته وهو يقول :

ـ بل الطين ضاع يا صابحة والطين ضاع .. ولم أفهمه ، نظرت الى عينيه ، فاذا فيهما نظرة تائهة لا ترانى ، وانما تنظر الى أمام فى ثبات واصرار . وقلت له :

ـ يا عويس مالك والطـين ، أنت ذاهب الى العاصمة ستصبح جنديا وسأنتظرك حتى تعود..

عـوى عويس وصرخ .. وظل يعوى ويصرخ حتى خرج ولم يعد ..

يا حزنى عليك يا عويس ..

ذات صباح خرج عويس من دنياى كلها وذهب الى المدينة .. وحسنا فعل .. فبعد أن ذهب ، أقبلت شاحنات ، وآلات واقبل ناس كثيرون ، رصـفوا الطريق المؤدى الى الترعة ، وملأوا بالأسفلت كل شيء ؛ ثم أقاموا العمائر ، ودوى هدير آلات غريبة حولنا ، وحول كل شيء .. واختفى كل شيء أخضر ، لم يعد وجه الأرض الصابحة مكشوفا ، لم تعد الأرض صـابحة اغتصبتها الآله ، ودكت فيها أعمدة رهيبة تشق بطنها شقا ، ومن بطنها تخرج العمائر العـاليه تحجب وجه الشمس ، وتحوطنا ؛ وتضغط على وجودنا ، وتخنقنا ؛ وتسجننا فى سجنها الضيق الكئيب ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وارتفعت أصوات غريبة من المدينة بموسيقى صـاخبة ، وارتدت البنات البنطلونات وقفز الرجال من العربات الى العمائر ، ومن العمائر الى العربات ، ووضع اللحم فى الكهرباء فاذا هـو محنط جامد ، ثم اذا هو محنط مطبوخ لا طعم له ولا طزاجة فيه .. وامتدت الطوابير من أول الحوانيت الى آخر الشارع تغطى الأسفلت القاتم الأزرق الأسود ، اللامع الداكن .. وأصـوات المياه تصرخ فى أنابيب دورات المياه المتعطلة دائما والتى تلطخ وجه العمائر بالبقع الناشـعة ببقايا الطلاء والملح والماء .. وعربات خشـبية تجرها حمير صغيرة متعبة وتلطشـها أوسـاخ عشرات البيوت ، تحملهـا مكومة بعضها فـوق بعض ، ترسل حولها روائح العفن وتحط فوقها أسراب الذباب وبقايا علب ملونة ، من كل لون احتوت

سمكا ولحما وفاكهة وخضروات وعصائر ، كل شيء فى علب ملونة ، علب من الصفيح وعلب من الورق وعلب من البلاستيك من كل حجم وكل لون ، ولكنها كلها علب كتلك العلب الأسمنتية الضخمة التى تضم هؤلاء البشر الجدد الوافدين على أرضنا التى صنعوا منها العلب ٠٠٠

يا حزنى عليك يا عويس ٠٠

رأيته حين جاء مع من جاءوا ذات صباح ، داخل علبة كبيرة تطبق جدرانها الصماء عليه هو والرجال ٠٠ ونزل مع الرجال ، لم يكن يبدو واضحا ٠٠ واحد عليه خوذة وفى يده عصا وفى اليد الأخرى ترس ، يقف فى طابور وأمامه شاب صغير ، يصيح ، فيتحركوا جميعا ومعهم عويس ، ويصيح ، فيسكتون جميعا ومعهم عويس ، ويصيح فيجرون جميعا ومعهم عويس ٠٠ ويصيح مرة أخيرة ، فيقفون جميعا صفا واحدا فى صمت واستكانة ومعهم عويس ٠٠

يا حزنى عليك يا عويس ٠٠

العصا الطويلة فى يد ، والدرع فى اليد الأخرى ٠٠ لمن العصا والدرع يا عويس ؟ أتذكر يا عويس ؟ قتلته الهجانة من فوق الهجين وهو راجل يجرى ويدافع عن نفسه ، ولكنهم أدركوه بهجينهم السريعة ، وكرابيجهم القاتلة ، ومات يس يا عويس ، وظلت بهية تبكيه الى اليوم ٠٠ وأنا وانت سمعنا حكايات دموع بهية ، وبكائها الذى لا ينتهى أبدا ليلا أو نهارا ، ومنذ قتل الهجانة يس وحتى اليوم لا أحد يذكر متى ماتت بهية ، ولكنها ما زالت تبكى حتى اليوم ، حبيبها الذى قتله الهجانة يا عويس ٠٠ يا حزنى عليك يا عويس ٠٠

كان أبى يشد الجوزة ، ثم ينفث بدخان كثيف من فتحتى أنفه ومن فمه ، ويسعل ، ويشد الجوزة من جديد ، وسط الدخان الأزرق الداكن كان يهمس وسط سعاله قائلا :

ـ هذا الطريق كله من عند الترعة وحتى الزراعية كان فى عصارى أيام الربيع يبدو طبقا من الذهب المرصع باللؤلؤ ٠٠ تتساقط أزهار دقن الباشا ، ذهبية بيضاء يتفتح عنها جراب من الخشف الناشف كأنه الخشب ويسقط هو أيضا الى الأرض ، رماديا غامقا مفتوح الجانبين ، ومن بين أغصان الشجر السامق تتسلل أشعة شمس العصارى ، ذهبية لامعة ، وحين نسير فى الطريق نحس أن الله فرش أرضنا بالذهب واللؤلؤ وعطر طريقنا برياحين الجنة ٠٠

ويتنهد ويسعل ويبصق فى ضيق ، ويهمس وكأنما يخاف ان يسمعه أحد :

ـ قطعوا الشجر ، ورصفوا الطريق بالأسفلت وغابت الشمس وراء جدران العمارات العالية ٠٠ ثم ينفث دخانا أزرق من فتحتى أنفه ، وفمه ، ويعود يمتص جوزة المعسل من جديد ٠٠

يا حزنى عليك يا عويس ٠٠

أمى قالت وهى تسوى طرحتها السوداء الباهته فوق شعرها الأبيض :

ـ لن تتزوجا الآن ؛ حتى ينهى الخدمة ٠٠ ومن يعرف ٠٠

همست فى خوف :

ـ بل سنتزوج يا أمى ٠٠

قالت وفى صوتها المشروخ رنة حزن رقدت هناك منذ آلاف السنين ٠٠

ـ الأيام تمر ، والعود يجف ، والأرض السمراء تدفن تحت الأسفلت ، ولم تعد تعطى عطاءها الأخضر ٠٠

أطرقت وصمت وهتف شىء فى أعماقى :

ـ ويا حزنى عليك يا عويس ٠٠

ـ ٣ ـ

يا طالع الشجرة ٠
هات لى معاك بقرة ٠
تحلب وتسقينى ٠
بالمعلقة الصينى ٠

فاروق خورشيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تجربة .. فى مختبر الرازى

محمد عادل سليمان

لاتقولوا .. الماء فى قاع الزجاجة ..
سيدى الرازى يرى فى الماءِ بعضاً من عظام ..
لبقايا آدميين استقرت فهقةُ الموت على
أفواههم ..
إلا بقايا حشرجةْ

* * *

سيدى الرازى يرى قنينة الماء ..
و « هولاكو » على زورقه يختال فى نهر
العسل
– سيدى الرازى .. تكلم
قال لى ..
– لاتتألم ..
وانتظر حتى تتم التجربه

* * *

كان .. هولاكو .. على زورقه فى النهر
يختال ..
وفى قبضته القضبانُ ..

والليل على .. بغداد .. مشدود الرتاج
دق باب المختبر
سيدى الرازى وقف ..
صرخ الرازى .. ارتجف ..
– امنعوه ..
امنعوا الأحمَق ..
سدوا المختبر ..
إننى أعرفــهُ ..
إنه يقترب الآن .. امنعوهُ
إنه يحرق حتى العوسجــةْ ..
إنه يغتال حتى الحشرجه
امنعــوهُ ..
واحذروا الريح التى فى كفه ..
واحذروا الوعد الذى فى حلقه ..
إن نــارا خلفه محتجبه

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان .. هولاكو .. يصبّ النار .. فى قنينة
الماء المندّى بالصديد ..
يتحرّى أن يجف الماء من قاع الزجاجة ..
والبقايا من عظام الآدميين .. البقايا .
تحترق ..
وهو فى زورقه فى النهر يختال .. يقهقه ..
أنا .. هولاكو .. العظيم ..
أطفىءُ النار بما أملك من سحرٍ ..
يفور الماء بالنار ..
فيطفو الماء – بالكيمياء – من قاع الزجاجة
أنا .. هولاكو .. العظيم ..
تعرفين الآن يا .. بغداد .. وجه التترىّ ..
النارَ .. والرعبَ .. وأسرابَ الجراد ..
كيف هدَّمْنا الحضاراتِ ..
وأغرقنا الثقافاتِ ..
وحرَّقنا البقايا ..
ثم خلَّفنا السرماد

* * *

انظــروا ..
لم هذا الماء فى قاع الزجاجة ؟
مدّ .. هولاكو .. يديهْ ..
مزج الماء المندّى .. باللهب ..
كلما فارت من النار فقاقيع الغضب ..
كلما أوشك ماء القاع أن ينضب فى بئر
الجفاف ..
صبّ من إبريقه الأسود فى قاع الزجاجة ..
يهدأ الماء الزعاف ..
وهو يبدى .. ويعيد التجربه

* * *

– سيدى الرازى .. تكلم
قال لى ..
– لاتتألَّم ..
وانتظر حتّى تتم التجربه
– لم تعُدْ – ياسيدى – لى طاقة حتى تتم
التجربه
سيدى الرازى ابتسم ..
فى هدوء الحكماء
إنه يعلم سرّ .. الكيمياء ..
وهو يومى لى ..
– سيأتى بعد .. هولاكو .. الذى يختال ..
جنكيز خان .. فى وجهٍ جديد ..
طالما أنتم تهابون الحديد ..
وتمَصُّون الوعيــد ..
فالمغولىُّ الذى يزحل يأتى بمغولىٍّ جديد ..
ليعيد التجربه

* * *

– سيدى الرازى تكلم .. وصرخْت ..
جفّ ماء البئر فى قاع الزجاج ..

نار .. هولاكو .. على .. بغداد .. ليل ..
وسياج ..
فتكلّمْ سيدى الرازى .. تكلّمْ !
وأشار الشيخ للماء .. وكان الماء يغلى ..
انضغط الماءُ .. تمدّدْ ..
ملأ الافق ..
تمرّدْ ..
صعد الماء .. وفارا ..
أصبح الماء بخارا ..
حطم الجدران فى ثورته المنتصره ..
خرج الموتى .. بقايا الآدميين .. قُوًى
مقتدرة ..
حين أحيا كل ميْت قدره

* * *

كان فى الموتى .. قُطُزْ .. ..
كان .. بيبرس .. يعانى من صديد الماء فى
قاع الزجاجه
عرف .. الكيمياء .. بيبرس فصاغ التجربه

* * *

– سيدى الرازى .. تكلم
قال لى ..
– هل تتعلمْ ؟
دعْك من هذا اللّجاجْ ..
أنت فى وهْمِ الزجاجْ ..
سجْنُك الخوف .. وليل الرَّهبُوتْ ..
أنت فيه – كل يوم واجف القلب –
تموت

* * *

إن يقولوا .. نحن نَجتاز المضيق المنحنى
الموغل فى ليلِ العذابْ ..
أو يقولوا .. نحن نجتاز من القاع إلى نهر
العسل ..
لاتُصدِّق ..
أنت تجتاز من القحط إلى القحطِ ..
من الزَّيفِ إلى الزَّيفِ ..
من الوعد إلى وهم السرابْ ..
أنت مخنوق الأمل

* * *

إن يقولوا .. نحن فى القاع سنجتاز العُنُقْ ..
لا تُصدِّقْ ..
فالذى فى نار « هولاكو » احترق ..
ليس فى دنياه قاعٌ .. أو عنق ..
فتعلَّمْ كيف تحيا التجربه

* * *

وجسست النبض فى كفيه .. قبّلتُ
اليدين ..
كان سر الله فيه بين .. بين !

القاهرة : محمد عادل سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الكلام المباح

سناء البيسي

ولما كانت الليلة السابعة بعد العشرين اتخذ صاحبنا وجهته الى مكانها فى شارع اللهو الذى تطل عليه أهرامات الفراعنة ، وتماما مثلما حدث فى الليالى السابقة تطيب وتعطر وأغلظ من أوراق المحفظة ، وربت عليها فى جيب حلة السهرة الغامقة مع الحذاء « الفرنيه » اللامع ، وامتطى الخنزيرة (أى السيارة المرسيدس) بعد ملأها بالشلة التى يغدق عليها ، فيناديه أفرادها . يا بيه ، ويا باشا ، ويا زين الرجال .

يوسع له مكان الصدارة فيتهادى منفوشا مختالا ، مرموقا ، منتشيا ، باسم الأسارير ، على الترابيزة الأمامية المحجوزة سلفا ، ينتظر ظهورها بلا صبر على أحر من لهيب الجمر .
الراقصة اللولبية المليحة الوجه المدورة البدن التى تظهر على خشبة الهز ، كأنها حورية تحيط بها صاجاتها كالنجوم ، وهى بينهن كالقمر اذا انجلى عنه الغيم . تدب بقدمها الحافية ، وتتثنى بلحمها الأبيض ، وترجف ذراعها الغضة لتدق بها الصاجات ، فيقوم ناس ، ويقعد ناس ، تتصاعد أبخرة الزجاجات المغشوشة الى طاسة دماغة ، فيزيد من حجم النقطة ، ويفصح بصوت عال عن مكنون فؤاده ، لتسمع وتلين من استولت على هواه ، وجعلته ينسى النفس والعيال ..

صناعته جزار . يفهم ، أبا عن جد ، كيف ينزع اللحم من العظم ، ويجنب الكندوز عن البتلو والضأن ، ويقدر أثمانها التى ارتفعت فى الأسواق لتغدو فى مقام معدن الذهب البراق .

عندما رآها لأول مرة قال ان هذه البنية ليست بها عظام ، وكان أن نظرت اليه نظرة أورثته ألف حسرة ، وأوقدت بقلبه كل جمرة ، فصار ملهاها مقصده ، وأقسم أن يفوز بوصالها ، ويتملى وحده بحسنها وجمالها .

فى تلك الليلة ، وكانت قد رمقته بطرف عينها ، وقدرت ما دفع لأجل بهائها ، أقبلت عليه بعد أن فرغت من نمرتها ، فنهض قائما على قدميه ، وعانق كفها ، وأجلسها بجانبه ، ونظر اليها عن قرب ، فاذا هى كالبدر ، حسنة الأوصاف لينة الأعطاف ، بهية المنظر ، رشيقة القد ، أسيلة الخد ، زاهية الوجنات ، فدعاها الى نزهة فى الخنزيرة ، فركبت بجواره ، فما كان منه الا أن داس البنزين بقدمه ، فهدم بيوت النمل ، وتصاعد الغبار خلفه فغطى كل شىء .

فى سكة الأجداد والبدر فى تمامه ، قال لها :

ان نابليون كسر مناخير أبا الهول ، وأنت نابليون . أنا وقعت ، فى قلبى محبتك ، فقولى لى حكايتك ، من يوم ولدتك أمك ، فانك صرت عندى أعز من روحى وأهلى . قالت له :

ــ حكايتى عجب ، تكتب بماء الذهب ، سطرها القدر ، وهى عبرة لمن اعتبر ، وذكرت له ما حصل من المبتدأ حتى المنتهى ، وكيف أنها بنت ناس وأصول . لكننى فقدت أمى وأبى ، وتزوجت أختى ، وسافر أخى ، وغدوت أنا الوحيدة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فبكيت على روحى ، وصبرت على جور الزمان الذى رمانى فى المر ، فاشتغلت لأجل لقمة العيش حيث وجدتنى ، والآن حبك هو سندى الوحيد

فلما سمع حكايتها قال :

ـ حبا وكرامة لكن لى طلب واحد . فقالت تأمر فتطاع ·

قال :

ـ تهجرين الرقص ·

وهنا فطرت عيناها بالدموع ، وقالت :

هذا مرادى وأملى · تخلص لى · أظل مخلصة لك ·

وأنشدت :

اذا صفا لك من زمانك واحد
فهو المراد وعش بذاك الواحد

هذا ما كان من أمر الجزار والراقصة ، أما ما كان من أمر زوجته وعياله ، فانهم لما ترامى الى أسماعهم أن المعلم أصبحت له شقة فى وسط البلد ، ينعم فيها بزوجة لها ماض ، ذهبوا اليه فى العنوان الذى هداهم اليه أولاد الحلال ، فطردهم شر طردة ، ورمى خلفهم بيمين الطلاق ·

الحلوة كلامها لين من ريش النعام ، وطعامها لحمة طازة من الدكان ، ودولابها متخم بالثوب الهفهاف المقفول ، والعارى الأكتاف ، الملون ، والمنقوش ، والمخرم ، فى مشيها رقص ، ويفوح من بدنها وشعرها عطر ، وكان صاحبنا يوسوس له الشيطان ، فيقوم فى الحال ، يترك دكانه أثناء النهار ، ليفاجئها بادارته للمفتاح فى قفل الباب ، فتلاقيه مرحة تنشد فى غبطة الأشعار :

لو علمنا قدومكم لفرشنا مهجة القلب ، مع سواد العيون ، ووضعنا خدودنا للقاكم ، وجعلنا المسير فوق الجفون ·

ولكن من المحال أن يدوم الحال ، فقد بدت يوما كما لو كانت غاضبة ، ولما هم بسؤالها أدارت ظهرها ، وتكرر هذا منه ومنها ، فسألها مرة ومرة ، فاقبلت ، ثم أدبرت ، ثم عادت تقول : خايفة يا نور العين ، خايفة من الزمن الغدار · انت أخرجتنى الى بر السلام ، ولا يرضيك ، ألف ألف بعد الشر عليك ، أن أعود بعدك الى سكة الندامة · أمن لى مستقبلى لأظل من بعدك مستورة · افتح لى بوتيك باسمى أقف فيه أبيع وأشترى ، فالتجارة حلال ، وأنت سيد الرجال ·

كلامها جعله يفكر ساعة ، ويشرد ساعة ، لكنها لم تتركه ، وهجمت عليه بكل طائراتها ودباباتها ، تستميله ، وتستعطفه ، فقل : والله لأعمل عملا ما سبقنى اليه أحد من الرجال ·

ولم تمض الشهور حتى كان حفل قص الشريط لافتتاح البوتيك الذى أبوابه من الألونيوم الألوميتال ، وهواؤه لطيف بأجهزة التكييف ، ورفوفه ونوافذه مكدسة بكل ما هو متاح ، من بضائع الانفتاح ·

ونشرت الصحف والمجلات خبر أن عددا كبيرا من النجوم قد حضر الحفل ، الى جانب أكابر القوم ، وصور التليفزيون ، وصرخت موسيقى الاعلان ، وعلى وقعها تغنت باقة من الحسان ، وكان أن لاحظ المشاهد الفقرة التى رددها مؤلفها وجاهد · تلك التى يذكر فيها أن هناك فروعا جديدة للبوتيك فى الطريق ، ستضم على طول الوادى ، كل ما هو جديد غير عادى ·

وللعجب ، حصل العجب ، أن جزارا أفلس فى البلد · الثلاجة العمرانة فرغت من الذبائح ، ورصيد البنوك الجامد والمتحرك تبخر على دفعات ، عندما كانت تذرف الحلوة العبرات وتزفر بالآهات ، وأراد صاحبنا أن ينام فلم يجئه نوم ، ولم يزل على هذه الحال شهرا ، حتى قوى عليه الضعف والوهن ، ثم زاد به المرض ، ولم يمكث غير خمسين يوما ، صار بعدها من أهل الآخرة ، فجهزته ووارته التراب ، والبوتيك الآن تجلس فيه ذات الخصر النحيل ، ترطن بالفرنسية ، وتقيم الزبون من تحت رموشها الصناعية ، مع كل قانون ينزل من فوق تحتال · اذا تطلب الأمر أن يرتفع صوت الوطنية سارعت بقطع ماركة البلاد الأفرنجية تستبدلها بماركة الصناعة المحلية ·· وفى زمن آخر تقول للزبونة أن الغالى ثمنه فيه ، وأن البضاعة ممهورة بماركات عالمية ، لتصبحى أنيقة على الطريقة الباريسية !

القاهرة : سناء البيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا وأسيرى السلطان

أحمد كمال زكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ١ -

منذ اليوم الأوّل من عام البيْعه
– كنا جُزنا الباب المنتصب على كتف
البستان –
قُطعت كفّاىْ
قالوا : شاهَدكَ حصيفٌ عدْل صادق
تتحسّسُ أوراق الورد
من دون رفاقِك
وتهمّ بِحضْبِ الكلب
القابع فِى الظلّ الممتدّ
ثم تخالس إصبعُكَ العصفور
حين اتكأ على دفء الراحه ..
لا تُنكرْ
حتّى لاتُتهم بأنك مارق
لا تعرفُ أنَّ التقوى رأسُ الحكمه
وبأنّ استحقاقك للحدّ المشروع يجُبُّ
التهمه
علمًا أنَّ الوردةَ والعصفورَ وكلبَ حراستنا
القابع فى الظل
– فيما يثبته الشَّرْعُ – هديّه
من شعب بارّ لأَبيه السلطان !

- ٢ -

فِى اليوم الثانى حوصرتُ على كُرْهٍ منّىّ
بين شروع فِى شكوَى
وهتاف يكشف عن سوء القصْد
وسكتُّ – كما قالوا – فِى نفسِ الوقت عن
المخبول القائل :
لِثلاثٌ يجلين البصرَ : الخضرةُ والعينُ
الجارية وطلعةُ
حسناء تجىءُ بلاوعْد
ولقد ورد بمختصرِ مقاصد علم الإنصاف
أنْ يُبّرِىءَ من بالحقّ اعترفَ . . .

وأنت نفيْتَ الواقعةَ أساسا وتُزوِّقْ
نفيك بكلام أثقل حينًا بالغمْز
وخُفِّف حينا آخر باللمز
وبرغمِ الإجماعِ على أنّ عثار الرَّجُلِ لسانُه
تُفقَأُ عيناك
إنّا نخشى أن تحتاج إلى أن تمثُل فِي
يوم آخر بِلسان

- ٣ -

فِي اليوم الثالث كنتُ - على رغمي -
أصدع للأمر
مجبورٌ أنا في كلِّ الحالات
حتّى لو طفحتْ من صدرِي الآهات
بالماء الآسِن
والطينْ
وإذن أُسْلِمُ للسكين لسانِي الثرثار
مادُمْتُ أُقرِّرُ أن المرء يميل إلى حيث يميل
الدينار
بل قد يرقص للقرْد إذا أقبل أو أدبر
أو غنّى
أو أفتى
أو نظر إلى المرآة وصاح بإعجابْ :
ماأجمل هذا القمر الطالع !
إني لأسأل عن ميزان العدل
سُرِق الميزان !

- ٤ -

فِي اليوم الرابع قالوا :
يتشاءم مولانا من أصحاب العاهات
تزعجه صورتُهم فِي فرش العشق
ومرور الذكرى بين النهد المتجرد والشّوق
حتّى يندى بالعيّ
وتموت على شفتيه كلْماتُ الحبّ
ماأقسى قلبكْ !
- ذكروا فِي صفحة تجريمي العُمْيَ البُكْم
ومسائل أخرى لم أفهمْ حتّى الآن
ماصلةُ العاهات بها
وبحالات السلطان الخاصه -
بل ما أجرأك على أهل الجنّه !
فاهبط للُجبّ
فِي حدٍّ قدرناه ليطويكَ النسيان

- ٥ -

فِي اليوم الخامس فتحوا الباب عليّ وقالوا :
مازلْتَ تشاكسُ كالجُرْحِ النازف
وتُنغِّص فِي الليل النوّامَ ...
يهبُّون على مثْلِ الزلزالِ
أو الرعد القاصف
أم تحسب أنك عصفورٌ رفَّ يُنقِّرْ
فِي ثغْرِ حبيبته السّكرى بالشوق الجارف!

لاتخطىءُ فهم التُهمه
هذى المرة تركل مابسط. الله وأقطعه السلطان
وإذن نحكمُ – وقد لُقِّنا الحجة – بالظاهر.
والباطنُ يتولاَّه العلامُ القادرْ
أن تُبتر قدماك جزاء الكفرانْ

- ٦ -

فى اليوم السادس وقف الرجلُ القادمُ من
قلب البستان
قرأ الفاتحة وأطرق
ثم تطاول يصرخ دوّامة إعصار أو قوس قُزحْ :
أن نسمع عمن ينفث بالشعر السِّحْرَ ...
وينسج فى الأضلع أحلام فرحْ
بالعشق الأولْ
والعشقِ الثانى من أجل العشق العشرين
فهو الأمر المفروض المدروسْ
لكن أن يأتىَ من يلغط بالشعرِ ...
ويهدر بالكلمات الواعدة بمالايَعدُ
فأمرٌ يجعل مضمون الشعر سفاهة مهووسْ
وجزاء المهووس – لدينا – صكُّ الأذنين
ثم ...
ثم نقرر من هذِى الساعة أن الشعر
على الحالَيْن
رجس من عمل الشيطان

- ٧ -

فى اليوم السابع
أبصرتُ الدنيا من حولى تفلتُ وتطيرْ
وسمعتُ حفيف جناحيْها فى كلّ الآفاق
فجريْتُ أشدُّ إلىّ الصَّخْر
لكنىِ حين شرعْتُ أمدُّ ذراعى ولسانى
والقدمَ إليها
لم ألق بقاياىَ
ولاحتَّى القدرة أن أسند ظِلى
لجدارِ الراحة والصمت
مِلتُ لأنهض
آخذُ شيئا من تلك الأشياء الملساء
والأشياء الأخرى الصخريه
مِلتُ ...
ومِلتُ فصرتُ كأنى أغرقُ تحت الدرجات
الشمعيه
حتى لم يفصِلْ بين الموت وبينى إلا بقعةُ
ضــوء
وصوتٌ أجــوفْ
أدهشنى أن ألمح فيه السلطان يردِّدْ :
لانومْ
محظورٌ منذ الساعة أن تُسْلمَ عَينَيْك لِنومْ !
لكنى نمت
أوحلمت بأنى آسِرُ هذا السلطان !

احمد كمال زكى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العشـــاء الأخيــر

كمـال عـمار

مايحدث ليس حقيقيًا .. صدِّقنى !
لايأُخذك الوهمُ وتستحوذْك الصور
اللامرئيّة
مايحدث لا أكثر مِن عاصفة معديّة
نسقط. فيها حين نبالغ فى ملء
حواشيها ثم ننامْ !
مأبشعها من أحلام تفترس الأَحلام
يلبس فيها الذئب ثياب الأَطفال
الحسنى الحسنية
والأَفعى تسعى فى هيئة « جان دراك »
رحم الله الفاتك « تيمور لنك »
وتجاوز عمّا فعلته بلطتُه الذهبيةَ
لو كان يغادر ذاكرة الأَيام
يحيى ثانية لاستحْيى من جرأته
الأسطورية

وهو يراها تتضاءل قامتُها ..تتخاذل
قدماها .. فى حضرة زمنٍ
مجترِىء مقدام !
يرميك ويضحك !
يعطيك الحرية ـ كل الحرية : أن
تتخيّر مايحلو لك
السم ، الغاز ، السيف ، الخنق ،
الشنق ، الطلق النارىّ المندفع بلاصوت
أل .. أل .. أل .. كل الطرق
تؤدى للموت
مادمت تجاسرت وأظهرت هويّة
عزٌ عليها أن تحنى كتفيها للأختام
ولِعُرْف مادّته الأُولى تقسيم
العمل فللّه الإيجاد ولهم الإعدام !
. . . .

حذّرتك ...

حذّرتك ...

حذّرتك !

حذّرتك أن تأكل وتنام !

وإذا كان .. فلا أكثر مِن

ربع رغيفٍ ، قطعة جبنٍ ،

.. بعض اللبن الدافىء .. فتُواتيك

الأحلام الورديّة !

قل لى .. :

مُنذُ وماذا دخل طعامٌ جَوْفَكْ ؟

– أقسم لك

وبحرمة صلواتى الخمس

لم يدخل جوفى إلاَّ خوفى

القاهرة : كمال عمار

ثلاث قصائد

محمد يوسف

١ انفجار

حجرٌ

فى افتتاح الغناء ،

– كيف يحتقن الحلمُ فِى شفتيكَ

ولا تنطقُ ؟

(العشق موتٌ)

ولكننى كنتُ أنأى عن الحلم

بالموت فِى مدن الثرثره –

حجرٌ كان محتقنًا

فِى اكتناز العواصم بالمالِ ،

واللّهو

و (الكركره)

حجرٌ

فِى انفجار الغناء بجسمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يفجّرني جمرةً وشظيّه

يسترد الذى ضاع منى :

غنائى وحزنى

الشفيف

وعشب الصهيل المشتت

– بين العواصِمِ – ،

وجه أبى ،

وابتساءة أمّى

على حافة الفجر ؛

وجهى

(على حافة القهر) ؛

خاتم عشقى –

. . . . . .

إذن

كان يخمّش صوتى ضجيج العواصم

(فى السوقِ)

كنتُ أكلّم نفسى

أكرس رمْسى

وأضحك من وطأة الهذيانِ

وأكسرُ وجهى على رُكْبَتىَّ

وأصهلُ فى الكرنفالِ

وأرجف فى شهقات الأغانى .. !

٢ غربة

فى المطعمِ

كان الرجل الهندىّ يحدّق

فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجل الكورىُّ

يحدق فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجل الباكستانىُّ

يحدّق فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجل الفلّبينىُّ

يحدّق فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجلُ البنغالىُّ

يحدّق فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجل السيلانىُّ

يحدّق فى الرجل المصرىِّ

وكان الرجل المصرىُّ

يحدّق فى المرآة ويقتسمُ

الحــزن الكلىَّ ،

ويقتسم الثرثرة المرّة فى الركن

(ويركضُ فى دائرة الحزنِ)

ويقتسمُ القهوة والشاىّ الأسود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(حتى ينكمش الحزنُ مع الظلِّ الآخر
فى الركن)
ويلقى دينارا فوق المائدة الصلعاء
ويخرج للشّارع كالإيقاع المبتل بنارٍ
سوداء

٣ تحديق فى شظايا الحلم

آهِ
ياصاحبى
لغةُ الدّم كاشفةٌ
فاعترف أيها النّهرُ :
– هل كان حلمك قبض الرياح
وكنت على إبرة الإسطوانة
ثرثرة الأقنعه ؟ !
وهل كنتُ أركضُ فى الحلمِ ،
أمضغ عشب الأغانى
وأقتسم الصمت والصخرة الدائريّة
حتى انجذبنا إلى حافة الفاجعه ؟!
آهِ ياصاحبى
لغةُ الدّم حارقةٌ
فاعترف أيها الحلمُ .

– هل خانت الثكنة العسكرية
سنبلة القمح حتّى تهاونْت ،
فانفرط القمحُ والجرحُ
فى الثكنة العسكرية ؟!
حين تراخيت سلَّمْتَ نفسك والبندقيه
وهاأنت منكسرٌ ،
يابسٌ
كالشظيّه –
آهِ ياصاحبى
لغة الدم ثابتةٌ
فاعترف أيها الزمن اللولبيُّ :
هل الضدُّ يحمل فى ذاته الضد
أم يتجاذب ضدٌّ وضدٌّ
خيوط التناقض ، يحتدُّ
جذبٌ وشدٌّ
فتجرفنا – أيها الزّمنُ اللولبيّ ،
وتحترق السنبله
آهِ ياصاحبى
لغة الدّمِ فاصلةٌ
فاعترف أيها النّهرُ :
– هل توقن الآن أن الزمانَ
تكوْكبَ كالمقصله ؟ !

القاهرة : محمد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الصَّبىّ فوق الجسْر

سعيد الكفراوى

"فى أحد التواريخ قبض الملك
أحد الطيور وأمر أن يحاك
فى قفطان من الجلد ..."

السهروردى

ها هو يستقر أعلا باب الدار ... بجناحيه المفرودين ، المغبرين بالتراب القديم ... ومنقاره الأحمر النهم ... يتجه نحو الأرض السبخه ، الناشعة بالأوحال والأوساخ وبقايا الأشياء الرثة ... (من الذى جلبه من البلاد البعيدة ، ودق بجناحيه المسامير ... هناك فى وجه الشمس . ؟ لم أعرف ... أنا ذلك الصبى الذى تحيرنى أبجدية الأشياء ؟) .

قال لى أبى : ان جدى كان قد صاده ، وانه قد عاد به بعد فوات المواسم ، وان جدى حبسه فى غرفة الدار العالية .. وكان الطائر لا يكف عن العويل .. وظل يرف بجناحيه الأسطوريين فى فراغ الحجرة وكانوا يسمعون هبات الهواء .. وكانوا خائفين ... وكنت لم أولد بعد ... وكانت الأرض غير الأرض ... وكانت دارنا على حدود العمار ... تحوطها أشجار زيتون خضراء داخلها حديقة تثمر بلا أوان ... بقربها ساقية عتيقة الطراز ، من الخشب ، كفت عن نشح الماء وأصبحت علامة على المكان والدار ... وكنت مشدودا الى الطائر الذى لم أكن أعرف ان كان حيا أو ميتا . قال لى أبى : انه فى اليوم الذى مات فيه جدى مات الطائر ، ولم أكن أصدقه .. وقال لى أيضا : انهم لم يروا طائرا مثله ولم يكونوا يعرفون من أى الأوطان جاء ... وكنت كلما خطوت الى داخل الدار أحس به فوق رأسى ... وكان يدوى بقلبى عويله ... وكانت مساحات هائلة من الشجر فى الليل تكسوها ظلمة كظلمة الآبار المحفورة عند نهايات العالم .. وكنت وحدى أسير مخترقا الشجر ، تائها عن الطريق باحثا عنه بعناد طفولى ورغبة حميمة فى الوصول ... وكنت أراه على البعد ــ ذلك الطائر ذا المنقار الأحمر النهم ــ ناشرا جناحيه عند النجوم ... وكانت عيناه فى عينى مستقرا فى طيرانه الوحشى ... وكنت أخاف منه وأستند الى جذع احدى الأشجار العتيقة وكنت أبكى ... وكانت توقظنى أمى من المنام .

سرت بممشى حديقة الدار بالقرب من حافة

البئر المحفورة بجانب السور ٠٠٠ كان الزمن فى الربيع ٠٠٠ كانت كثافة الخضرة وظلالها المورقة ترسم على السور أشكالا مهوشة وغير منتظمة ٠٠٠ كان أخى الكبير يقف قرب طلمبة المياه التى تنشع أرضها بالمياه المتخلفة العكرة ٠ قلت له : اننى رأيت طائرا مثل الطائر ٠٠٠ رد على بعد أن حدجنى بنظرة مستفسرة : أى طائر أعنى ٠٠٠ قلت له : الذى هناك ٠٠٠ صعد درجة السلم وأعطانى ظهره ٠٠٠ كان ظله يسبقه وكانت فروع الأشجار الابرية تمتد عبر السور ٠٠٠ وقف أخى ونظر ناحيتى وقال لى : اننى يجب الا أتعب نفسى ٠٠٠ اقتربت منه حتى حاذيت ذيل جلبابه وصحت فيه انه سوف يرى عندما آتى به وأحبسه فى الغرفة العلوية وأسمع عويله مثل جدى ٠٠٠ ضحك أخى ودخل الدار ٠

وحدى أقف بين الظل والشمس ٠٠٠ خلفى السور وأمامى الباب تلوح منه الساقية جاثمة خلفها النهر بينما تدور هبات هواء الخماسين ٠

كنت أدور كل يوم ولا أجده ٠٠٠ غيرت مواعيدى ومواسمى ٠٠٠ حاذرت الخطو فى المكان وتسترت بالظل وجذوع الأشجار ٠٠٠ حادثت النهر والزرع والقمر والضريح ٠٠٠ أمسكت به فى الحلم وطار منى فى النهار ٠٠٠ حزنت وعرفت معنى البكاء والخوف ٠٠٠ هبت رياح كثيرة ورأيت كثيرا من المراكب الراحلة الى المرافىء البعيدة تمر بى ٠٠٠ كنت أرى قلوعها البيضاء مفرودة ومليئة بالهواء وكانت تطلق أصواتها كقرع الطبول وكنت أسمع بحارتها يغنون وكنت أعرف أنهم تعساء ٠٠٠ وكان أبى قد قال لى : كان الزمان غير الزمان ٠٠٠ والرجال غير الرجال ٠٠٠ والوقت غير الوقت ٠٠٠ قال لى انه كان أكبر منى بسنوات ولم يكن شاربه قد اخضر بعد ٠٠٠ وكان الناس قلة تمشى فى الحارة فلا يقابلك انسان ٠٠٠ كانوا هناك ٠٠٠ يتحلقون حول (ركية) النار التى تعلو قامتها فوق الرءوس ٠ خلفهم الضريح وبعده تمتد المقابر على مدى مكانها المعلوم ٠ وعلى البعد ترتمى البلد قديمة ومفرقة فى الظلام ٠٠٠ كانوا حول (الجاوى) القادم من البلاد البعيدة ٠ لونه غير لوننا وسحنته غير سحنتنا ٠٠٠ آت بملابسه غريبة الطراز والتى تميل للسواد ، تتدلى من رقبته عقود بألف لون وألف شكل ، يحمل على كتفه خرجه وبيده عصاه ذات العقفة ، يضرب بابنا بعصاه ويصيح فى جدى ٠٠٠ كان صوته يصاعد فى الحجرات العلوية وينسرب فى الدار كالنذير (انهض يا عبد الغفار ٠٠٠ حضر الجاوى) ٠٠٠ وكان جدى ينهض بنعاسه ٠٠٠ يدخل فى ثوبه فى عجلة بينما جدتى قد جلست على حافة الفراش ويهتف جدى : (أهلا بالكريم ابن الكرام ٠ جاءت أزمان الخير والبركة ٠

ها هى ذى الشمس ذاهبة أراها من موقفى فوق الجسر ٠٠٠ كانت الشمس تروح مخلفة بحيرة الدم الأزلية ، بينما يتضوع شذى آخر النهار مختلطا برائحة الماء وأعشاب الشواطىء ٠٠ رأيت الجميزة العتيقة بجرمها الهائل المستقر على أرض المدار ٠٠ لا ظل لها ساعة المغارب ٠٠ تمد أذرعها حيث الطريق التى يعود منها الخلائق فى صفوف خريفية من ألوف السنين ٠٠ درت حول الجميزة وهف على رأسى سرب الحمائم العائد الى أبراجه ٠٠ أتانى من البعد صوت أذان المغرب منسربا فوق الماء يحفر فى صدرى الخوف البعيد الغور ٠٠٠ تذكرت من ماتوا ٠٠٠ جدى ذلك الذى كنت أراه آخر أيامه متوكئا على عصاه ذات العقفة يجلس أمام باب حديقة الدار الواسعة من الربيع الى الخريف ناظرا ناحيتى بعينيه الكليلتين وكان يهتف بى (يا ابن الكلب لا أحد يدوم ، والعمر لا يمكن أن يكون رفيقا) ٠٠٠ وكنت لا أفهم ما يقول ٠٠٠ وكنت أرقب خطواته التى غدت ثقيلة ، وأندس تحت كتفه وكان يستند على ٠

(أيها الطائر التائه عن وكره ٠٠٠ ها أنذا فى انتظارك) ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانوا هناك وحدهم تتدلى أذرعهم على أرجلهم المضمومة ۰۰۰ المقابر منثورة مثاوى للذكريات والآباء ، على حوائطها صفت رخامات عليها التواريخ والأسماء ۰۰۰ أناس مروا من بابها الضيق وكنت لا أعرفهم ۰۰ ممراتها سبخة بتراب ككحل العيون ۰۰ أسراب الذباب الأزرق تطن مع مغرب الشمس باحثة عن فجوات تخفيها ۰۰ أشجار المستكة والدندان والكافور بلغتها القديمة الحميمة ۰۰ (براد) الشاى الكبير الملون بألوان كالحناء وأبى يقف خلف تل القمح البارك على أرض الجرن كالجمل ۰۰ جدى بجانب (الجاوى) صاحب المعجزات يستقر جنبه خرجه القديم وذقنه الأشيب علامة الصلاح والتقوى ولغته القريبة من النفوس والقلوب ۰ كانوا يعشقونه ويجلونه ۰۰ (اسمع يا حاج عبد الغفار: لا أحد هزم الزمن ۰۰۰ أنا لى من العمر ثمانين ۰۰ جبتها طولا وعرضا ۰۰ الآن تلحق بى القبور ۰)۰۰ تهب فى الليل نسمات باردة وتخبو النيران مخلفة رمادها ۰ وعلى الطولات تجتر البهائم فى صوت رتيب أليف ۰۰۰ يغفو الجميع ويستحكم الوقت ، كأنها الميتة الأولى ۰ ويحل الصمت آسرا ۰۰ تأتى الشياطين تصرخ فى الأشجار بهزيم كالرعد ثم تتوجه على تراب الليل تجاه البحر ۰۰ وفى المنام تأتى الأرواح الطيبة مع الحلم عوضا عن كد النهار ۰۰ وفى السكون المحاصر يأتى صوت الطائر الغريب منداحا ، لا يكون تسبيحا ولا غناء لكنه أشبه ما يكون بالعويل ۰

لو سرت الآن ساعة سأكون عند الجسر ۰۰۰ هناك عند تقاطع الطريق فى هذا الوقت من العام يكون النهر مندفعا يغذى الضفاف الطينية ويحيى العشب البرى المزهر ۰۰۰ كنت قد قلت لأخى اننى أعرف عشه وكنت أكذب عليه ۰ كانت ثيابى زرقاء كالسماء وكان ذهنى لم يصف بعد كنت قد قلت لجدى اننى سوف أعطيه الشمس ، وكان قد قال لى من بين فمه الخالى من الأسنان انه يجب أن يكون يقظا ومحاذرا من أن يغفو قرب البئر ۰۰

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعندما قلت له : سوف آتي بالطائر من عند حافة الخليج نظر ناحيتي وقال لي : انه لم يفهم شيئا . قلت لأخي انني رأيته مرة عند (المرادة) في العصر وكانت الطيور البيضاء الكثيرة تتجمع على فروع الجميزة وكانت تلك الطيور شبيهة بالخيمة الواسعة وكانت أصواتها تأتيني مع صوت المياه ... كان هو هناك بسمرته الضاربة الى الزرقة ومنقاره الأحمر النهم ... نفس طائرى المعلق على باب الدار . جريت ناحيته وصعدت الشجرة محاذرا وخافت كل الطيور ورفت في الهواء مبتعدة .. وصلت اليه فنظر ناحيتي قلت له (أيها الطائر الكبير العيون لا ترفع صوتك ولا تأت جناحاك بالظلام ... أسكن مكانك سامد يدى الآن لآخذك) وخفت أن يحملني ويطير لكنني مددت يدى لأمسك بمروحة الريش ، لكنه كان قد طار بعيدا ثم اختفى في الفضاء .

كنت كل يوم آتي الى الجسر .. تذهب الشمس وأعود خائب الرجاء حتى كان هذا النهار .

عند رأس الجسر (سبيل) ماء بناء مملوك قديم ثوابا وأجرا ، ما تزال ألوانه زاهية وعليه كتابة بحروف متآكلة وغير مفهومة .. قبته عالية ومياهه باردة أبدا تروى عطش أهل الطريق وأبناء السروح ... (كشك) عسكرى الدورية الذى لا يأتي الا مع الليل .. مضرب للطوب وقبائن محترقة تفوح منها تلك الرائحة الأليفة والشبيهة برائحة (طواجن) اللبن في الأفران .. صف كافور وصف توت وظلال .. قيالة لا تدب فيها القدم وسكك مقطوعة وغفوة في نهار تعب .. أنا وحدى فوق الجسر تتعلق عيناى بفضاء الله الواسع وتدور رأسى في الظهر الأحمر .. ألقى الشمس في الظهر لامعا مهتاجا وللشمس سطوة .. كانت عيناى في أعالى الشجر وفوق الأبراج وعلى أرض أحواض الشراقى .. الأرض فسحة للزمن ، والسماء مرعى للشمس المهتاجة .

(لو أبصرك الآن أيها الطائر !)

قلتها واستندت الى سور الجسر الحديدى وحادثت جدى .. كلمته عن الوقت ونفاده .. كلمنى عن نهايات العمر ولم يبتسم .. لكنه كان هناك يدور حول نفسه في الفضاء الرحب .. هناك بجناحيه المنشورين كالمروحة ومنقاره الأحمر النهم وعيونه التي لا تطرف ... يحدد مكان هبوطه من علوه القصى ... (أعرفك ... وكان (الجاوى) يعرفك وكان جدى يعرفك) وكان الجاوى كلما سحره الليل وامتد به الوقت في كشف القمر ورأى مخلوقات المولى تناديه حمل عصاه ذات العقفة ووضع خرجه على كتفه وتبع الأصوات التي لا تكف عن ندائه وكان لا يعود الا بعد فوات السنين .

رأيت الطائر يهبط مكانه بثقله فوق فرع الجميزة العالى ، يرف رفة الهبوط النهائية فاردا جناحيه عن آخرهما ويستقر فوق الفرع ... كان الفرع مكشوفا للسماء ... يحط فوقه وحده ، يحرك رأسه ناحية الشروق .

رأيت رجلا يبرز من دغل الغاب متسللا . يرتدى سترة من الجلد ويلبس على رأسه قبعة ويضع في كتفه حقيبة من القماش الكاكى الأصفر ، ويحمل بندقية لها ماسورة طويلة ... حدج الصياد الطائر وضبط النشان ... كان الطائر في مرمى الهدف (ستنطلق الرصاصة الآن مندفعة الى سقف الدنيا مزلزلة في صمت الظهيرة اللاهب ... تمزق الصدر المفتوح ويسقط ذلك الطائر ملطخا بدمه لا يسعفه الجناحان وقد تفتت لحم البطن واندس المنقار الأحمر النهم في التراب) قلت لجدى أن لا شيء يدوم قال لي ان الأشياء تبدو متشابهة بدرجة مفزعة اذا حل الأوان ... صرخت صرخة شبيهة بالاستغاثة ... طار الطائر ودار يرقب الصياد الذى يضبط نيشانه مرة أخرى ... انقض الطائر من علوه البهيج ناشرا مخالبه كالرماح كان يقصد وجه الصياد الذى خاف فجأة ... اندست المخالب الرماح في الوجه تسمل العينين في وحشية بدائية كانت البندقية على الأرض واليدان تصفقان الهواء بينما الوجه يدور في عماه المفاجىء وصرخات كالعويل تنطلق في هجير الظهر ... كان الطائر يصعد الى الفضاء الرحب ويختفى وأنا واقف فوق الجسر أحدق فيما أرى وكنت لا أفهم شيئا .

السعودية : سعيد الكفراوى

انكسار البطل في قصص "دماء وطين"

د. محمد عويس محمد

تضم مجموعة « دماء وطين » القصصية للأديب يحيى حقى ، ثلاث قصص(١) أضيف اليها ثلاث أخر في مجموعة الأعمال الكاملة للمؤلف (٢) مع مقدمة كتبهـا مهيئا القارىء الى ظروف البيئة التى تدور فيها أحداث القصص (٣) ، التى تظن أن اربعا منها ،من حيث الزمان والمكان تدور أحداثهـا عقب الحرب العالمية الاولى فى بعض نجوع مديرية أسيوط (٤) أما « قهوة ديمترى » و « من المجنون » فأحداثهما لا تتصل ببيئة أحداث المجموعة السابقة اتصالا مباشرا خاصة « من المجنون » حيث احداثها تدور فى مدينة دمياط الساحلية (٥) ، بينما « قهوة ديمترى » عبارة عن لوحة لمشـاهد مكان من أبرز الاماكن فى المدن الريفية (٦) ، أما أحـداث المجموعة الأخرى فانها تتصل بالنجوع والقرى ، ونظن أن مجتمعها يختلف بنسب متفاوتة عن عواصم الاقاليم والمدن الريفية الكبرى فيها ومن ثم ستختص بالدراسة من هذه المجموعة قصص : « البوسطجى » و «قصة فى سجن » و «أبو فودة» و «حياة لص» وتحاول الدراسة الاجابة على سؤال : ماهى عوامل انكسار البطل فى هذه المجموعة من القصص التى تشترك أحداثها فى زمان ومكان واحد تقريبا ؟ ومن هنا ستكون الاجابة متضمنة الكشف عن العوامل الذاتية والعوامل البيئية المتصلة بتداعى البطل •

وأما عن لفظ « البطل » فاننا استعرناه أساسا من المؤلف حيث وصف واحدا من شخوص قصصه بالبطولة وأنه بطل أمام زملائه ، يقول فى « حيـاة لص » : « وكان من تأثير هذه الفئة أن أقر زملاؤه بنوع من البطولة التى وان كانوا ينكرون جهارا فهم يعجبون بها سرا ، ويتمنى أحدهم لو وقع له فى حياته ما وقع للبطل ومن هنا كان أكثرهم يستشيره فى أموره وينتصح برأيه (٧) ، وأما الظروف الاجتماعية فى البيئة فان المؤلف يشير اليها حين يتحـدث عن « الوسـط » الذى يعيش فيه الابطـال ، انظـر الى حديثـه عن قهوة ديمترى تقبـع فى « مكانهـا فى هـدوء وتسـتمر فى نمائها من المحافظة على التقاليد التى أوجدتها منـذ نشاتها الأولى معتمدة على وسط واحد لا تحيد عنه حتى تصبح مع الزمن خصيصة من خصائص هذا الوسط وظاهرة كبيرة الأثر فى حياة الشعب المختلفـة النواحى قد تعادل أهميتهـا أى ظاهرة أخرى • » (٨)

وهناك ملاحظتان نستخلصهما من مقدمة المجموعة تؤثران فى القضية التى نناقشها فى هذه الدراسة الأولى تتصل بالنيل رمز شريان الحياة فى مصر ورمز حياتها الذى يربط بين المدن والقرى ، وعمق الاحساس بهذا فى وجدان الشعب حتى الأطفال فى « الحارة » حين يرددون الأغانى الشعبية عقب فيضان النيل : البحر زاد ·· وفاض على البلاد ·· عوف الله ·· عوف الله ، مثل هذا الغناء الشعبى له جذوره الاسطورية اذ يرى المؤلف ان عبارة « عوف الله » ربما تكون تحريفا لاسم « أوفيليا » الهة الماء عند الاغريق (٩) ، مما يدلنا على عمق الارتباط بين مصر وشعبها ونيلها ، وكيف تتأثر حياة المصريين بالنيل فى تحاريقه وفيضانه ، ومن ثم سنرى - بعد قليل - ارتباط تداعى البطل - فى بعض الأحيان - بظروف فيضان النيل ·

وأما الملاحظة الثانية فهى خاصة بالاغانى الشعبية الصعيدية والتى ينشدها أبناء الصعيد فى ترحالهم وتنقلهم بقطار الصعيد (١٠) ، وما تصوره من معاناة أبناء الصعيد من السلطة والاحتلال فى مطلع هذا القرن ومقاومة أبناء الصعيد لهذه القوة الغاشمة الظالمة ، ثم كيف تحولت هذه المعاناة فى بعض الاحيان الى عامل طرد لعناصر البناء فى مجتمع القرية وبالتالى عامل انكسار وتداعى للبطل كما تصوره بعض الأعمال التى سنعرض لها بعد قليل من خلال الكشف عن بعض ألوان الصراع بين ممثلى السلطة الغاشمة وأبطال القصص ·

واذا مضينا الى القصة الأولى « البوسطجى » فان أحداثها - كما أوضحنا من قبل - تدور فى قرية صغيرة من قرى أقليم أسيوط هى « كوم النحل » وعمدتها يرمز الى السلطة الغاشمة الجاهلة التى تسيطر على مقادير الأمور فى القرية (١١) ، ولا يكتفى المؤلف ببيان ما يرمز اليه « العمدة » من خلال توضيح سلوكه انما يعمد الى لغته وبيان الفروق فى التعبير بين لغة شخوصه ، ولعله كان يحس مع وطأة محاولة المستعمر للنيل من اللغة العربية فاستخدم التباين فى لغة الشخوص - حتى وان كانت بالعامية - فى بيان هبوط مستوى اللغة عند هؤلاء الذين يتولون مقاليد الامور فى القرية (١٢) ، أو لعله يريد الكشف عن العلاقة بين لغة المتكلم ووظيفته وتكوينه يقول « فى بعض الاحيان يكون أسلوب العمد هو أصدق وسيلة للتعبير عن بعض جرائم الريف ، وتكون سذاجة الكلام هى الاطار الوحيد الذى يتناسب وما لجرائم الفلاحين من صور بدائية » · (١٣)

كان عمدة هذه القرية ينظر الى طاقة من الموظفين الذين يعملون فى مرافق القرية نظرة احتقار ، فهذا البوسطجى « أجرى » (١٤) والفروق واضحة من الناحية الاجتماعية بين طوائف الموظفين ، اذ البوسطجى فى المرتبة الدنيا اجتماعيا بينما المأمور فى مرتبة اجتماعية أعلى واذا كان العمدة ينظر نظرة تحقير الى بعض طوائف الموظفين فان الفلاحين كانوا يحسون باحتقار بعض الموظفين لهم ، ولكن الفلاح يعرف كيف يصرف أموره : « الموظف المتعاظم ببذلته وطربوشه وسلطة الوظيفة من ورائه ، يتكبر على هذا الفلاح الجاهل ، الجلف مكانه وراء الجاموسة لا بين الناس·· يجب أن ينهزم أمام الحكومة ، لكن الفلاح يعرف كيف ينتهز الفرصة ·· » (١٥) ومن هنا تقف هذه العلاقة بين الموظف فى بيئة القرية وأبناء القرية عاملا بارزا فى التأثير على تداعى البطل ، اذ يجد الموظف الوافد على القرية نفسه فى مجتمع يتبادل معه الاحتقار ، وسيتضح لنا هذا بعد قليل ·

وكان بطل هذه القصة « عباس » موظفا وافدا على القرية ، هو من سلالة عربية (١٦) ، ولعل الكاتب يرمز بهذه السلالة الى صحوة القومية العربية بعد

الحزب الأولى ، وهو من الطبقة الكادحة « خدم السلطة » ، أصبح بلا أسرة متماسكة فى القاهرة ، بعد أن فرقت الظروف أفرادها تفريقا وشتتتهم تشتيتا فأصبحت أشبه بنبات « شيطانى عائم على وجه الماء » ، (١٧) وأصبح من أولئك الفقراء من الموظفين « لا يحتكم أحدهم على ريال صحيح » ، ومع ذلك يشعرون كان قهاوى القاهرة وشوارعها وفسحها ملك لهم » فهو فى العاصمة لا يحس بالغربة أو بالوحدة على الرغم من انهيار أسرته ، وأدت الظروف المبهمة الى تفتت الأسرة وضياع قوة تضامنها فتبعثرت ولم يكمل عباس تعليمه والتحق بمصلحة البريد وجاء اليوم الذى صدر فيه أمر نقله الى « كوم النحل » ليكون ناظرا لمكتب بريدها ٠

ومنذ اللحظة الأولى لوصوله الى « كوم النحل » تكونت فى أعماقه عوامل انكساره ، اذ كان رافضا لعمله منذ هذه اللحظة « من ساعة ما حطيت رجلى فى البلد ما طقتهاش ، حسيت انى محبوس ٠٠ » (١٩) ، ويبدو أن احساسه بالرفض والضيق كان عاما عند الموظفين الوافدين على القرية يرونها وبيوتها وكلها كأنها « أقزام متزاحمة متلاصقة كأنها قبيلة متوحشة ، على رؤوسها شعر الهمج ٠٠ »(٢٠) ومن ثم كان عباس كغيره من أفراد طائفته « أسير الصعيد » ٠ (٢١)

وأداه الرفض الى الاحساس بالعزلة عن أبناء القرية ، كما أدى احتقارهم له الى احتقاره اياهم : « عمر الفلاحين ما بصوا لى وأنا فى البدلة الصفراء دى ، زى مايبصوا باحترام لمعاون دودة حقير ، ولا كاتب صحة أصله مزين علشان لابسين بدل ٠ كلهم يعرفونى ٠ لكن ماشفتش واحد ، بلاش أنكت وياه ، اتكلم معاه ٠ » (٢٢) ، ودفعته العزلة وتبادل الاحساس بالاحتقار الى انكساره مظهريا وسلوكيا اذ أهمل مظهره اهمالا شديدا وأدمن الخمر ٠ (٢٣)

ويبدو أن ايقاع الحياة الرتيب البطىء فى القرية كان من أكبر عوامل الطرد عند كثير من طائفة الموظفين الوافدين على القرية ومن ثم تولد عند عباس ــ بفعل الرتابة وبطىء الحركة ــ الاحساس بالملل والوحدة ، وكانت الخمر وسيلته الى نسيان رتابة العمل « على أنه وان تخلص من ملل العمل لم يستطع أن يهرب من وحدة المعيشة » على الرغم من احساسه بقيمة عمله « ٠٠ حتى الى أصغر القرى تصل هذه السلوك من الورق ، تربط الناس بعضهم ببعض مالا يربطه الحديد ليس يفهم ما بين الناس من تماسك الا من يدخل مكاتب البريد » ٠ (٢٤)

وساعدت ظروف البيئة على تضخم الأزمة فى وجدان عباس ٠ والى محاولته الانتقام لنفسه ، ان البيئة مسئولة عن جانب من هذه الازمة : « الصعيد هو المسئول عن تلفهم (الموظفين الوافدين المغتربين) فهم طيبو القلوب ، ولكنهم من ضيق التربية بحيث لا يستطيعون السمو عن المحيط المنافر لهم ، أو اخضاع ظروفه لمنفعتهم ، واستخلاص ما فيه من خير ، والاعراض عن شره ٠ فهم لا ينتقمون من جو الصعيد ، المقبض ووحدته القاتلة الا فى أنفسهم » ٠ (٢٥) ، ويحدث حسنى عن نفسه وعن عباس وما ارتكب من محاولات انتقام « ان جريمته ليست الا ختاما فجعيا لاصطدام عباس ، ربيب قهاوى القاهرة وشوارعها ، بالصعيد وطينه وفلاحيه ٠ طبيعة عباس وتضخم الأزمة فى وجدانه ، فتفاعلت فى مشاعره كل هذه الامور على مهل عفنا ٠٠ » (٢٦) ، أن البيئة بظروفها الاجتماعية كانت من وراء تحطيم طبيعة عباس وتضخم الازمة فى وجدانه ، فتفاعلت فى مشاعره كل هذه الامور ودفعته الى ارتكاب جريمة فض أسرار الخطابات انتقاما لنفسه وفى نفسه « ففى العمل الذى سيقدم عليه خير انتقام منهم (أهل القرية) سيطويهم جميعا علمه ،

وتضمهم قبضة يده ، وسيقف أمامهم صامتا ولكنه يهزأ منهم فى قرارة نفسه . وسيكون هو الفائز لا محالة . » (٢٧) ، ولكنه كان فى اقدامه على هذا العمل يتخلى عن أمانة مهنته وشرفها ، ومن ثم كان انتقاما لنفسه فى نفسه ، منذ أن خان الأمانة .

وكانت معادلة انكساره على النحو التالى :

١ ـ وحدة (انسان بلا أسرة) + عمل رتيب ممل = ادمان الخمر

٢ ـ اغتراب + احتقار متبادل بينه وبين أهل القرية + ايقاع رتيب للحياة = انتقام .

٣ ـ ادمان الخمر + الانتقام = جريمة .

٤ ـ الجريمة = انكسار البطل .

وبدأ عباس فى ارتكاب جريمته متسترا بظلام الليل ، وهو ظلام نفسى عام يحيطه ويحيط القرية « ليل فى ظلمة العمى » وفعلت الخمر فعلها مع ظلام النفس ومن ثم كان التردى فى هوة السقوط وهو سقوط يدل على تخلف حضارى وعلى حاجة المجتمع القروى الى دفعات تحتاج الى من يفهم سر التقدم ، كالذى يضغط على مفتاح المذياع فينطلق كاشفا عن أسراره : « الليل فى ظلمة العمى .. تلفت يبحث عن مداخل النفوس التى يعلم أنها تستقبله وتتشرب به فاحتلها يتمطى فيها . هو الآن فى كل زورة لكوم النحل يتسلل كاللص الى قلب عباس ، على غفلة منه ، كصندوق الراديو لايعلم السر الذى يحتويه الا اذا ضغطت يده على مفتاحه » . (٢٨)

وتكون الضحية فتاة من أسرة قبطية ، متوسطة التعليم ، ترمز الى بوادر التحضر والنهضة ، اذ أنها حين عادت الى القرية فى العطلة الصيفية كان معها حقيبة بها « برانيط وكتب .. أعجوبتان فى منازل الطين والقش » (٢٩) ، أما البرانيط فلعلها الرمز الى الأخذ بما فى الحضارة الغربية من أسباب الرقى والتقدم ، وأما الكتب فلعلها الرمز الى العلم والثقافة والعناية بتعليم المرأة امتدادا لحملة النهوض بالمرأة المصرية وتحريرها بأخرى من القرن الماضى وما أحوج القرية الى هاتين الاعجوبتين لكى تتحضر وتتقدم ماديا وانسانيا . لكن جاء عباس بجريمته وسقوطه ليقتل هذا الرمز أو ليسهم بقدر فى قتله ، فالواقع لم يكن هو المسئول مسئولية كاملة عن هذ االقتل ، ذلك أن اطار الحياة الاجتماعية فى الصعيد كان من أبرز عوامل اكتمال الجريمة ، اذ كانت مشكلة جميلة « عقدة كلها اصطدام ونزاع ، وخيوطها من ديانة وتقاليد ووهم ، موشجة بحكم الدم والجسم . وسر الحياة (الجنين الذى فى أحشائها) لا يهمه ماذا يعتقد الناس . لا رحمة فيها . جبروتها قلما يستطيع أن يثور عليه رجل يعيش فى وسط الصعيد وبعقليته يرثها عن أجيال لا تتسامح ولا تلين » (٣٠) ، ومن هنا شارك عباس مع ظروف البيئة فى الجريمة وكان جريمة التخلف وما ينتج عنه انها مسئولية ملقاة على المجتمع ككل بطوائفه جميعها ومن هنا كان استعداد عباس للانكسار واضحا منذ وصوله الى القرية وقوى فى نفسه هذا الاستعداد عوامل ذاتية تتمثل فى احساسه بالوحدة والغربة والملل وأذكت من جذوة الازمة فى نفسه عوامل بيئية تتمثل فى احتقار أهل القرية له واطار التقاليد الدينية والاجتماعية للمجتمع مما دفعه الى الانتقام لنفسه فى نفسه .

أما « قصة فى سجن » فان بطلها فلاح من اقليم أسيوط نفس الاقليم الذى دارت فيه أحداث البوسطجي – وجريمته تتمثل فى خيانة أمانة الالتزام بتوصيل رسالة من الأغنام من قريته الى اقليم المنيا وهى خيانة لامانة الحفاظ على تقاليد القرية ، وأهل القرية أشبه بالقبيلة العربية فى تماسكها والتفافها حول تقاليد وأعراف واحدة . وخيانة الأمانة هى نفس جريمة البوسطجي .

وتمثل القصة مطاردة السلطة لطائفة الغجر الذين كانوا يسببون ازعاجا للناس بسبب سرقاتهم وجرائمهم ، وكان أبناء هذه الطائفة يعيشون فى جماعات لها نظامها الاجتماعى الخاص بها . وبدأ سقوط بطلها عليوى اتخذ من سور « وابور طحين » قديم بجهة « صنبوه » مأوى يأويه هو وخرافه ونعاجه التى كلفه شقيق عمدة بلدته بتحمل أمانة توصيلها الى المنيا .

وحط الرجال بجانبه مجموعة من الغجر ، لكن الشرطة هاجمت المنطقة بشكل مفاجيء وشتتت مجموعة الغجر . ولما انتهت الهجمة اكتشف أن واحدة من الغجريات كانت مختبئة بجانب نعاجه وخرافه وتورط عليوى مع الغجرية وتعلق بها تعلقا شديدا أخرجه من نسيج عنصره الاجتماعى كفلاح ليصبح واحدا من الغجر لكنه بعد أن أصبح غريبا عن أهله وقريته – خاصة بعد أن فقد أمله فى الرجوع الى القرية بعد أن بدد الغجر غنمه وسرقوا ما كان معلقا فى رقبته من أمانة – أصبح كذلك يعيش فى غربة قاسية بين الغجر الذين لا يعدونه واحدا منهم . نفس الاحساس بالغربة بين البوسطجي وأهل القرية وانتهى أمره الى السجن حين وقع فى قبضة الشرطة فى واحدة من حملات مطاردة الغجر الذين كان يتجول معهم .

وكانت مقدمات انكسار هذا البطل فى قريته ، اذ انه كان يعانى من البطالة خاصة فى فترة الفيضان وتوقف العمل الزراعى « لما جه النيل بقيت من غير شغل » (٣١) ، وحين عرض عليه شقيق العمدة (وكان يعمل عنده مزارعا أجيرا) توصيل الاغنام الى المنيا تكشف ما يعانى فى نفسه من تردد وتوجس من ترك القرية والرحيل عنها فهو يخشى الاغتراب على الرغم من أنه سينقل الخراف والنعاج الى الاقليم المجاور (المنيا) لكنه كان يرى أن « الطريق واعر على » . (٣٢)ولكنه اقدم على المحاولة ، فهو لا يهاب مثل هذه المغامرات طالما أنها ستخرجه من شرور البطالة ، ولعل هذا تحقق له من « وراثته الفرعونية » (٣٣) ، ومن ثم اجتاز الطريق، وهو طريق اجتازه الفلاح المصرى تحت سياط السخرة أن عليوى هو حفيد أولئك « الذين فتحوا الترعة (الابراهيمية) بطول أربع مديريات بمعاولهم البسيطة وربما بأظفارهم أيضا : وكان يموت الفلاح فينهال التراب عليه ، كما هو بمقطفه ومعوله . وجلبابه الأزرق الوحيد .. أكل الجسر أجسادهم ومحا لحومهم وما على جلودهم من أثر الكرابيج » (٤٣) وكان رحيل عليوى على هذا الطريق – طريق السخرة – ترجيعا لصدى رهيب فى نفوس أولئك الكادحين من أجل بناء مصر ، تتردد من خلال أغانيهم التى ما زال يرددها شاعرهم ، أنغام هذه المعاناة المريرة فى ظل السخرة وحكم السلطة الغاشمة .

وكان الدافع الثانى الى التورط فى السقوط والانكسار شيء من السذاجة فى شخصية البطل الذى ابتلع أول خيوط الشرك الذى نصب له مع رشفاته لأول كوب « شاى » قدمه له الغجر ، وحين يتذكر هذا الطعم يحدث عن نفسه لرفيق السجن الغجرى : « ما انت عارف الفلاح عبيط ، مايقولش فى عزومة لأ .. » (٣٥) ، ولم

يشنه عن التردى فى الخداع كل ما كان يسمع عن الغجر من حكايات وخدع (٣٦) ، وأنه نشأ وقد تعلم منذ الصغر ، « أن يرهب الغجر ويخشاهم » (٣٧) ، على الرغم من هذا فانه تورط وسقط ٠

وكانت الشهوة هى الوقود الذى أشعل نار حماسه فى غيبة من الوعى ـ الى التورط مع الغجرية فى علاقة آثمة ، حتى وان حاولا معا تبرير العلاقة وطبعها بطابع شرعى بأن تهب له نفسها ويقبل هو هذه الهبة ٠ (٣٨)

والنتيجة أن مات (الفلاح) فى صدر عليوى وانساق وراء شهواته وحبه الجسدى للغجرية مندفعا بوساوس الشيطان : « كل دا والشـيطان بيلعب فى عقل » (٣٩) ، وبلغ به الأمر أن ماتت فيه النخوة والغيرة على اسم بلده ولم يثر حين سب الغجرى قريته اذ كان فى هذه الحالة « قد فصله عن أهله وعشيرته حاجز رقيق ، لم تثر الاهانة احساسه فبلعها ٠٠ » (٤٠) ، وتحول ليعيش غريبا مع الغجر حتى وان تخلق بخلقهم المنافى لخلقه « ولكن صحبة الغجر جعلته يستقبل الشتم والقيد والكرباج مطمئنا ٠٠ منذ سنة شاهد ما جرى للغجر فكان جزعه ـ كمتفرج ـ أكثر منه اليوم، وهو مضروب بسير مكبلا بالحديد للنقطة ـ سنة مرت عليه لم تفن من عمره قدر ما هدمت من أخلاقه وعاداته ٠٠ كان فلاحا يهمه النيل والعمدة والنقطة وحدود أرضه يقيسها بالشبر وبالاصبع ، أما الآن فهو غجرى لا يهمه سوى اليوم الذى هو فيه ٠٠ الدنيا كلها أمامه لا حدود لها ٠٠ ان استطاع أن ينال منها شيئا فليخطف ٠٠ وهو سعيد ٠ » (٤١)

ولم يلتفت الى تجاربه المكتسبة من البيئة الريفية ، ولم ينتبه الى ما يتعلمه حتى من الحيوان الذى يرافقه ، اذ لم يظهر أمام الخدع ، متمرسا غير سلس الاندفاع الى الاخطار ، على الرغم من أن صحبته للخراف علمته حقيقة واضحة عن الخروف هى أنه ليس سهل القيادة على الرغم من أنه حيوان غير نفور ، فخطوته بطيئة ان لم تجد حثا مستمرا وقفت ٠٠ وأفراده المتفرقة لا تجمعها سـوى عصـا متيقظة ٠٠ » (٤٢) وبالمثل لم يستطع أن يكون وفيا للامانة التى كلف بحراستها ، وأمامه كلبه ضرب له أروع المثل فى الامانة ، اذ حين تورط فى الاثم مع الغجرية فى جنح الليل : « كان على الكلب هذه الليلة أن يحرس مع الغنم ـ سيده»(٤٣)، ودفع الحيوان الأمين الثمن وقتله سم الغجرية ، ولم يلتفت عليوى الى الحادثة بالقدر الكافى ولم يول الأمر الاهتمام الكافى ، اذكان غارقا الى أذنيه فى عبق الشند والقرنفل المنبعث من معشوقته الغجرية ٠

ويضاف الى ما سبق من عوامل انكسار البطل هنا خوفه من السلطة ويتمثل هذا فى احساسه بالجرم حين وجد فى غنمه ماعزتين سرقتهما الغجرية من قومها أثناء المطاردة ، اذ تمثل فيهما « أول جرم ارتكبه فى حياته ، وهو الذى عاش طول عمره يرهب النقطة ، ويرتعش أمام العمدة ، ويحيى العساكر باحترام ٠٠ » (٤٤) ، لكن هذا الخوف تحول بعد هذا الى لامبالاة بعد أن ماتت فى صدره القيم الخلقية لقريته وفى مقدمتها الأمانة وحفظها ، ومن ثم كان قبول التداعى والانكسار ميسورا على نفسه ٠

وما أن انخرط فى فئة الغجر حتى أضيف الى دوافع سقوطه وانكساره دافع جديد تمثل فى احتقار المجتمع لهذه الفئة ، فالشاويش ينظر اليه كواحد من جماعة الغجر « الذين تطاردهم النقطة ، وهو يرمقه بعين كارهة لم تكن نظرة رجل الى رجل،

بل استعراض نوع راق لفصيلة منحطة لا تقع يده على كتفه الا تملكه تأفف غريب من الفتيان الغجر : هل هم من بنى آدم ؟ ٠٠ » (٤٥) ٠

وبالمثل كان بطء حركة الحياة الرتيبة دافعا من دوافع سقوط عليوى ، اذ تولد عنه ملل نفسى عند الغجرية بعد اتصالها بهذا الرجل الريفى ووقوفها على طبيعة حياته الرتيبة ، فتمردت على هذه الحياة وحاولت الفكاك من أسرها ، وبالفعل انطلقت الى جماعتها من الغجر ، ولم يستطع عليوى احتمال هجرها اياه وفراقها له فانقاد وراءها لينخرط مع قومها غريبا عنهم وعن نفسه : يقول عن صاحبته « بدأت تمل معيشتها الجديدة الواضحة تسير فى طريق معلوم وعادت لتجوالها القديم ٠ كل لذتها أن تطارد من بلد الى بلد ، ولا تزيد صلتها بمكان أكثر من ليلة ٠ زالت الفورة ، ولم يبق من عليوى سوى رجل هادىء تستطيع أن تثق بطيبته ولكنها مع ذلك تندم على حياة نصفها محبة ونصفها عداء ٠ فالغجر أنانيون لا يقبلون الغريب بينهم » (٤٦) ، ومن ثم كان رفضها لحياة آمنة مستقرة يؤمن بها عليوى سببا فى دفعه الى حياة خطرة غير مستقرة أدت به الى الانكسار ، ولم يفلح شعر الشاعر فى تحويلها الى حياة الاستقرار والفكاك من أسر حياة الغجر ، اذ ربما كان هذا الشعر هو الذى دفعها الى التخلص السريع من حياة مستقرة لا تألفها فانطلقت للفكاك منها والهروب من أسرها ٠ (٤٧)

ومن ثم تكون عوامل انكسار البطل هنا من الناحية الذاتية تتمثل فى عدم قدرته على التحكم فى شهواته مما استتبع سقوطه فى فخ الغجرية وخيانته الأمانة ، وأما من ناحية البيئة فان خوف البطل من البطالة فى القرية أثر فيضان النيل وفقدان الأمان والاستقرار والاحساس بالغربة فى بيئة الغجر كان من وراء انكساره٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ٤ -

واذا مضينا الى قصة « أبو فودة » نبحث فى عوامل انكسار بطلها الذاتية والبيئية ، فان أول ما يلفت النظر ما كان يتسم به « جاسر » بطلها من خلق وسلوك شرس شراسة الجبل الذى يعمل فى نحت صخوره وتقطيعها فى مواجهة أسيوط على الشاطىء الشرقى من النيل كان متباهيا بقوته أمام أقرانه فى العمل ٠ وحين تنافس فى مرة من المرات على رفع حجر ضخم خانته قوته التى انفقها فى مغامراته مع حميدة أثناء تردداه عليها فى منفلوط ، فعيره « متولى » بهزيمته أمام الحجر ، فما كان منه الا أن هوى على أم رأس غريمه ومعيره بقادوم فأرداه قتيلا فى الحال وكان جزاؤه السجن خمس عشرة سنة فى أشغال مؤبدة ٠ (٤٨) كانت المرأة من وراء التنافس بين هذين الرجلين اذ كان متولى على علاقة بحميدة ٠ (٤٩) وتتمثل العوامل البيئية لسقوط البطل فى هذه المرأة ، اذ كان فى مجتمع المدن الصعيدية بعض النساء ممن يمتهن اللهو مع الرجال ، وكن معروفات ، وبعضهن تستترن بأنواع من الستر ، من مثل حميدة كانت فتاة « تقودها للفحش المتستر أمها العرجاء ٠٠»(٥٠)

وعاش جاسر بعد خروجه من السجن مع اسماعيل ابن عمته وزوج نرجس ، وهى زوجة غريبة على بيئة الصعيد اذ كانت بحراوية سلوكها غير سوى دفعها الى ذلك ، التناقض بين بيئة وخلق أبناء الوجه البحرى وأبناء الوجه القبلى ٠ (٥١) ، فأصبحت فى نظر زوجها امرأة لا يستطيع الثقة فى اخلاصها وعفافها « ولكنه يعيش كما يعيش زوج كل امرأة خليعة ـ اذا كان يهواها، تأجيل مستمر لليقين ، واستساغة

دائمة للبقاء على الشك . » (٥٢) وعلى الرغم من أن العرف فى الاقليم «لايقر منزلا يجمع رجلين وامرأة » (٥٣) . الا أن اسماعيل اضطر الى ايواء جاسر الذى اكتشف – بعد فترة قصيرة – حقيقة نرجس وسلوكها المريب فى منفلوط وانتهز الفرصة ، وعاد الى عهده الأول ، فتربص بها فى الدار وواقعها . (٥٤)

دفع اسماعيل ثمن اقترانه بامرأة غريبة على طبعه وبيئته ، وكان هذا الطمع قد تولد فى نفسه بسبب السلطة والسخرة حين خدم فى فيلق العمال التابع للجيش الانجليزى فى الحرب العالمية الاولى وتجول فى مصر والشام مما جعله لا يقنع بامرأة من بلده (٥٥) ، وهذا التناقض بين الزوجين كان سبب التناقض بين خصائص البيئتين فى الخلق والسلوك والعادات ومفهوم العلاقة بين الرجل والمرأة . (٥٦) ، خاصة فى مثل ظروف اسماعيل الذى كان فى أول أمره حين تزوج من نرجس يعيش « عيشة فلاح لا يعرف النقود الا وقت المحصول » (٥٧) ، ثم ما لبث تحت وطأة طلبات الزوجة وجشعها – أن أصبح من المعدمين – فلاح « لا يجد سوى جلبابه الأزرق » بينما زوجه لا تتنازل عن مطمحها .. » (٥٨) وفاحت رائحة السيرة السيئة لنرجس وما تورطت فيه من علاقات آثمة مع بعض الموظفين فى منفلوط . » (٦٠)

كانت نرجس بسيرتها ممثلة لبعض الدوافع البيئية التى دفعت الى انكسار جاسر ، كذلك كان لمدة العقوبة أثرها فى نفسه « فغياهب السجن قطعت فيه عرقا يربط الرجل بمنبته .. » (٦٠)

ويعود جاسر الى العمل فى المحجر وما فيه من طبيعة خشنة قاسية ، يصورها الكاتب أدق تصوير (٦١) ، رابطا بين قسوة العمل وقسوة الطبيعة ، حتى النيل – فى هذه المنطقة له طبيعته الخاصة « لا ترى قوة النيل فى الدلتا .. وهو (النيل) لا يجد حريته الا مع الفيضان » .. (٦٢) ، وكان خروج جاسر من السجن (مع ملاحظة أن سجنه كان فى طره وأبى زعبل أى فى الوجه البحرى) (فى أيام التحاريق)، فكانت ثورة جاسر هى عينها فيضان النيل .. وجاسر والنيل اثنان هد الملل والتعب قواهما (٦٣) ، وكما تحدث مع الفيضان بعض الانكسارات فان جاسرا هو الآخر بعد « فيضان الكيل » فى نفسه اصابة الانكسار ، لم يستطع أن يتحرر من أسر عشقه لنرجس « فليس أكثر تمزيقا للقلب وبعثا للغيرة من عشق امرأة تصد فى حين أنها مبذولة للكثير وزاده تعلقا بها أن ذهنه فى فورته الفجائية (لاحظ كلمة فورته يمكن مقابلتها بكلمة فيضانه ، وأن الفيضان يأتى فجأة الى حد ما) وجد من هذه المرأة وعودة قواه شعورا لا يقدم أحد شقيه الا مع الآخر .. » (٦٤) .

ورتبا أمرا معا ، استأجر جاسر بيتا ليقيم فيه منفردا ، وأعلن أنه قرأ الفاتحة مع حسين رمضان ليتزوج من ابنته (٦٥) ، خاصة بعد تيسر حاله اذا أصبح «ريساء للمحجر نمرة ٦ » (٦٦) ، وعمل على الحاق اسماعيل بالعمل معه فى المحجر .

ولم يكن اسماعيل سعيدا بعمله الجديد فالفلاح الحق هو الذى يرتبط بالارض ، يموت ولا يفارقها ، لكن اسماعيل كان فلاحا « خائبا » ترك الارض وساقه الجوع الى الجبل مرغما وراءه تحريض نرجس (٦٧) ، و « ليس الجبل من طينة شواطىء الوادى » (٦٨) ، ومن ثم ظل اسماعيل « غريبا عن الجبل والعمال ، كلهم قساة لا شهوة لهم فى التحدث وقت الشغل وأغرب شىء فيهم انهم من سحنة واحدة لا يفارقها العثير » . (٦٩)

ويلقى اسماعيل حتفه فى ظروف غريبة أثناء محاولته تهيئة الثقوب للالغام ، وكان جاسر من وراء هذا المصير ـ أو ان شئت قل الجريمة ـ لكن أحدا لم يكتشف أمره • (٧٠) ، وعاد جاسر ليعلن زواجه من نرجس بعد استسماح رمضان فى فك الخطبة خاصة أن أرملة قريبه أصبحت فى حاجة اليه لغربتها ولترملها « اذ لا عائل لها فى بنى شقير » (٧١) ، لكن القدر كان له بالمرصاد ، اذ بعد أن نال ما أراد وحصل على ما اشتهى ، ترهل وأصابه الكسل والتراخى فى العمل ، ولم يحترز من عوادى الزمن (٧٢) ، فتهاون فى أداء العمل ، وكانت النتيجة انفجار الالغام وفقدانه لبصره (٧٣) • وهكذا اكتملت حلقات الانكسار فى شخصيته بعد أن تضافرت العوامل الذاتية والبيئية فى انكساره •

- ٥ -

أما قصة « حياة لص » فان انكسار بطلها كان كذلك بسبب عوامل ذاتية وبيئية ، ذلك أن مجتمع القرية تحكمه تقاليد اجتماعية وأعراف يلتزم بها أهلها ، واذا شذ انسان على هذه التقاليد استهجنه أهل القرية وأصبح يعيش فيها غريبا منبوذا ، ويكون مصيره الخلع من مجتمع القرية بالضبط على شاكلة ما كان يحدث فى القبيلة العربية القديمة ، وبمثل ما نراه فى القرية التى صورها لنا طه حسين فى دعاء الكروان وكانت على مقربة من هذه القرى التى ينتخب منها يحيى حقى أبطاله •

وبطل هذه القصة حسنين ابراهيم ، كان على صلة بامرأة « مشهورة فى القرية بميلها الى الرجال وقلة تورعها فى التحدث اليهم ومقابلتهم ، وما لبثت أن انتقلت الى البندر تحت ضغط الوسط الذى تعيش فيه لترتزق هناك من عرضها •• وهى نهاية محتومة لكل فتاة تستهين بشرفها فى الريف ، وان هربت منها فالى موت أكيد » (٧٣) ، ومن هنا كانت نقطة البدء فى طريق انكسار البطل ، اذ تحدى « الوسط » وقبل أن يربط مصيره بمصير امرأة خالفت تقاليد القرية واخلاق الريف ، وتابع الاتصال بها ورحل اليها • (٧٤)

وهناك فروق ـ بلا شك ـ بين مجتمع القرية ومجتمع المدينة فمثلا « فلاحو القرية فقراء ولكن لا يمتاز بعضهم عن بعض ، يسيرون جميعا من حقلهم الى دارهم كتفا جنب كتف ، ولكنه فى المدينة فقير وسط أغنياء • يقطع المسافات الطويلة سعيا على قدميه ليصل الى أحقر سقف يظلل انسانا تحت سماء المدينة وعلى الرغم من شعور حسنين بهذه الفروق حين ترك القرية الى المدينة وراء شهواته ، لم يجد فى نفسه الشجاعة على ترك المدينة والعودة الى القرية • وكيف يعود ويصبح ـ كما تصور فى نفسه ـ نهبا لمطاعن أهل القرية الذين لا يعرفونه « الا بشهرته فى متابعة فتاة من بلد الى بلد » (٧٦) • والحقيقة أنه « سقط تحت تأثير المدينة وقد استهوته بانوارها ورفاهيتها ومن لا يلتمس له العذر وقد انتقل من أبسط وسط وأخشنه الى مدينة يعتبر مجرد الوجود بها والسير فى طرقاتها لذة وتنعما • والمدينة للقروى كالخمر للشارب تسحره وتأسره فينقلب عبدا ذليلا ويضع تحت قدميها حياته الوديعة الهادئة ليستبدل بها حياة محمومة مضطربة ولكن تنتابها بين حين وآخر نوبات سرور » (٧٧) •

وكان عمل حسنين فى المدينة خفير درك بجنيهين فى الشهر ، ودفعته علاقته بامرأة أخرى غير زوجته الى متابعة السقوط والانكسار • ووقع فى براثن لص

محترف تعلم منه كيف يحتال لكسر أبواب المحال ونهبها تحت ستار الليل • (٧٨) وتحول الخفير شيئا فشيئا الى لص محترف يسرق المحال التى كان مكلفا بحمايتها من قبل ، ولينفق من عائد خيانته للامانة – على عشيقته التى هجر من أجلهـا ومثيلاتها قريته وخلع عن نفسه خصال أبناء بلدته وشيمهم الكريمة » ولو بحثت عن الوقت الذى اشترى فيه (الطفاشة) علمت أنه اشتراها منذ أن بدأ يعاود علاقته مع عشيقته • »(٧٩)

من هنا كان الخروج على تقاليد البيئة – أو كما يقول الأديب (الوسط) – هو أول دافع الى الانكسار عند البطل من أبناء الريف ، اذ يستتبع ذلك أن يعيش غريبا مشتتا بعد أن خلعته القرية ، وهو لا يجد فى نفسه الشجاعة لتدارك الموقف والعودة الى القرية لأن ما تردى فيه من شرور تقتل وفيه قوة الارادة على تصحيح الخط الخاطىء لسيرة حياته بالاضافة الى احساسه بأنه مطرود من قريته لسوء سمعته واذا كان فى المدينة يعيش باحساس المطرود من قريته فان طريق الانكسار يكون ممهدا خاصة اذا كان الدافع الى الانكسار التردى فى براثن الشهوة حيث العشيقة والخمر أو المخدرات ، ولابد أن تؤدى هذه الدوافع الى الجريمة • رأينا هذا فى انكسار عليوى وجاسر ثم حسنين ابراهيم بنسب متفاوتة حسب عمق المؤثرات الذاتية والبيئية فى انكسار البطل أو انتصاره فى المجاميع القصصية ليحيى حقى ثم لغيره من أدبائنا وعقد مقارنات بين هذه العوامل حسب تفاوت البيئات وظروف الحوادث والقضايا التى تعالجها كل مجموعة وحسب منهج كل أديب من أدبائنا •

المنيا – د• محمد عويس محمد

---

(١) هى : البوسطجى وقصة فى سجن ابو فودة •

(٢) هى : حياة لص وقهوة ديمترى ومن المجنون ، انظر فهرس المجموعة ص ١٧٦ ، مؤلفات يحيى حقى « دماء وطين مع ثلاث قصص جـديدة » القصص : ٣/ طبع الهيئـة المصرية العـامة للكتاب / ١٩٧٩ •

(٣) انظر المقدمة فى حديثه عن الصمايدة/٦ وانظر حديثه عن فترة اقامته فى الصعيد/١٠ •

(٤) بطل « البوسطجى » قاهرى انتقل للعمل فى « كوم النحل » باسيوط/ ١٧ وبطل « قصة فى سجن » من فلاحى قرية اسيوط /٥٨١ وبطل « ابو فودة » عامل فى المحاجر باسيوط فى مواجهة منفلوط/١٠٤ ، وبطل « حياة لص » صعيدى من أسيوط ترك القرية الى القاهرة ، فى قلتنا ، انظر/١٤ فى الحديث عن الفروق بين القرية والمدينة ، وانظر /١١٣ فى الحديث عن المراة « البحراوية »/١١٣ قصة ابو فودة ، وأما عن الزمن انظر بالتحديد/١١٢ الهامش وانظر هامش/١٣٦ فى تاريخ نشر « ابو فودة » عام ١٩٣٣ وانظر ١٤٨ حياة لص نشرت لأول مرة عام ١٩٢٦ ، وانظر دليـل القصة المصرية القصـيرة د• سيد حامد النساج / ١٧٤ – ١٧٥ و ٢١٤ •

(٥) انظر / ١٦٦ •

(٦) « هى غير خاصة ببلد دون بلد ، هى ان شئت – (ماركة) لغتها وعديدة منتشرة بريف مصر شمالها وجنوبها • فى كل بلد صغير او قرية كبيرة »/ ١٥١ •

(٧) حياة لص/١٤١ •

(٨) قهوة ديمترى • دماء وطين / ١٥١ – ١٥٢ •

(٩) دماء وطين : المقدمة / ٥ •

(١٠) السابق / ٨ – ١٠ •

(١١) دماء وطين : البوسطجى / ١٦ وانظر تعليق المعاون على بلاغ العمدة بشان جريمة عبـاس الفندى مما يدل على أمية العمدة من خلال لغة البلاغ ، والكاتب يعمد الى الكشف عن الفروق بين شخوصه من خلال عدة أمور من بينها اللغة • انظر /١٨ مثلا •

(١٢) انظر / ٢٤ و ٥٢ و ٣١ مثلا •

(١٣) السابق / ٢٢ .
(١٤) السابق / ١٨ .
(١٧) السابق / ٢٨ .
(١٨) السابق / ٢٨ .
(١٩) السابق / ٢٩ .
(٢٠) السابق / ٣٠
(٢١) السابق / ٣٠
(٢٢) السابق / ٣١ .
(٢٣) السابق / ٣١ .
(٢٤) السابق / ٣٤ .
(٢٥) دماء وطين / ٣٦ .
(٢٦) السابق / ٣٧ .
(٢٧) السابق / ٣٥ .
(٢٨) السابق / ٤٤ .
(٢٩) السابق / ٥٢
(٣٠) دماء وطين / ٦١
(٣١) دماء وطين /٨١
(٣٢) السابق .
(٣٣) ص ٨٢ .
(٣٤) السابق / ٨٣
(٣٥) دماء وطين / ٨٥ .
(٣٦) نفسه .
(٣٧) نفسه ص ٨٧ .
(٣٨) ص ٨٨ .
(٣٩) ص ٩٥ .
(٤٠) نفسه .
(٤١) ص ٩٨
(٤٢) ـ ص ٨١ .
(٤٣) ـ ص ٨٨
(٤٤) ص ٩١
(٤٥) ص ٧٩
(٤٦) ص ٩١
(٤٧) ص ٩٤
(٤٨) ص ابو فودة / ١٠٥
(١٥) دماء وطين / ٢٤ .
(١٦) السابق / ٢٧ .
(٤٩) نفسه
(٥٠) ص ١٠٤ ـ ١٠٥
(٥١) انظر ص ١٠٩
(٥٢) ص ١٠٩
(٥٣) ص ١٠٨ .
(٥٤) ص ١١٤
(٥٥) ص ١١٢
(٥٦) ص ١١٣
(٥٧) نفسه
(٥٨) نفسه
(٥٩) نفسه
(٦٠) ص ١١٥
(٦١) ص ص ١١٧ وما بعدها
(٦٢) نفسه
(٦٣) السابق
(٦٤) ص ١٢٠ ـ ١٢١
(٦٥) ص ١٢٥
(٦٦) ص ١٢٤
(٦٧) ص ١٣٦
(٦٨) ص ١٢٧
(٦٩) ص ١٢٨
(٧٠) ص ١٣٢
(٧١) ص ١٣٣
(٧٢) السابق
(٧٣) ص ١٤٠
(٧٤) نفسه
(٧٥) نفسه
(٧٦) ص ١٤١
(٧٧) ص ١٤١
(٧٨) ص ١٤٥ وما بعدها
(٧٩) ص ١٤٨ .

الهيئة المصرية العامة للكتاب
تقدم

فصول
مجلة النقد الأدبي

صدر العدد الجديد
«حافظ وشوقي ـ الجزء الثاني»
اقرأ في العدد :

شكري عياد	قراءة أسلوبية في شعر حافظ
أحمد طاهر حسنين	المعجم الشعري عند حافظ إبراهيم
شوقي ضيف	حافظ وشوقي وزعامة مصر الأدبية
عبد العزيز المقالح	شوقي وحافظ وأوليات التجديد

مع مجموعة من الدراسات والوثائق النادرة عن الشاعرين

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها
بالقاهرة والمحافظات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

القاع يخرج إلى السطح

فيصل جاسم

في قاع الناس ،
أضاع الطفلُ براءتهُ
وتكاثر فى الأذهان ،
نباتاً ميْتًا ،
وخـرافاتٍ ،
و مًا يتعلم كيف يظلُّ دمًا ،
فى قاع الناس ،
أضاع فضائلهُ
وأمات التوربةَ الزرقاء ،
وأحيا فضَّتهُ ،
فى قاع الناس ،
نُحَصِّنُنِى التقوى
وتفرَّق سرب طيورٍ ميِّتة
وبقايا حنجرة تتفتّتُ
بين وميض الروح
ولجّة جسدٍ أنهكهُ التطوافُ
على أبواب الصدقِ
وأبواب الزلفى
فى قاع الناس ، انكسرتْ جمرتهُ
وأماتُ وأحيا قبل طلوع الفجرِ ،
كآبتهُ ،
ورقيم ولادته الأولى

* * *

فى قاع الناسِ ،
أضاع الناسَ ،
وصورتَهُ

* * *

قمرٌ يتخشبُ بين يديهِ
هو الفرحُ الخلاّقُ ،
هو المشكاةُ ...
أيطلقُ رغبتهُ فى السرِّ
ويعلنُ :
أن السهلَ غدا جبلاً
والجبلَ افترش الأرض
وعاءً دمئًا ..
والريحُ ،
أجـلْ ،
الريحُ تُوَهوه فى الآذان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتُنشدُ آخر ماغنَّاهُ الربُّ
على الجبل المكسوِّ بنور غريرته ،
قمرٌ يتخشبُ
والرعشاتُ تصير دماً ،
والحلُمُ – الخمرةُ ، فاكهةٌ للكاهن حين
تجّننهُ
الصلواتُ الألفُ . .
ينادى المساء ،
أن اكتسحِ الصحراء وخُذ بيدى
فأنا المقتولُ بمرعىٰ الروح ،
أنا المتفرقُ فى الجمع
أنا الموءودُ ولست بـأنثى !!

* * *

يعتصمُ الليلة ، بالحُجرات ،
(نواحُ الوقت)
ووقتٌ تستّره فى الخشب العاطل حان ،
وحانتْ ساعتُهُ ،
أيظلُّ يتيمًا ، دون أبٍ ،
أو أمٍّ تـأخذُ من يدِه يدَهُ ،
تهتزُّ اليابسةُ الصفراءُ ،
وتلفظ آخرَ ماكتنزت من ثمرٍ مرٍّ ،
ودمٍ يدعوهُ أبوهُ المطرَ الرحْبَ
ويظفرُ – حين يغادرُ وقت تستّره ،
بالقمر العاطلِ بين يديه ،
وآخرِ ماغنَّاهُ الربُّ ،
على الجبل المكسوِّ بنور غريرتِه
أحصى الأنهار ، وجمَّعها فى الموقدِ ،
قوَّض قصر أبيه الآشورىِّ
وأسمع آخرَ إمرأةٍ ستموتُ ،
نداء سلالتهِ ،
أيكون إذن قد غادر صَحْوتَهُ ،
وتسربل بالنشوة والنارِ ،
تصُدُّ غريزتَهُ الأسماكُ
وأشجارُ الدّفلى .
والطينُ الغرْينُ ،
والخرزُ المتجوهرُ بين يدى
أمةٍ فرعاء ،
وخوذةُ مقتول فى الحربِ ،...
لهُ ،
أن يفقه كينونتهُ
ولهُ ،
أن يدحضَ سرَّ القاتلِ والمقتولِ ،
وسرَّ أبيه ،
لهُ ، ، ،
أن يأخذ قاع الناس ،
إلى قاع فى البحر ،
ويطمرُهُ ،
ليعود بقاع غريرته

* * *

جسدٌ يتأجّجُ تحت هزيع اللغة المرّة ،

كان يؤلبُ بَرَّ الأرض علىٰ بحرِها ،
أَينع في الأسطورة ،
حين يغادرها الثعبانُ ،
ويفقأ عينيها الملكُ المخبوءُ بظل
الخاتِم ،
أسحرهُ المـاءُ
وإنشادُ الرمل المتشقق
والدمعُ ،
خفيفًا مثل الحجرِ الميّت كانَ ،
فكيف يدبُّ الدود إذنْ ،
في الجسد المنهكِ من هيئتهِ ،
دارَ علىٰ مادارَ ،
وأدركَ سرَّ طفولتهِ ،
واخترق الحاجزَ والحيطانَ ،
ومرَّ وئيدًا ،
بين زمانٍ أطاعهُ القدّاسُ
وآخر أخفاهُ الملكوتُ .

* * *

إختم بالحجرْ
وانعزلْ في التضاريسِ والموتِ
والمدن البائدة ...
أبْطلْ غمامتك الفاسدة
احترق بالحجرْ
واتحن في شرشف المائدة ...
وكُن ماتشاءُ ، انفردْ
في جنازتك العائدة

* * *

في دورة العشبِ ، انصهرْ ...
في القاع ياقلبَ المتيمِ ،
إنه ،
من صورةِ الحكمةِ إذ تتكوَّنُ الروحُ الخبيثةُ
في دمِ الكلماتِ ،
يأتي
ثم يغتالُ الحمامةَ ،
كيف مسَّ الأرض من جهة فأمست طائرًا
نسرًا ،
وأمستْ جنّةً في سابع الأيامِ ؟؟
كيف ارتدَّ مأخوذًا ،
بجُثتهِ
بحبل مشيمةٍ صلدٍ
وقاومَ سرَّهُ ، أستوتِ البريةُ تحت بنصرِهِ
وفتّح نرجسًا في النّاسِ ،
فاغتاظت زعانفُهم
وأيقن أنَّ نبتة خلقهِ انجرفت
لقاعٍ
ليس يدركهُ

المغرب : فيصل جاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بلاغ عن مقتل البهجة

رجب سعد

حين أصـــل الى باب مسكنى ، أشعر بانتهاء اليوم فعلا . عنـد البـاب ، أفكـر فى البيجاما والشبشب والحمـام ، ثم السرير . وعنـدما أضغط الجرس ويتأخر فتح الباب ، تمر اللحظات بطيئة جدا ، وأشعر بالارهاق الشديد .

ومن خلال التشويش الذى ملأ رأسى ، بزغت فكرة انها لم ترجع حتى الآن . حاولت أن أحمل اللفافات بيد واحدة لأبحث بالأخرى عن المفتاح فى جيوبى . أفلتت بعض الأكياس ، ثم تهاوت كلها . انطلقت يداى تبحثان . لم أجد المفتاح سمعت صوت حركة خلف باب الجيران . أنير مصباحهم الخارجى . قبل أن أتحرك وأعتدل فى وقفتى ، كان جارى يقف قبالتى فى حلق بابه . كانت الدهشة تملأ وجهه . اندفع منحنيا يحاول جمع الطماطم والخيار من على البلاط :

ـ يا ساتر .. ماذا حدث !! .

تبعته زوجته وولدان . اشتركوا جميعا فى إعادة كل صنف الى كيسه . تحدثوا أثناء ذلك، ولكنى كنت ـ خلال العملية ـ واقفا أحتضن حقيبتى فيما يشبه البلاهة . قال الرجل :

ـ لا يمكن أن نتركك واقفا على السلم .. تفضل بالدخول عندنا لحين تحضر الاستاذة !.

نظرت فى عينيه . كان وجهه يبتسم . كانت ملامحه تقول انه يعرف كل شيء . وهذه أول مرة أرى وجهه بوضـوح . انه ـ ببساطة ـ يقتادنى الى الداخل . سبقتنا الزوجة الشحيمة . جلست فى أول مقعد . رتلت الزوجة كلمـات الترحيب . خرجت . لم يكف الرجل عن النظر فى وجهـى والابتسـام . كان المقعد وثيرا ، فاسترخيت فيه . ردد الرجل « أهلا وسهلا » لخامس مرة ، فرسمت ابتسامتى لخامس مرة . هـربت من عينيـه الغبيتين ، ورحت أتفحص مكونات الحجرة . قال الرجل :

ـ خطوة عزيزة .. رب صدفة خير من ألف ميعاد !

ـ الله يكرمك !

ـ نعم الجيرة .. شهادة لله ...

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

دخلت الزوجة ، ووضعت المشروبات على المائدة الصغيرة أمامي . نظرت الى زوجها بقسوة .

ـ الدكتور يزورنا لأول مرة ، وأنت جالس هكذا لا تقوم بالواجب ؟! .

مدت يدها الى علبة خزفية وقدمتها لي . أخذت مكعبا . أصرت على أن آخذ قطعة أخرى : للأستاذة ! .

أخذت ألوك قطعة الشيكولاتة . داهمني الاحساس بالجوع . جاء ولد وتقدم الى معلبات المشروبات وفتحها . صبتها الزوجة وقدمت لي كأسا بللورية . ذهب الولد وانضم الى أبيه ينظران في وجهي .

رفعت المرأة وجهها . كانت عيناها واسعتين مكحولتين ، لا جمال فيها ولكن قوة وتسلط . أمرتني :

ـ صل على شفيعك ..

تمتمت :

عليه الصلاة والسلام ..

وضعتني في بؤرة المفاجأة .

انطلقت :

ـ كلمنا الأستاذة من قبل ، ولكنها لم تسأل فينا .. طبعا ، لا تعض فى عمها .. لامؤاخذة .. الموضوع باختصار أن سكان العمارة قرروا استرداد المبالغ المدفوعة كخلو رجل لمالك العمارة .. عم الأستاذة .. قلنا نتصل به لننهي الموضوع من غير وجع دماغ .. ما رأى الدكتور ؟ .

أرهقني التطلع فى عينيها وحاجبيها المهتزين. قال الزوج :

ـ طبعا .. حقنا ..

أسعفني ، فرددت وراءه : طبعا .. حقكم ..

عادت الزوجة الى اطلاق كلماتها :

ـ بصراحة .. كل السكان قالوا لعلك تنضم الينا .. كلنا نعرف انه لم يرحمك ، ولم يراع القرابة ، وأخذ منك ألفين ..

فاجأتني تماما . لابد أن أعترف بأنها صدرت الى حماسها . نعم .. كان يعرف أن ابنة أخيه مريضة ، ومع ذلك لم يعطنا الا شقة فى الدور السادس وأخذ كل مدخراتنا .. ولا زالت تقول عمي .. عمي ! وهى تعرف أنه عاملنا كالأغراب. فهل يمكن أن أصدمها بموقف ضده ؟ .

ـ سأدرس الموضوع ..

ـ شوف ياسي الدكتور .. الموضوع لا يحتاج دراسة .. ان كنت محرجا ، أخرج من اللعبة.. وما على الرسول الا البلاغ ..

قل له : ياعم ، الناس تطالب بفلوسها ، وتعرف لنا رده ! .

كيف تستطيع أن تجعل الأمور واضحة وبسيطة هكذا ؟! . سعل الزوج خفيفا :

ـ خير .. خير .. معرفة خير باذن الله يا دكتور ! .

ضقت تماما . وفي الوقت المناسب دخلت بنت صغيرة وأعلنت أن الأستاذة وصلت . انتفضت واقفا . حييت واستدرت الى الباب .

استقبلتني زوجتي بنفس الابتسامة استدرت وتركتني أغلق الباب . وضعت الأشياء ، وأسرعت الى حجرة النوم . نزعت ملابسي ، وتنفست مرتاحا في الجلباب الفضفاض ، لأول مرة منذ الصباح . جلست مسترخيا في انتظار أن تأتي لتكلمني . لابد أنني غفوت قليلا . مرت بي ، وقالت : «حمامك معد .. » ودخلت تحت الأغطية . سألتها :

ـ ألن نأكل ؟ .

زامت :

ـ أنا متعبة .. سأنام ..

ـ بعد الحمام سأعد وجبة سريعة لكلينا ..

ـ لست جائعة .. آكلت عند أبي ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انسحبت الى الحمام صـــامتا • فى مرآة الحوض ، رأيت وجهى • لم أسترح له • لم يكن وجهى هكذا أبدا • كان وجه رجل آخر • لماذا لم أكن أتفحصه كل صباح وانا أحلق ذقنى كان يجب أن أدقق فيـه كل يـوم وأتتبعـه ، ولا أتركه يفاجئنى هكذا • هل أنا ـ حقـا ـ أصبحت لا أعبأ ، وأعيش مستكينا ؟ • قالت أيضـا اننى نسـيت كل شئ ـ بمـا فى ذلك نفسى ـ وأصبحت أهملها هى أختى الوحيدة • قالت أيضا أن هذه الزيجـة كانت كارثة على الجميع ، وأولهم أمنا التى قتلها الحزن بعد أن ادركت أنها لن ترى أحفادا لها منى •

تركت الماء الساخن ينسال فوق جسـمى •

أحسست بالكآبة تزايلنى وأنا أحيط رأسى بالمنشفة • جاءنى صـوت « منى » وأنا أمـر بالصالة الى المطبخ :

ـ أنبوبة الغاز فرغت ••

توقفت • وأنا الذى كنت أحسب الحمـام أزال توترى • اتجهت اليهـا وقفت بجـانب جسمها الممدد على السرير •

ـ منذ متى نفد الغاز ؟ •

ـ فوجئت بذلك حالا ••

ـ فنمت جائعـة ، وتكاسـلت عن اعـداد العشاء ••

أماطت الغطاء عن وجهها :

ـ أنت تعـرف صـعوبة التعامل مـع موقد الكيروسين ••

أردت أن أصرخ محتجا بلهجة قاسية ، ولكنى اكتفيت بأن أردد :

ـ لست أدرى الى متى هذه الفوضى !

ذهبت الى المطبخ • التفت الى الثلاجة لأضع بها الفاكهة • تذكرت عطب محركها • قذفت بالأشياء فى أى اتجاه • توقفت شهيتى تماما • أطفأت الأنوار ، وعدت أسحب قدمى • ارتميت فوق السرير مترعا بالكآبة • كان الدم يسرى فى رأسى حارا ، وتوهجات تتـدافع من كل الاتجاهات تكـاد عينـاى المقفلتان تمسـكان بالتماعاتها المراوغة • أين النوم ؟ • أطلق صدرى زفرة طويلة • أحسست بحركة « منى » قبل أن تتساءل فى حذر :

ـ هل ستنام ؟ •

لم أرد • أردفت :

ـ لم تقل لى تصبحين على خير ! •

غمغمت :

ـ تصبحين على خير •

مرت لحظات قبل أن ترسل ـ كما توقعت ـ سؤالها الثانى :

ـ هل أكلت ؟ •

هى تعرف ، وأنا أعرف ، أنها لن تستطيع النوم جائعة • مع ذلك ، جعلنى ذلك الخاطر العابر ابتسم •• وتحقق ما عن لى :

ـ أنا عارفة •• لك حق •• فأنا امرأة كسول لا تصلح لشئ ! •

انتابتنى رغبة شديدة فى الضحك • لم أقاوم كثيرا • انطلقت أضحك بصوت أحاول كتمانه، ثم اعتـدلت مسـندا رأسى الى جـدار السرير ، وأطلقت ضـحكاتى عالية • فزعت « منى » ، وأضـاءت مصباحا بجانبها • أخذت تنظر فى وجهى مرتعبة • تعالت ضـحكاتى وطالت • شعرت بآلام فى صدرى ، وسالت دموع كثيرة على وجهى • كفت الضحكات دون تدخل منى • كانت منى تسـند رأسى الى كتفهـا ، وتجفف دموعى • خيل الى أنها تنزع عنى أربطة تشد عضلات وجهى • كانت لا تزال تنظـر الى فى خوف ، وكانت الدموع تملأ عينيها •

ـ ماذا جرى ؟ •

ـ لم أضحك بقوة منذ سنوات ! •

ـ فاجأتنى وأرعبتنى •• لم يكن ثمة مايدعو لكل هذه القهقهات ! •

قلت ، بهدوء شديد :

ـ حقا •• ؟!

ما سر هذه القدرة ـ الليلة ـ على الاكتشاف ؟. ما سر هذا التوهج ؟ .

في بداية اللقاء مع المنغصات كان التوتر والضيق . كنت لا أرى غير أن أعطال الثلاجة مستمرة ، واهمال « منى » ، وارهاق اليوم الطويل ، وقضية الجيران ، والرغبة في الراحة واسكات عواء المعدة . في تلك اللحظة النادرة، مر شعاع ، فرأيت الحقيقة تخرج لسانها معابثة .

جلست وهي تقذف بالغطاء :

ـ وهل يكون الضحك هكذا ؟ .. جنون !! .

ـ لم أكن أعرف أن ذلك هو الجنون ! .

ـ علام تضحك ؟ .. منى !؟ .

ـ عودي الى النوم .. عودي الى النوم ..

كانت الكلمات بطيئة ، بعد أن هدأت تلك الجذوة التي تسميها زوجتي جنونا .

ألقت بنفسها خارج السرير .

ـ أعرف أنك لم تعد تطيقني .. هل وصل تأثيرهم عليك الى هذا الحد ؟ .

كنت أعرف هذه النغمة . قمت أنا أيضا ، ولكن جالسا في الفراش . صامت في :

ـ أليس كذلك ؟ .. لماذا لا تتكلم ؟ .

كان الانقلاب واضحا . كانت واقفة تتحفز. وكان هدفي أن أحمي قلبها من موجة توتر عاتية .. قلت من خلال الدهشة :

ـ منى .. تعرفين أنني لا أستمع لأي أحد .. تعرفين كم أحبك ..

واصلت الصياح القاطع :

ـ لم تعد .. لم تعد ..

نزلت من الفراش ، واتجهت اليها .

ـ منى ..

كانت تبعد عني خارجة من الغرفة الى الصالة تصيح :

ـ ولكنني سأعرف كيف أوقفهم عند حدهم..

التفتت الي ، وهي تجلس ، وقد هدأ صوتها فجأة :

ـ هل تريد أن تعرف أين كنت اليوم ؟! .

وكان شبح ابتسامة غريبة يترامى فوق وجهها . ولم أكن مستعدا لتلقي كلماتها وهي تنطلق واضحة ، محددة ، مهولة :

ـ ذهبت مع أمي الى الطبيب .. وتأكدت من أنني حامل ! .

لست أدري ماذا قالت « منى » بعد ذلك . فلابد أنه قد مضت فترة قبل أن أتمكن من سماع صوتها ، وأراها وهي تدور في الصالة مهتاجة :

ـ أليس هذا هدفكم ؟ .. ألا يسعدك ذلك ؟ .. لكي لا تندم على زواجك بامرأة مريضة !! .

حاولت أن أوقفها لأحتضنها ، وأخبئها من الأيام المقبلة التي صارت علامة استفهام كبيرة . زاغت مني .. انفلتت من بين يدي ، وهربت الى حجرة النوم ، وأقفلت خلفها الباب . ناديتها . كان صوت نشيجها يصلني . طرقت الباب . صوت النشيج . مال رأسي الى الباب . لم أكن أفعل الا تساؤلا يتردد :

ـ لماذا ؟ .. لماذا ؟ .

استدرت ببطء . ظللت واقفا أحدق في الظلام الخارجي من خلال النافذة الزجاجية . رأيت على مرمى البصر ظلالا مرتعشة في نافذة قاصية قبضة وسكينا .. وجسم آدمي يقاوم قليلا ثم ينهار . جريت الى النافذة . كان الجسم قد سقط ... واختفت كل الظلال .

الاسكندرية : رجب سعد السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

انحناءات

محمد سليمان

ينحنى للمرايا ...
ويودِعها وجههُ المستطيل .. ، وأصقاع
رجليْه ،
وردَتهُ .. والهواءَ المسمَّم ثم يصيحُ : أنا
أول الماء
دلَّت على الصقورُ
أنا أول الماء دلَّ على الخضارُ ،
ودلتْ مسافةُ وجهى
فساقت إلى المدينةُ أسواقها والشوارعَ
ساقتَ إلى المرابينَ والبائعين ،
وساقت إلى الدخانَ وأقبيةِ السُّكرِ والسارقينَ
وساقت إلى القلبِ
طعْمَ الأرقْ .
....
....
ينحنى للمرايا
يُحدثها عن هبوب الظلامِ ، اتساع العفونة ،
يهتف :
مسكونةٌ بالجروح الشوارعُ
جرح جميلٌ ... وجرحٌ يسيرٌ ..
وجرحٌ يقهقهُ .. . ،
تُعبِّىء نفسك بالنوم .. ، .. أم
بالمخدر .. ؟
هل تتفتحُ فى آخر الليل .
أم تتَفتح كى تستعيد البلادَ التى
أنكرتك ،

ARCHIVE
https://Archivebeta.Sakhrit.com

الزمان الذى رجَّ قلبكَ ،

أم تستديرُ ،

على طيف زنبقة

. . . .

. . . .

ينحنى للمرايـا ...

ويلقى بأقدامه للطريق ،

يُفتش عن طلعة أنهكتهُ

فتدفعهُ الأوجه الخشبيةُ والأوجهُ الحجريةُ ،

والعرباتُ ،

وجسرُ على النيلِ يحكى لمركبةٍ تتخبط فى

ملل الماء ،

عن غيبةِ الوجه ... ،

والعابرون يمرون فى المقلتين بلا رايةٍ أو

نشيد .. ،

ألقاهم الليلُ

أم زلزلاتُ المقطم

أم أنهُ المحوُ ... ؟

« كان الشتاءُ يقلّب أوراقه فى الشوارع

والنيلُ يركع بين القلاع يخبىء عينيه ،

والهرم المتعجرف يُطلى ملامحه بالغبار »

تقوّس ،

ثم انحنى للحوائط ،

كى يستردَّ من الصخرِ أعوامَه المستحيلة ،

لن يُبدلَ الوجهَ لن يتفرع فى دورةِ الريحِ

لن يستريح على مقعدٍ فى مساء الشتاء ،

يغازله الدفءُ ...

لن ينحنى كى يداعب أطفاله القادمين ،

ولن يتحدر من رعب وحشتهِ

. . . .

ينحنى للمرايـا

ويودعها وجهه المستطيل ويودعها أُغنياتِ

البلاد التى تتسربُ ،

من مقلتيهِ .. ويودِعها قلبَه المتوهجَ ثم يغادرُ ،

متشحا بالطفولة عصر التوابيت

« هذى بلاد يطوقها النومُ .. يأسرها

الميتونَ ، يخوّفها الصبحُ والبحرُ والريحُ ..

هذى بلاد يُخدِّرها الحكْيُ ، يحكى لها

الواقفون .. ويحكى لها القاعدون ..

ويحكى لها الميتون .. فتهبط . . . » غمغم

حين استدار ، إلى الشمس

ثم مضى صاعداً فى الأفق

القاهرة : محمد سليمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هذا الضاحك المضحك

من شدة الحزن

فتحي العشري

يضـحك في مرارة ، ويضـحك بمرارة ٠٠ فالحزن والحزن الشديد هو الذى يلفه ويغلف فكره بحيث يظهر واضحا جليا فى مسرحه ، منذ طرق بعنف ابواب «الكوميديا السوداء» فى رائعته « انت اللى قتلت الوحش » وهادفتـه « بكالوريوس فى حكم الشعوب » ، حتى فتح مصرعى باب « الكوميديا الحزينة » فى هذه الرباعية : « الكاتب فى شهر العسل » و «المتفائل» و «الكاتب والشحات» و «الملاحظ والمهندس» ٠

فانت أمام « على سـالم » لا تملك الا أن تتـأمل ، فقامته طويلة عريضة ووجهه سماء مكشوفة مرصعة بعلامات المجهول ٠٠ وعندما يتكلم ، لا تملك الا أن تتـألم ، فنكاته ساخرة ، وقفشاته قاهرة ، فاذا كتب لا تملك الا أن تتحمل، فموضوعاته جراح مفزعة ومعالجاته أنات موجعة ٠٠ فهو يقدم لك الزهرة لتتمتع بجمالها وتتشبع برحيقها ، ثم ينزع أوراقها وسط حسراتك ورقة ورقة بنعومة وقسـوة حتى تصطدم كل حواسك باشواكهـا الدامية ، فلا تقدر وانت تضحك بهستيرية الا أن تبكى فى هدوء ، وهدوء قاتل !

فماذا فى هذه الرباعية القاتلة ؟!

« تاريخ مسرحى ضاحك لمرحلة من حياتنـا السياسـية والاجتماعية ، وهى أيضا صرخات تحذير وشهادة صادقة على العصر ، من أجـل حياة أكثر جمالا وعدلا » ٠

هكذا يقول الكاتب فى مقدمته ، كما يقـول عن نفسه وعن كاتب المسرح بشكل عام أنـه عاشق للحياة وللدنيا ، وأعماله فى النهـاية بطاقات دعوة للناس لكى يشتركوا معه فى حب الحياة ومعاداة القبح » ٠

وهذا صحيح ، وصحيح جدا ، فالمسرح رسالة سواء تم ذلك بوعى أو بلا وعى ٠٠٠ وهو أيضا دور القارىء والمشاهد والناقد !

تتلخص الملهاة الأولى – أو المأساة – فى الاعتقاد الراسخ لدى أحد الأدباء ، بان كل ما حوله يتحول الى أجهزة سرية دقيقة ترصد حركاته وسكناتـه حتى وهو يقضى شهر العسل مع زوجته فى أحد فنادق الفيوم ٠٠ وهو اذ يطلع زوجته على مخاوفه وهواجسه وتوقعاته ، التى تتمثل فى التليفـون المفكوك والميكروفون السمسمة فى الشوربة وحذاء الجرسون وشرابه ومدخنـة فرن بائع البطاطا المزيف وساعته الالكترونية والذبابة التى تحمل جهاز تسجيل فى ساقها والكاميرا المركبة فى دش الحمام وفى السيفون ، تعتبره مجنونا وتطلب منه الطلاق بعد سبعة أيام من زواجهما ٠٠ وعندما يدعوها فى النهاية لاعادة النظر والتفكير ، تطلب منه تركها وحدها فى الغرفة ٠٠ وتكون المفاجأة فهى ترفع سماعة تليفون خاص وتطلب رقمـا

واحدا لتخاطب مكتب المخابرات المركزى لتبدى ملاحظاتها على استخدام الأجهزة التى كاد زوجها أن يكتشفها كما تقول عنه أنه « **ليست له ميول سياسية واضحة ، ليس منضما لتنظيمات ، يهتم أساسا بمشكلة المواصلات ، يحلم بمقعد خال فى الأوتوبيس لكل مواطن ، وسرير فى المستشفى لكل مريض ، ومكان فى المدرسة لكل طفل وكوب لبن فى كل صباح ... » ثم تبدى لهم ملحوظة أخيرة مؤداها أن« هناك أجهزة أخرى تتابع الموضوع ..وأشخاصا آخرين يتابعون العملية ، وأشخاصا آخرين يتابعون الأشخاص الذين يقومون بمتابعة الأشخاص الذين يراقبون الأشخاص الذين يسجلون للأشخاص » الخ ...**

ونكتشف أن هذه الزوجة نفسها سبق وأن تزوجت من شاعر ولم يستمر زواجهما أكثر من شهرين ، وأنها تزوجت بعد ذلك من كاتب مسرحى ولم يستمر زواجهما أكثر من شهر واحد ، ثم تزوجت من ناقد ولم يستمر زواجهما غير عشرة أيام .. أما زواجها من هذا الأديب فلم يدم غير أسبوع واحد .

ويسدل الستار ببطء شديد جدا ، على المسرحية الأولى « الكاتب فى شهر العسل » ، لتنفرج بالبطء الشديد جدا نفسه عن المسرحية الثانية « المتفائل » ..

□

والمتفائل عالم أو مفكر يسعى لمقابلة أحد المسئولين ليقدم له يد العون والمساعدة فى شئون قومية تفيد الناس جميعا ، ولكن السكرتيرة الحسناء المجهدة من كثرة العمل ، تبلغه من حين لآخر أن المسئول مشغول وعليه أن ينتظر ، ويمر الوقت بطيئا أحيانا مملا أحيانا أخرى ، وخلال هذا الوقت يتحدث المتفائل عن نفسه وعن مشروعاته وعن أفكاره ، دون أن تبالى به السكرتيرة ، وان مالت مرة أو أكثر الى الابتسام وكادت أن تنخرط فى البكاء مرة أخرى أو أكثر من مرة .

وعندما يصل المتفائل الى حافة اليأس ، يندفع فجأة الى مكتب المسئول متخطيا السكرتيرة التى تحاول منعه دون جدوى . وعندما يدخل الى المكتب المغلق يفاجأ بحجرة خالية الا من الجدران ، فلا يوجد مكتب ولا مقعد ولا مسئول ، يترنح الرجل ويغيب فى اغماءة السكتة القلبية ، فتغمض السكرتيرة عينيه وتجلس الى مكتبها وترتب شعرها وتعيد زينتها وتضغط زرا فيدخل رجلان يرتديان المعاطف ، يحملان المتفائل ويخرجان به ، بينما تعود السكرتيرة الى الانهماك فى العمل بعد أن تضىء لمبة مكتب المسئول الحمراء .. ويسدل الستار ، ليرتفع مرة أخرى عن المسرحية الثالثة أو مأساة « الكاتب والشحات » .

□

أما الكاتب فيعطيه المؤلف اسما مستعارا رمزيا هو « زرمبيح » ، وهو كاتب له شهرة واسعة ، فمقالاته مؤثرة وكتبه متداولة ومترجمة وأفكاره متغيرة بتغير الظروف والنظم ، امتدح « محمد نجيب » ثم انهال عليه تجريحا ، وهلل لعبد الناصر ثم انقض عليه تمزيقا ، وهو يصفق اليوم للسادات وغدا سوف يعريه تماما ، وهكذا .. وهكذا نراه اشتراكيا أحيانا وشيوعيا اذا لزم الأمر ، وأحيانا أخرى تراه ديمقراطيا ورجعيا اذا اقتضى الحال ، كما نراه حزبيا أو مستقلا .

أما الشحات فهو حاصل على ليسانس التاريخ بتقدير جيد جدا وحاصل على الماجستير أيضا ، ولكنه ترك الوظيفة وهو مدير ادارة كما أهمل رسالة الدكتوراه ، لأنه وجد فى الشحاتة تحررا وتكسبا نتيجة لايمانه بمبادىء الكاتب زرمبيح هذا وبعد أن هجرته زوجته وسجن ابنه لاشتراكه فى عصابة لسرقة السيارات ولم يحضر امتحانات الثانوية العامة ، فأحس بوحدة قاتلة فى شقته الواسعة المطلة على النيل وسيارته الفارهة القابعة فى الجراج ، وفضل الشحاتة التى يدر عليه منها يوميا خمسة عشر جنيها شتاء وخمسة وعشرين جنيها صيفا نصفها بالعملة العربية الصعبة .

يتعرف الشحات المثقف على الكاتب الشهير فى اشارة مرور الكوبرى الجديد ، ويدور بينهما الحوار الذى نعرف منه المعلومات السابقة عنهما .

وتتعطل سيارة الكاتب ، فيتطوع الشحات باصلاحها ، بفك المحرك قطعة قطعة بحيث لا يصبح هناك سبيلا لاعادته كما كان ولا أبدا ..

وهنا يشن الشحات هجوما ضاريا على الكاتب كاشفا حقيقته المتمثلة فى الانتهازية والوصولية ولو على حساب شعب بأكمله وأمة بأجمعها .. ويطلب منه أن يرديه قتيلا بالمفك والا قتله هو ، فلا يجد الكاتب مفرا من قتله بأسلوب الانتهازية ذاته ، ويصل جندى المرور وأمن الشرطة وبعض المارة ويغطون الشحات بأوراق الجرائد القومية الثلاث .

وفى اليوم التالى ، بعد أن يكون الستار قد أسدل على المأساة ، تصدر وزارة الداخلية

الوطنية بيانا تؤكد فيه أن الشحات انتحر بعد أن فشل في قتل الكاتب الكبير وتهيب باصحاب السيارات الا يديروا حوارا مع المارة عند مطالع ومنازل الكبارى العلوية أو تقاطعات الشوارع الرئيسية والجانبية تجنبا للحوادث وتعطيل حركة المرور الانسيابية ٠

ومثلما تمثلت القمة والقاعدة فى « الكاتب والشحات » نراهما تتمثلان مرة أخرى فى «المهندس والملاحظ » أو « الملاحظ والمهندس » ٠

□

يصل المهندس الى استراحة العزاب بالقرب من أحد المصانع الكبرى بالصحراء ، فيجد الملاحظ فى انتظاره ٠٠ ويدور بينهما حوار طويل على امتداد المسرحية نعرف منه أن المهندس متوجس دائما ، يشك فى كل شىء ، ويعمل بكل الطرق وكافة الوسائل على حماية أمنه الشخصى ، فيحمل معه مسدسا ورشاشا وبندقية صيد ، كما يحمل الكتب والمراجع التى تذكر وتصف بالتفصيل حوادث القتل والاغتيال عبر التاريخ فى كافة بقاع العالم ٠٠ ولهذا يفترض فى الملاحظ نية الغدر ، لمجرد احتمال عدم استلطافه ، ويتوقع بصفة مستمرة وقوع العدوان من خارج البيت عن طريق النافذة ، أو وهو فى طريقه الى المصنع أو داخل المصنع نفسه ، وهكذا ٠٠ بينما لا يشعر الملاحظ بأى خوف حتى من تلك العقارب الزاحفة التى يقهرها بالشبشب ويشعل النار فى جثثها ويلقى بها من النافذة ٠٠ ولذلك لا يحدث أى انسجام بينهما ، بل يتحول الموقف الى فتور ونفور ٠٠ وتمر الليلة على هذا الحال حتى يخلد الملاحظ الى النوم ويستغرق ، بينما يظل المهندس ساهرا متحفزا يرتعد خوفا ويموت رعبا ، فى انتظار اسدال الستار ٠

هذه المآسى الضاحكة المضحكة أو الملهاة الحزينة المحزنة تتناول حياتنا بالتقريب أو كل حياتنا تقريبا ٠٠ وكان من الممكن ـ فهى فى مضمونها تنويعات على لحن جنائزى واحد ـ أن تظل هكذا من حيث الشكل أيضا ، وتأكيدا لهذا المضمون ٠٠ فهى ثنائيات ، الكاتب فيها عنصرا مشتركا ، حتى لو ظهر مرة على هيئة مهندس ، ومرة أخرى بصفة المتفائل ٠٠ ولذلك كان من الاجدر ـ لو تنبه المؤلف عندما قام بجمعها فى كتاب واحد ـ أن يجعل من الكاتب موتيفة أساسية بحيث يمتد ذلك الى العناوين ذاتها وعلى هذا النحو : « الكاتب والزوجة» و « الكاتب والسكرتيرة » ، «الكاتب والشحات » ، « الكاتب والباشكاتب » ٠٠ وهذا هو بالفعل التقسيم الوارد أصلا ٠

فماذا فى لغة المؤلف وحواره ؟

يستخدم الفصحى (فى السرد) والعامية (فى الحوار) بالقدر نفسه من البساطة والرصانة والسلاسة والاتقان ٠٠ وهى فى مجملها لغة عصرية تتضمن المصطلحات العلمية الجديدة والكلمات التقنية الحديثة ، على الرغم من الاستعانة بين الحين والآخر بالأسماء الفرعونية كوسيلة من وسائل الربط والتواصل بين القديم الأصيل والجديد المعاصر ٠

أما الحوار فقد نجا من هوتين معا ، هوة المحاورة وهوة المباشرة ، خاصة وأن الحديث يدور بين شخصيتين فقط تمثلان فى الغالب اتجاهين متعارضين وتتبنيان فى الأعم مبادىء مختلفة ٠٠٠ ومع هذا فان كل شخصية تصدر عن ذاتها بمواصفاتها فى المقام الاول ثم تصدر عن المؤلف بصفاته بعد ذلك ٠٠ فتظل وهى ترمز ، حية نابضة ، سلوكا وتعبيرا ٠

وقد استحدث « على سالم » ـ فى مسرحنا العربى على الاقل ـ الخيال العلمى الذى اقترن بالرواية العالمية ثم العربية ، وان كان قد ركز على آلات وأدوات وطرق ووسائل التجسس والتصنت والتخابر والمخابرات ٠

فاذا انتقلنا الى فن الكاتب ، نراه يعتمد على البلاغة والمبالغة ، فهو قادر على أن يجعل « من الفسيخ شربات » و « من الحبة قبة » وذلك من خلال المواقف مهما كانت عادية وسريعة ، والافكار حتى وإن جاءت مكررة ومعادة ٠

وحتى لا نكرر ونعيد ، نكتفى بالتأكيد على موهبة « على سالم » الفذة التى أصبحت تكتسى بالتمكن الحرفى أو المهنى وبالمكانة الأدبية والفكرية المرموقة والراسخة ، فتميز وتفرد بذلك مسرحه !

القاهرة : فتحى العشرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الرّحيل مجدول من الخوص

جار النبى الحلو

على الزجاج المغبش للنافذة رسمت شجرة وخطا وقمرا ، ولما طال بى القلق فتحت النافذة ، رحت أحملق فى الشارع الموحل والعيال الحفاة والعربات المتلكئة •

لابد أن رسالتى لابى قد وصلت ، الرسالة تصل فى ثلاثة أيام ، وها قد مرت سبعة أيام ، وأنا فى انتظار أبى ، قلت له يا أبى العزيز اننى اكره المدرسة وأحب الغيط ، أحب لحظة انتظارى لطيور السمان ، وأعرف موعد هجرة النبى ، وأوان حصاد القمح ، ولا أحب المدرسة ، قلت له : تعال خذنى يا أبى ، وساعدنى فى حمل العفش القليل ، وأحضر معك فلوسا لنحاسب صاحبة البيت ، وصاحب العربة الكارو التى ستحمل العفش ، أترك الناقة فى عنق أمى حتى اعود ، وأخوتى البنات سيقفن مثل الديدبان فى بطن الحقول يرقبن عودتى •

الكنبة الخشبية تحت الشباك ، هكذا شئت انا ، حتى أطل من الشباك ، أرقب الحارة الضيقة فى الضوضاء والسكون ، فى عين النهار وصمت الليل ، أرقب الدار التى أمامنا ، المرسوم فوق واجهتها كعبة زرقاء ، وطائرة حمراء ، وفيها تسكن سيدة سمينة تحرف العصبة ذات الدلايات على حاجبها ، وتقيم الزار ، أسمع الدفوف العالية اللاهثة ، وتأوهات النسوة ، أسمعها كأننى معهن ، أرى النسوة يغسلن أمام عتبات الدور الخرق القديمة ، والبنات وهن يخلعن ملابسهن - عبر النوافذ - ، والنجار الذى يحفر بدقه فى يوم كامل نقوش دولاب ، الدق ، ورائحة الغراء ، ودخان النشارة المحروقة ، وسامية ، والبنات ، وأخى • آكل ، وأمشى فى شوارع البيع والشراء والكاسيت ، أتخبط فى الناس ، اتفرج على دور السينما ولا أذاكر •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنا لى كتبى ، ولى حلمى بالمساحات الفسيحة ، والهواء الذى يجعل أمى تنعس هناك بجوار الشجرة ، تحلم بأرضها المسروقة ، خمس سنوات أرسلت لأبى وقلت له يا أبى العزيز : اننى أكره المدرسة ، ولم أقل له : اننى أكره المدرسين ، وهذه المدينة •

على المنضدة « الفورمايكا » أرص الكتب ، واضع وابور السبرتو ، وأجمع صور الزهور ذات اللون البنفسجى ، ولما قلت لأبى : يا أبى العزيز • اننى أكره المدرسة فاننى أعرف أنه ربما يجئ ليقتلنى بالشرشرة • خمس سنوات بالمرحلة الثانوية ، أبى يريدنى طبيبا كأبناء الأعمام ، أو ضابطا بنجوم تلمع ، دائما يقول : انظر لابن عمك •• أنظر لابن خالك •

على الكرسى الخشب ثلاث أكواب من الزجاج الردئ ، والكنكة ذات اليد الخشبية الجديدة • أخى الكبير - الذى ترك أخوتى البنات فى الغيطان يشتغل فى السعودية بعقد عمل - أرسل لأبى

وقال له : سأصرف من جنيه لألف على أخى فؤاد ليحصل على شهادة ، ولا يتعب مثلنا • على المسمار فى الحائط المطلى بالجير الفستقى اللون أعلق القميص ، والبنطلون والجلابية اليوم لبست بيجامتى ولم أذهب للمدرسة حلقت ذقنى وشاربى الخفيف • ثم مسحت على ذقنى بنار السبرتو الأحمر ، سيضربنى ربما ، أو يقتلنى ، لكننى على أى حال لن أظل بهذه المدرسة ، ولا بهذه المدينة التى نمشى فى طفح مجاريها من حارة لشارع • ورسمت شجرة •

لقد جهزت ملابسى وحاجياتى فى ذات السلة الكبيرة المجدولة من الخوص بلونين أخضر وأبيض ، ذات السلة التى أتيت بها ، وسارجع ، قلت لصديقى « على » لما سافر أخى للسعودية استخرج جواز سفر ، وفصل بدلة وبنطلونا ، وكان شكله غريبا جدا حين خلع الجلباب لأول مرة ، لم يكف « على » عن الضحك ، وقلت له : سارجع لقريتنا ، سأقفز الترع ، واركب الحمار ، واحصد القمح ، وسأحمل الكتان على ظهرى حتى ظهر الناقة حتى سطح البيت ، وأربى الحيوانات الأليفة ، وأكلم الطير الجميل ، قال : اننى سأخسر مستقبلى :

من سنوات خمس ، كانت سامية صغيرة ، ونهداها صغيرين ، صغيرين بالكاد يرفعان الفستان عن صدرها ، وكان الشارع أقل اتساخا وكان هناك على هذه الدار البعيدة برج للحمام • وفيما أنا أحملق فى الشارع رأيت أبى بجلبابه الزيتى ، والشمسية فى يده ، وطاقيته البيضاء على رأسه ، فارتجفت ، أحسست بعرق بارد يعلو جبهتى السمراء فجأة ، وداهمنى برد شديد بينما انعكاس الشمس فى الزجاج ضايق نظرى ، فجريت الى باب الحجرة وفتحت ، كان « على » يكنس حجرته المقابلة ، ولم يلتفت لى ، ووقفت على درجة السلم من الطابق الثانى ، وأطللت على أبى من فوق الدرابزين ، كح أبى ، وقال : ياساتر ، كانت أم سامية تجلس بسمنتها فوق الأرض ، محتضنة برجلين سمينتين عاريتين طشت الغسيل ، ويدها تدعك ، فتتناثر رغاوى الصابون ، وقال أبى : يا ساتر •

سأقول له : اننى لم أبعث برسائل •• سأبكى وأقول له : يا أبى لا أريد المدرسة ، سأشتغل معك فى الغيط ، مثل أخوتى البنات ، سأقوم ساعة الفجر ، وألم الندى بيدى والزهور البنفسجية ، وأجمع السمك من غيطان الأرز ، حلمت ذات مرة اننى أسبح فى الترعة وأمسك فى يدى عناقيد عنب • يا فؤاد ، نادى بصوت واضح دون أن يبص لأعلى : يا فؤاد •

نزلت بعض الدرجات ، كنت فى الظلمة ، قبلت يده التى مدها ، لم تكن سامية تحت ولا بجانب أمها ، لم يسألنى عن صحتى ، ولم يقل : ازيك ، ولا شفت فى عينيه فرح اللقاء ، دخلنا من الباب ، هو ، ثم أنا ، جلس على الكنبة ، نظر أمامه على الحائط لصورة بنت وجهها نحيل ، وتمسك بندقية ، وضع الشمسية على المنضدة ، ثم قام ببطء ، وشد الصورة من على الحائط فهوت على الأرض ، عاد للكنبة ، مسح جبهته بمنديل أبيض ، الحجرة ضيقة وأنفاسى تهزها هزا •• خفت أن يضربنى فجأة على صدغى ، قال : أعمل شاى • قمت •• انحنيت •• أعطيت للوابور نفسا ، تناهى الينا آذان العصر من المسجد البعيد ، سامية كانت تسمع ضربات النفس للوابور ، وتسمع أرجل الوابور حين تزيق فى الأرض المبلطة ، كانت عندما تسمع تطلع مسرعة ، وتقول لى : أعمل لك الشاى ، وتنحنى •• ويبان صدرها • من يومين صعدت ، وصنعت لى شايا بنعناع ، وعمدت أن ترينى حمالة صدرها الجديدة التى لبستها لأول مرة ، حمالة سوداء تضم النهدين فى طراوة ، كنا نشرب الشاى معا ، وأظل أحكى لها عن الجمعة اليتيمة ، والسبت المقدس ، والأحد الدامى ، ولما تشرد أحكى عن تماسيح تأكل الزهور ، وأسماك تعشش فى الشجر ، وكنت أحضنها ، وأداعبها فى هوس ، لاحظت من يومين أنها امتلأت ، نظرت للباب فى قلق ، ولم أسمع وقع أقدام على درجات السلم المظلم ، شرب أبى الشاى وقلبى يدق بعنف ، هربت منى الأشعار الشجاعة ، وأحسست بالم فى صدرى ، وضع الكوب ، نظر فى السقف وفى الأركان ، نظر بعينين جامدتين للسلة المجدولة بالخوص ذى اللونين الأخضر والأبيض ، وللكتب التى ليس عليها النسر • ثم قال بعد طول صمت :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

– سترجع

سنوات خمس وأكتب له : يا أبى العزيز . تعال خذنى معك فكان يأتى ، ويضربنى ويفرج على الجيران ، واستمر فى دراستى ، وأرسب ، ولا أحب المدينة ، ولا محلات «السوبر ماركت» ، ولا مظاهرات الكرة . خمس سنوات وأخى يرسل الملابس اللامعة بينما أخوتى البنات حتى ركبهن فى حقول الأرز ، لاخوتى البنات أياد خشنة ، وشعر ملبد ، وعيون لم يمسسها الكحل ، سنوات خمس أرسل له ويضربنى ، ولا أقول له سر الكتب التى لها أغلفة ملونة ، وليس فوقها النسر .

– سترجع .. سأقول لهم .. رجعت بالخائب .

ووقف ، شد جسمه كسيف ، هربت من عينيه كل الطيبة القديمة والحنو القديم ، لماكنا نحمل البرسيم على ظهورنا ، ونأكل « أبو الفرو » فى الشتاء ، ونشوى الذرة فى دفء معنى ، لم يحدثنى أبدا ، ظل واقفا ، ثم اتجه للشباك ، وظل واقفا يطل على الشارع ، غامت الشمس ، حملت السلة ، ثم وضعتها ، حملت صورة البنت ذات الوجه النحيل ، ودفستها فى السلة المجدولة من الخوص ، ووضعت الأكواب داخل بعضها ، سعلت .. سكون .. رائحة الغراء .. سأعود وأزرع بصل النرجس ، وأقطف عسل النحل .

زعق مشيرا بيده :

– يا ريس

قال وظهره لى :

– العربجى وصل

بلعت ريقى بصعوبة ، العربة الكارو .. والكنبة الخشب ، شممت رائحة البيت ، تلك الرائحة المختلطة برائحة الجير ، وزفارة السمك ، ورائحة الغراء . اتجه أبى للباب ، نزلت درجتين من السلم ، حملت السلة الخوص ، ثقيلة ، باليدين حملتها ، وأنا أنزل درجات السلم تعثرت قدمى ، كانت سامية تحت ، تنظر لى بعينين براقتين ، وترجع برأسها للوراء حتى ترانى ، نظر لى أبى ، رأيت كما لو أن ثمة دموع بللت وجهه من وقت لا أعرفه .

المحلة الكبرى : جار النبى الحلو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى أعدادنا القادمة

تقرأ لهؤلاء :

محمد سليمان
حسين على محمد
جميل محمود عبد الرحمن
د . صابر عبد الدايم
حسين على حسين
زكريا السيد عبيد
عبد الحكيم فهيم
بهيج اسماعيل
د . وصفى صادق
د . على الحديدى
فريده الشوباشى
سامى فريد

عزت الطرى
سليمان فياض
يوسف الشارونى
محمود فكرى عبد السميع
سكينة فؤاد
منى حلمى
فتحى الابيارى
محمد صالح
على ذو الفقار شاكر
يوسف نوفل
د . نصار عبد الله
السيد محمد الخميسى
فاروق شوشه
أحمد عنتر مصطفى

محمود قاسم
د . عبد العزيز شرف
محمد الفارس
فؤاد كامل
مصطفى عبد الغنى
على شلش
د . أحمد مستجير
يوسف أبو ريه
منى رجب
وليد منير
سحر توفيق
د . ماهر شفيق فريد
د . بدر الدين أبو غازى
.. وغيرهم

تجانس

محمد آدم

كان يخفى عن الشجرِ المتجانسِ وجهًا لهُ
ثُمَّ يمضى

يحدّقُ فى النهر
والسروِ والنخل
يبحثُ عن زهرةٍ فى مساءِ التجولِ
ثمْ يصـيرُ قناعًا
ويمضى

إلى حيث نبقى
وحيدين
طفلين
ضاعا معا .

إنهُ يشربُ الآن قهوته ساكناً
ثم يمضـى

إلى حيثُ غرفته المغلقة
يديرُ المفاتيح
ثمَّ فضاءٌ ووجهٌ من الصلبِ والضوء
شمسٌ تغطى الجدار الرصاصى
تغرقُ فوق البحار البعيدة

ثُمَّ تحطُّ على قلبه فى الزمانِ الدفىءِ
آهِ
كانت هناك امرأةٌ
ترطبُ بالماء أرض الحديقة
ترقـدُ
فى كهف وحدتها
تحت سترِ الدخان الشفيفِ
تحملقُ فى السقفِ واللوحة المطفأه
تقرأُ
ثُمَّ تُدخنُ أو تتحدثُ للغرف الضيقةْ .
لوحـــةٌ من دخـانٍ ومعـدنْ

وفى آخر الليـلِ ينسكبانِ
معــا
أعيناً
أذرعا
أدمعاً
كان يُخفى عن النهر
والزهر أحزانَه
ثم يمضى

وكان النهارُ المراوغُ يمضى
وفى الظلِّ يقعـدُ
تحت شجيرةِ سنط. وحيده
ويبكى
يُدَّخــنُ أو يتحدثُ
ثم يلوّنُ أشياءه
وفى جانب النهرِ يرمى المحـارَ
القديم
ويبحثُ عن لؤلؤةْ
ووجْه من الظل والطين يمشى معه .
كان يعرفُ لون البلاد
وشكل العصافير
والزهرات الوحيـدةِ
يرحـــلُ
فى جانبِ النهرِ
يحملُ كلَّ التفاصـــيل
وجهـــاً فوجهـــاً
ولوناً فلونـــاً
وفى الفجر كان يعــودُ
فيحكـى
عن الجنس
والنـــار
والثلجِ
آه (كانت هنـاك امرأة) .

محمد ادم

حبيبتي الأولى

رمضان الصّياغ

أتيتك بعدما التجْوال أتعبنى !!
ولم أر من يعرّينى
ويغسلنى من الأوهام والشجنِ
أتيتك حالما بطفولة من قسوة الأيام تحمينى
وتملـؤنى
بحبٍّ ضاحكٍ وبراءةٍ وزهـورْ
أتيت ألوذُ بالأقمار ترحمنى من الديجورْ
وبالأنهـار ترويني
فهاتى صدرك المفتوح للمحزون كى أبكى
وأسكب حزنىَ الدموىّ .. أخلع شوكة
الأوهام من بدنى لكى أحكى
أنظّف وجه ذاكرتى .. ومرآتى
فأنت الموطن الباقى
وأوّل من سيبكينى
وأنت المقبل الآتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأنت الرمل .. أنت النار
أنتِ العشق .. أنتِ الدارْ
وأنت طفولتى .. حبى
وأنت نهاية الدربِ

*

أحبك .. تنبت الأشجار فى زندِى
وتورق دوحة النار
أحبك ترقص الأنوار فى دارى
وتقوى عزمة الأيدى

*

أتيتك حاملا جوعى ، ورغبة عاشقٍ أضناه
ليلُ الخوف والصمتِ .
وأرهقهُ ؛ زمانٌ كل مافيه من المحظـــورْ
وأرهقهُ ؛ بقاءٌ جاهلٌ يدْرى .. ولايدْرى
وفى أحلامِهِ مقهـــورْ
أتيتك .. رغبتى فى البوْح تخفقنى
وخنجر جوعىَ المسْنون .. مزّقنى
ووجهى حين ألقاه بمرآتى .. يخادعنى
أنا .. من عاش جيلاً يسأل الأيام دون مجيب
وكيف ؟ ! وكل مافى جعبتى محظـــورْ
أودّ أودّ لو ألقى بعينيك جواب سؤال
أودّ .. أودّ لوكنتِ
تقولين الذى أرجوه بين البوْح ، والصمت
فأنت الموطن الباقى
وفى عينيكِ آلاف من الشهداء أحسدهم على الموت
وفى عينيك عبْء سنين
ووجهك رغم طول العمر مخضر .. فماهُنت
أودّ .. أودّ لوقلتِ .
فأنت الموطن الباقى ،
وأوّل من سيبكينى .

*

أحبك .. أهدم الأسوارْ
وأصنع فى غدى ميلادك الدامى
أحبك .. أجعل الأقدارْ
تفرّ أمام أقدامى

*

هواى .. لوجهك المزروع فى دربى
فتحت نوافذ الأحلامْ
فمدّى أنت فى قلبى
وكونى أوّل الأنسامْ
فأنت السحر والأنغام
وأنت حدائق الغبْطهْ
وأنت طفولتى والريح والمطرُ
وأنت الشمس ، أنت النار والشجرُ
وأنت مناى ، أوّل من سيبكينى
وأنت طفولتى .. حبّى
وأنت نهاية الدّرْب .

القاهرة : رمضان الصباغ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البحث فى الأوراق القديمة

مصطفى نصر

لقطة عامة

تململ فى فراشه . ذبابة تطن حول وجهه . تطير . تقف فوق الراديو الصغير الذى نسى أن يطفئه قبل أن ينام . صوت الراديو يزعجه ، يجعله يتململ .

طافت الذبابة حول الحجرة دورة سريعة ، طنت .

صوت المذياع يغطى على صوت طنينها ، تغنى امرأة بصوت مبحوح ..

وقفت الذبابة فوق النافذة المفتوحة . ثم طارت ثانية .

حرك ساقه اليمنى . ويده اقتربت من الراديو الصغير تريد اسكاته .

ورق ملقى فى كل ركن من الحجرة ، وكتاب مفتوح بجوار الراديو الصغير .

ذبابة أخرى دخلت من النافذة ، أرسلت طنينا . ربما لتحيى الذبابة الأخرى .

وقفت الذبابة الأولى فوق أنف «صوفيا لورين» والأخرى اقتربت منها . طافت حول صور الممثلين والممثلات الملتصقة فوق جدران الحجرة .

استطاعت يده أن تلمس الراديو . المرأة التى كانت تغنى سكتت ، رجل آخر كان يتكلم .

استطاع - هو - أن يسكته .

- قطع -

لقطة مكبرة

اسمه صبرى شاهين . يعمل محررا فنيا بمجلة « النجوم » . يشاهد الأفلام ويكتب عنها..

دق المنبه فى عنف . ساقة اليسرى ارتفعت أيضا . اهتز السرير من جسده الضخم ..

النافذة المواربة - فوقه - ترسل ضوءها فوق وجهه ..

لحيته متناثرة . مهملة .

المنبه ما زال يدق ، ولكنه لا يستطيع أن يصحو . جسده متعب .

امتدت يده - من الناحية الأخرى - ليسكت المنبه .. المنبه وقع وهو مازال يدق .

اضطر أن يقوم ليعدله ويسكته . ظهر بنطلونه الأسود الذى لم يغيره منذ أن دخل شقته فى الصباح .

الساعة تقترب من السادسة . ميعاده مع سميرة وجدى - الممثلة الصاعدة - فى السابعة .

دار فى الشقة . اصطدمت ساقه بالمائدة المجاورة للسرير . وقع كتاب كان موضوعا على حافة المائدة .

قابلته سميرة وجدى بالأمس . شدت على يده :

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

ـ أشكرك على الكلام الذى قلته عنى فى المجلة .

نصف صدرها عار ، وجهها شديد الاحمرار ، عيناها تلمعان .

قالت ويدها تمسك يده :

ـ ألم تر فيلمى الأخير ؟

كان يشعر بالضيق . الجو حار . وهو يرتدى بذلة كاملة . كما أن صاحب الحفل (وهو منتج مشهور) أصر أن يتناول قطعة كبيرة من التورتة . ومعدته ما عادت تحتمل هذه الأشياء .

... ...

سار فى شقته حافى القدمين . فى طريقه للمطبخ رأى طبقا به قشر وبقايا بلح موضوعا على كنبة الاستوديو . نظر الى وجهه فى المرآة . تحسس لحيته بأصابعه .

« ماذا تريد سميرة وجدى منه ؟ »

انه لم ير شقتها من قبل . ولكن ممدوح ـ زميله فى المجلة ـ حكى له عنها .

أمسك فرشاة الحلاقة ، مر بالصابون فوق وجهه ، تغير وجهه كثيرا .

ـ قطع ـ

فلاش باك ١

يقف أمام الميكرفون . طلبة المدرسة أمامه فى طوابيرهم . الناظر وكل المدرسين أمامه .. يخطب .. يلوح بيديه . يتحدث عن المكاسب الاشتراكية ..

بعد أن انتهى من خطبته . أسرع ناظر المدرسة وأمسك بالميكرفون . قال :

ـ زميلكم هذا سيكون له شأن عظيم فى المستقبل سيكون زعيما .

ـ قطع ـ

مشهد ١

ارتدى ملابسه . مشط شعره بعناية .

عندما خرج من حجرته واجهته صور المثلات العاريات ، بحث بينها ، لم يجد صورة لسميرة وجدى . سيبحث عن صورة لها من أحد الأفلام ليضعها فى حجرة نومه .

خرج من شقته . تذكر الأوراق التى سيريها لسميرة وجدى ـ مقالته الثانية عنها .

عاد ثانية . بحث عنها تحت الكنبة وفوق المائدة . وجدها موضوعة داخل كتاب .

خرج ثانية ، أغلق الباب خلفه .

... ...

أخرج ورقة من جيبه ، قرأ عنوان سميرة وجدى .

رئيس التحرير ثار عليه بعد قراءة المقال الأول عنها :

ـ انها ممثلة مبتدئة ولا تستحق كل هذا الثناء .

ـ هذا رأيى . لقد أعجبتنى .

ـ ليس مهما . سأعلمك كيف تتعامل معهن . لا تمتدح ممثلة مبتدئة أبدا حتى تأتى الى مجلتنا وتستعطفنا لنكتب عنها .

غير بعض الكلمات ، ولكن ظل المقال فى النهاية مدح فى سميرة وجدى .

لم يكن معجبا بها كممثلة . بل أحس بالضيق من طريقة نطقها للكلمات . ولكن ممدوح زميله فى المجلة قال له دائما تدفع الثمن ، وأنها عندما مدحها فى فيلمها السابق دعته لشقتها وبقى معها حتى الصباح .

ـ قطع ـ

فلاش باك ٢

لقطة خارجية ـ الزمن : الستينات .

يقف فى طابور الصباح فى أحد معسكرات الشباب . رجل يرتدى بذلة كاملة. يخطب ويدق المنصة بقبضة يده :

ـ منظمة الشباب فخورة بكم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يتحدث الرجل ذو البذلة الكاملة كلاما كثيرا · يسرع ـ هو ـ بعده الى الميكرفون · يخطب مثله ـ الرجل ذو البذلة الكاملة يضع يده فوق كتفه ، يبتسم له :

ـ زميلكم هذا سيكون له شأن عظيم ·

ـ قطع ـ

مشهد ٢

سميرة وجدى ترتدى بنطلونا يلتصق بجسدها · يبدو جزء صغير من بطنها لا تغطيه الفانلة ·

يبتسم فى حياء · تشده داخل شقتها :

ـ كنت أخشى ألا تأتى ·

تجلس بجواره · يغوص داخل المقعد العريض، يخرج الورق من جاكته ، تميل عليه ، يلتصق وجهها بوجهه ، تقرأ معه ، تقاطعه :

ـ أرسلت المقال للمطبعة ؟

ـ لا · لم أنته منه سوى صباح اليوم ·

ـ أتستطيع أن تضيف اليه أشياء جديدة ؟

ـ بالطبع ·

ـ قطع ـ

فلاش باك ٣

كتب أول مقال له فى مجلة الكلية · كان عن الصراع العربى الاسرائيلى · هلل العميد فرحا ·

استدعاه ـ قال :

ـ كاتب سياسى خطير ·

ـ قطع ـ

تكملة المشهد ٢

سميرة وجدى آتية · تحمل صينية فوقها الأكواب · وزجاجة خمر فى اليد الأخرى :

ـ ولكنك لم تشاهد الفيلم ؟

ـ أجل · ممدوح زميلى حكى لى عنه ·

قالت فى دلال :

ـ ألم يحك لك ممدوح عن شىء آخر ؟ !

تظاهر بعدم الفهم · أكمل قراءة المقال ·

شعرها يحوم حول وجهه ، أزاحه بأصابعه ليستطيع أن يكمل المقال ·

ـ قطع ـ

فلاش باك ٤

رئيس تحرير جريدة « الرأى المهم » استدعاه · قال :

ـ مقالاتك السياسية تثير السخرية الآن ·

ـ كيف ؟

ـ الوقت تغير · كل زملائك المبتدئين تركوا الكتابة عن السياسة ، يكتبون الآن عن الكرة والسينما ·

ـ ولكنى كاتب سياسى ·

ـ سأقدم لك خدمة العمر · سأنقلك للقسم الفنى ، أنشط الأقسام فى جريدتنا الآن ـ ستكتب عن الممثلين والممثلات بنفس الطريقة التى تكتب بها مقالاتك السياسية · مثلا مقال بعنوان الرقص الشرقى بين النظرية والتطبيق » ·· « الصراع الايديولوجى فى فيلم جديد :

أحس أن رئيس التحرير يسخر منه · جرى الى الشارع ·

بعد خمس سنوات عجاف · قضاها دون أن تنشر له كلمة واحدة ·

أحس أن رئيس تحرير جريدة « الرأى المهم » كان محقا فى قوله ·

اشترى كل مجلات الفن ·

قرأها بجدية كما كان يقرأ كتبه السياسية ·

ـ قطع ـ

مشهد أخير

حجرة نوم سميرة وجدى ·

ستائر حمراء · ينام هو فوق الفراش · حذاءه ملقى · جوربه قريب من الباب ·

سميرة وجدى شبه عارية · تمسك القلم وتعدل فى المقال وهى تبتسم ·

الاسكندرية ـ مصطفى نصر

الرحلة إلى الحضارة في عصفور من الشرق

دكتور ناجي نجيب

مع الاحتكاك بالغرب فى القرن الماضى برزت قضية « الحضارة » فى العالم العربى ، وقد خضع استخدام هذا المصطلح لمتغيرات متعددة ، على أنه يستخدم فى الأعم ـ منذ مطلع القرن الحالى ـ ببداهة وكأن المقصود به واضح لا يحتاج الى بيان أو تفصيل ، وقد اصطبغ مصطلح « الحضارة » عند جيل الرواد بصبغة أيديولوجية بعينها ، والمقال التالى فى نقد « أيديولوجية الحضارة » هذه من خلال كتاب توفيق الحكيم « عصفور من الشرق » .

وفى النهاية يناقش بايجاز مفهوم « الحضارة » عند جيل الأدباء والكتاب الذى تشكل فى العشرينات والتقى بأوربا « كحضارة » . (محمود تيمور ، حسين فوزى ، توفيق الحكيم ...) .

ويمثل هذا المقال حلقة من سلسلة بحوث حول هذا الموضوع .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تشكيل صورة الذات

تبرز من الصفحات الأولى عناصر السيرة الذاتية فى كتاب توفيق الحكيم « **عصفور من الشرق** » (١٩٣٨) ، وبالرجوع الى ذكريات الحكيم فى « **زهرة العمر** » (١٩٤٣ ، ص ٢٠ ، ٧٠ ـ ٧٢ ، ٩٥ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ ، ١١٩) تتأكد هذه العناصر بوضوح .

فلهذا الكتاب مضمون بيوغرافى مباشر لا نستطيع أن نتغاضى عنه ، ومع هذا المضمون يصعب على القارىء أن يستوعب الكتاب فى النهاية كقصة روائية فحسب . هذا على خلاف « **عودة الروح** » (١٩٣٣) و «**مذكرات نائب فى الأرياف**» (١٩٣٧) حيث تخضع الخبرات الذاتية لموضوع القصة ولأغراض الابداع الروائى التخيلى . (١)

أما فى « عصفور من الشرق » ، فتخضع العناصر الذاتية البيوغرافية لرغبة الحكيم العارمة فى تشكيل صورته الذاتية وصياغتها فى صورة بعينها ـ وقد كان هذا الدافع وراء الكثير من المواقف والآراء التى عرف بها (٢) ـ ، كما تخضع لرغبته فى المقابلة بين حضارة الشرق والغرب ليصل من خلالها الى احدى موازناته المعنوية أو معادلاته الفكرية .

يقول الحكيم فى « زهرة العمر » : « ما قيمة التفاصيل فى هذه الحياة ، ان لم تكن لاستخراج قوانين عامة أو أفكار جميلة ؟ » (ص ٢٤) بهذا المعنى يستخدم الحكيم تجاربه الذاتية فى العاصمة الفرنسية ويستخدم تلك الحقبة الهامة من حياته كى يستخرج منها الصورة التى يود أن يرى نفسه فى ضوئها ، وليعبر عن تصوره « للحضارة » بين الشرق والغرب ، هذا التصور الذى يحتل بالتدريج مكان الصدارة .

وبتعبير آخر ، فالحكيم فى «عصفور من الشرق» لا يدون خبراته بقدر ما يخرج هذه الخبرات ويصيغها ، وبقدر ما يصيغ نفسه فى قالب فنى

وعلى الرغم من ذلك فانه يكاد يطل علينا خلال صفحات الكتاب على الدوام ، ويظل الكتاب بهذا ثنائى الجنس ، شيئا بين القصة الفنية والسيرة(٣) وهذه ظاهرة تميز الكثير من الانتاج النثرى السردى لرواد الأدب العربى الحديث (المازنى ، طه حسين) والحكيم فى النهاية لا يقدم « عصفور من الشرق » على أنه ترجمة ذاتية ، وبالمثل لا يبوبه كعمل روائى .

طريقة الاخراج

كيف يخرج الحكيم خبراته ؟

من البداية يقف « محسن » ، بطل القصة ، هذا الفتى القادم من الشرق ، فى مواجهه مسالك الفكر والاجتماع والعمل والصراع فى الغرب ، وان كان فى نفس الوقت يعشق « حضارة الغرب » أيما عشق ، أو ما يأخذه منها على أنه جوهر هذه الحضارة آلا وهو عالم الفنون من رسم وموسيقى وأوبرا وفكر . ويتجسم له مفهوم « الحضارة » قاطبة فى « سنفونية » بتهوفن الخامسة « حيث تجتمع كل العواطف البشريه السامية » (ص ٦٦) وحيث يتوحد « الدين والفن » (ص ١٥٩ وما بعدها) .

المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه صياغة أفكار الكتاب هو المقابلة والتضاد والمفارقة (كما عبر عنه الحكيم فيما بعد فى ما سماه بـ « التعادلية » بمعنى الفكرة . وانفكرة المقابلة ، والموقف والموقف المضاد ...) وأدوات الصياغة الرئيسية هى المواقف المعبرة والتأملات ، والرسائل ، والمحاورات الثنائية . ولكن ليس هناك حدث متطور ما أو رابطة عضوية تجمع فصول الكتاب ، وانما تتابع هذه الفصول كحلقات من حياة « عصفور الشرق » فى باريس وعالمه الوجدانى .

فى المشهد الأول نرى بطل القصة « محسن » تحت المطر متوشحا بالسواد أمام تمثال الشاعر « دى موسيه » وهو يقرأ تلك العبارة التى نقشت على قاعدته : « لا شىء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم ! » ، وتقوده المصادفة الى الاشتراك فى جناز شخص غريب وهو يطأ أرض الكنيسة بعين خاشعة متهيبة :

« **هنا أيضا عين الخشوع وعين الشعور . الذى يهز نفسه كلما دخل فى القاهرة مسجد السيدة زينب ! .. أما بيت الله هو بيت الله فى كل مكان وكل زمان ! ..** »

ولكن صديقه أندريه يسخر من هذه الروحانيات (ص ١٥) والانفعالات الشرقية فالكنيسة فى نظره « محل عام » كغيره من الأماكن : أيها العصفور الشرقى « **انا ندخلها كما ندخل القهوة** » (ص ٢١) .

هذه هى « المقابلة » أو المفارقة الأولى ، والمقابلة التالية يعقدها محسن بين معنى الفن والحضارة كما يراه وهو « التطهر والخضوع فى حضرة الفن ، أو لذة العودة الى الانسانية والروح على يد الموسيقى » (ص ٢٩) وبين مظاهر الترف والبذخ الذى يصاحب عروض الفن ، وكأن « الطريق الى الاستمتاع الروحى ينبغى أيضا أن يفرش بالذهب» (ص ٣٠) ويعزى هذا الاغراق فى التظاهر بالجاه والمال الى الأمريكيين بوجه خاص (ص ٢٨/٢٩) هؤلاء الثراة بلا روح وبلا ذوق كما يقول : انهم ليأتون الى هذا العالم القديم جاسبين انهم بالذهب يستطيعون أن يشتروا لأنفسهم ذوقا ولبلادهم ماضيا ! » (ص ٢٢) والحكيم هنا يتحدث عن الأمريكيين بآراء الفرنسيين عنهم، ومن خلال شعور الأنفة الغامض الذى كان ومازال يطبع نظرة الفرنسيين كأهل حضارة وتاريخ الى سكان العالم الجديد . يشعر «عصفور الشرق» بالتضاؤل أمام مظاهر الثراء التى تصاحب عروض الاوبرا ، ولكن دون وعى بالعلاقه بين الأوبرا كمؤسسة تاريخية وبين هذا الاحتفال أو التظاهر البورجوازى بالجاه والملبس . فالنظرة التى يعالج بها الحكيم تجاربه فى باريس نظرة حضارية مثالية غير مقيدة بوعى اجتماعى أو تاريخى .

والمقابلة التالية التى يعقدها محسن (أو توفيق الحكيم) هى بين مظاهر التقدم والحضارة وبين شروط العمالة والبطالة والعمل فى المصانع الحديثة . فالتقدم وهم باطل وقول مردود من منظار شروط العمل والانتاج القاسية فى المصانع الكبرى .

لا يفصل الحكيم القول فى هذا الموضوع وانما ينقل الينا طرفا من حديث والد أبيه ، الشيخ العجوز ، الذى يكرر ما قرأه فى صحيفته :

« **ان هذا لم يعد يسمى عملا ، انما هو الاسترقاق .. الرق لم يذهب من الوجود .. لقد اتخذ شكلا آخر يناسب القرن العشرين .. ها هى جيوش من العبيد يسخرها أفراد معدودون من السادة الراسماليين !** » (ص ٤٠) .

وفى نهاية هذا الحوار الأول حول هذا الموضوع يهمس عصفور الشرق لنفسه ، ويستريح الى هذه المقولة والى هذا الناموس : « نعم لن يذهب الرق

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من الوجود ٠٠ لكل عصر رقه وعبيده ٠٠ » (ص ٤٥) فاهتمامات الحكيم المعرفية تنصب حول استخراج قوانين الطبيعة الأزلية ، أو حركة الكون والحياة المتكررة ، رغم اختلاف المظاهر ، ومن ثم كان التقاطه لكل ما يؤيد وجهته ، واخضاعه الظواهر – دون تمييز كبير ، لمقولاته أو افتراضاته الاساسية ٠

بقلب متعطش الى الفن والفكر والحضارة قد قدم عصفور الشرق الى الغرب ، ولكنه يفاجأ بالمجتمع الفرنسى فى اعقاب الحرب العالمية وفى سنوات الاضطراب الممهدة للأزمة الاقتصادية العالمية ، وفي فترة تحتدم فيها دول أوربا الصناعية بالصراع الطبقى وتموج بالحركات العمالية الاشتراكية ٠٠٠ وينعكس ذلك على موضوع الكتاب ، بل وعلى تشكيل منطق الحكيم الفكرى الذى خلع عليه فيما بعد نعت « التعادلية » وهو منطق يسوى بين الظواهر ، بمعنى أنه يخضعها لنفس الموازين والتصورات : الموقف والموقف المضاد ثم القوانين الازلية ٠

يعالج الحكيم « فى عصفور من الشرق » **عاطفة الحب** كما عالج من قبل **عاطفة الدين والفن** فالحب شىء علوى ينبغى أن « يحفظ فى الصدور كما تحفظ اللالىء فى الاصداف » (ص ٥٦) ٠

يضيق محسن بعناق المتحابين فى الطريق ، ويجلس ساعات طوال فى مقهى ينظر من بعيد الى « فتاته » عاملة التذاكر فى مسرح الأوديون ، وعندما ينجح فى النهاية ، وتستجيب له سوزان ، تكاد تذهله المفاجأة ويشعر أن قيم الأشياء تتضاءل « وكأن الحياة نفسها قد تجردت من غطائها » (ص ١٢٢) ٠ لقد فاجأته « الحقيقة » قبل أن يتمكن من اسباغ « اردية الخيال الموشاة » عليها (ص ١١٢) ٠ ويعيش محسن – كما تقول القصة – بجميع حواسه حياة « الواقع » مع صديقته سوزان ، وعلى الرغم من متعته بها ، فانها متعة لا تخلو من القلق ، وهو قلق مزدوج ، قلق الخوف من فقدان محبوبته وقلق الاستمرار فى حياة الواقع بعيدا عن « الاحلام » أو « الفن »

على أنه عندما تهجره محبوبته ، يحس أنه قد طرد من «الجنة» أو «**طرد من قصر الحب السحرى**» (ص ١٤٧) ويعزى محسن نفسه فى النهاية عن ما ضاع مع قول القائل « لا ينبغى أن نبنى شيئا جميلا فوق هذه الأرض ٠٠٠ المتغيرة المتحركة برمالها ومائها وهوائها » (ص ١٥٦) ٠ ويعود بخياله الى « هناء الصفاء » الذى عرفه يوما ما ، « **هذا الصفاء الذى لا يوجد الا فى الارتفاع !** » ويعود الى « سمائه التى كان قد هبط منها ! (ص ١٥٦) ولكن يقلقه أنه كلما « همست روح الانسان بالتحليق نحو الأعالى كبلتها أكاذيب الانسان (ص ١٥٨) كبلتها المظاهر التى تحيط بالعبادات والفن « حتى الموسيقى العظيمة التى استطاعت أن ترفع الانسان الى بعض القمم ، ما جعلوا لها ثياب سهرة ٠٠ وقواعد وتقاليد » (ص ١٥٨) فى حين أن « **الاخلاص للدين والفن** ، يستوجب التجرد » (ص ١٥٩) ، « ان محسن ليشعر دائما أنه لا يسكن الأرض وحدها ، ان حياته ممتدة أيضا الى السماء ٠٠ » (ص ١٠٤) ، فهو – بتعبير الحكيم عن نفسه – انسان متعادل أو متوازن يتأمل هذا العالم المختل أو غير المتعادل ٠

المدنية الصناعية الحديثة والشرق

حول مدنية أوربا الحديثة أو حول المدنية الصناعية تتبلور فى النهاية الأفكار الأساسية للكتاب ٠ ويعرض الحكيم هذه الأفكار على لسان عامل روسى فقير يدعى **ايفانوفتش** فى أحاديثه مع محسن ٠ ولكن المنحى العام لهذه الأفكار هو نفس المنحى التأملى الثنائى الذى ينظر به محسن الى قضايا الفن والحب والحضارة ، والذى نصادفه فى كتابات الحكيم حول هذه الموضوعات (أنظر « سلطان الظلام » ١٩٤١ ، مقدمة « الملك أوديب » ١٩٤٩ » « فن الأدب » ١٩٥٢) ٠

هذا العامل الروسى – كما تقول القصة – مهاجر يعيش « أيضا ٠٠ على القراءة والتفكير والوحدة » (ص ٨٤) ، وينطلق الحديث بينه وبين محسن اولا حول قضية المساواة والغنى والفقر ، وذلك الصراع والقلق الذى يجتاح أوربا ٠ ويمهد محسن لرأى ايفانوفتش فى هذه القضية بقوله : « **ان الأنبياء قد جاءوا من السماء بغير الحلول !** » (ص ٨٥) ويلتقط محدثه هذا الخيط ليفصل الرأى فى هذا الموضوع ، فيذهب الى أن مبدأ المساواة بين البشر مبدأ خادع مضلل ٠ وأن القسمة العادلة بين الناس مستحيلة ، ومن ثم أدخل أنبياء الشرق « مملكة السماء » فى القسمة ٠ « **فمن حرم الحظ فى الأرض فحظه محفوظ فى جنة السماء !** » ولكن أنبياء الغرب أرادوا تحقيق العدل فى هذه

الأرض ونسوا مملكة السماء ، فاوقعوا بين الناس ودفعوهم الى التطاحن ٠

ولسنا ندرى بعد هذا أينتصف الحكيم لأنبياء الشرق أم الغرب ! ألا ينسب هكذا ـ عن قصد أو غير قصد ـ الى أنبياء الشرق أنهم قد عمدوا الى خداع الناس عن حاضرهم وعن واقعهم ٠ يقول ايفانوفيتس :

« **ان الشرق قد حل المعضلة فى يوما ما ٠ هذا لا ريب فيه ، ان أنبياء الشرق قد فهموا ان المساواة لا يمكن أن تقوم على هذه الأرض ، وأنه ليس فى مقدورهم تقسيم مملكة الأرض بين الأغنياء والفقراء ، ـ فادخلوا فى القسمة « مملكة السماء » ، وجعلوا اساس التوزيع بين الناس « الأرض والسماء » معا : فمن حرم الحظ فى الأرض فحقه محفوظ فى جنة السماء ! ٠٠٠ هذا جميل ! ٠٠ ولو استمرت هذه المبادىء ، وبقيت هذه العقائد حتى اليوم ، لما غلى العالم كله فى هذا الآتون المضطرم ، ولكن « الغرب » اراد هو ايضا ان يكون له أنبياؤه الذين يعالجون المشكلة على ضوء جديد ، وكان هذا الضوء منبعثا هذه المرة ، من باطن الأرض ، لا آتيا من اعالى السماء ٠٠ هو ضوء العلم الحديث ، فجاء نبينا « كارل ماركس » ومعه انجيله الأرضى : « راس المال » وأراد أن يحقق العدل على هذه الأرض ، فقسم « الأرض وحدها بين الناس ، ونسى « السماء » فماذا حدث ؟ ٠٠ حدث أن امسك الناس بعضهم برقاب بعض ، ووقعت الجزرة بين الطبقات تهافتا على هذه الأرض ! » (ص ٨٦) ٠**

ليس اذن الحيف ، ليست القسمة الظالمة هى سبب الصراع والاضطراب والبغضاء ، وانما الأنبياء الجدد ٠

ويمضى ايفانوفيتش فيقول : ان وعود «أديان» الغرب الجديد ما هى « **الا تغرير بالعمال والفقراء** ٠٠ » ٠ أما كتاب «رأس المال » فيعد **بانهيار العالم الحاضر** » ، وحلول عالم آخر قوامه العمال وحدهم (٠٠ أى أجسام تسير بغير رءوس فوق المناكب ٠٠ يا له من حلم مخيف ! » (ص ٨٧) ٠

آفة المدنية الحديثة ـ كما يقول ـ جاءت مع استقرار الصناعة الكبرى (٤) ونشأة نظام توزيع العمل ، وما ترتب على ذلك من انقسام المجتمع الى « فئة قليلة » لا هدف لها غير جمع المال ، و « فئة كبيرة » ، « لا دين لها اطلاقا ولا شخصية ولا نفس ٠٠ » (ص ١٧٥) قدمت هذه المدنية الى الناس بعض الراحة « **فى امور معاشهم** » ولكنها سلبت البشرية « **طبيعتها الحقيقية ، وشاعريتها ، وصفاء روحها !** » (ص ١٧٤) ٠

الى هنا ، ويسير نقد المدنية الصناعية وفقا لمنهاج قديم مألوف ـ من **جانب وفقا لوجهة** النظر السلفيه المحافظة ، ومن جانب آخر من وجهة **مفاهيم الثقافة البورجوازية المتعالية** ٠ وقد عرفت أوروبا هذا النقد منذ قيام الصناعة الحديثة وبوجه خاص فى مطلع القرن الحالى ، ويورد الحكيم على لسان ايفانوفيتش مقاطع من أقوال جورج دوهاميل (ص ١٧٠) وآراء الدوس هكسلى (ص ١٦٧ ـ ١٧٨) فى هذا الصدد (٥) ، وقد عرف الاثنان بنقدهما البالغ للمدنية الصناعية وموجز هذا أن الصناعة الكبرى هى سبب البلاء ومصدره ، ثم ما يرتبط بها أو يتبعها من مظاهر الجمهرة وحياة المدن والبعد عن الطبيعة ٠٠ وانتشار التعليم العام وتقاصر « الثقافة الرفيعة » وانتشار الثقافة اليومية الجماهيرية أو الثقافة الموجهة والمصنعة للجمهور العام (الراديو ، السينما ، القصة البوليسية ٠٠) الخ ٠ يتجاهل هذا النقد أن الصناعة ذاتها هى نتيجة لشروط احتماعية تاريخية بعينها ، وأنها من نتاج الارادة والعمل ، وليست قدرا مجهولا ٠ وموجز القول أن المدنية الصناعية الحديثة تنقد من منظار العصر السابق عليها ، من منظار عصر ما قبل التصنيع ، لا من وجهة تكوينها ومن منظار المجتمع الحاضر وغاياته الانسانية ككل ، ولا غرو أن يوصف مثل هذا النقد بالسذاجة واللاجدوى ٠

ولكن هذا النقد الضبابى العام يجد هوى فى نفس الشرقى الذى يواجه مظاهر العمل والحياة فى الحضارة الصناعية الغربية عليه ويرى مظاهر الاستلاب والغربة التى تعمها ، ويواجه سبق الغرب وقوته ويحتاج الى مقابل أو معادل لهذا السبق أو التفوق ٠ (٦)

ويمضى ايفانوفيتش فى نقده ، فيواجه الحضارة الأوربية الحديثة بحضارات الشرق القديمة ، معبرا بذلك عن فكرة الكتاب الأساسية ، أو بتعبير أوضح عن معادلة الحكيم الحضارية فى « عصفور من الشرق » ما هو طابع الشخصية الذاتية ازاء هذه

الحضارة الأوروبية ؟ يحوم هذا السؤال وراء نقد المدنية الصناعية الحديثة فى كتاب الحكيم ، وفى كتابات غيره من الأدباء والمثقفين منذ مطلع القرن (٧) ، بل هو باعث الحكيم على وضع كتابه « عصفور من الشرق » ٠

الحضارة الأوربية الحديثة – كما يقول ايفانوفيتش – حضارة آحادية الوجهة ، محصورة النظرة « لا تسمح للناس أن يعيشوا الا فى عالم واحد ٠٠ ان سر عظمة الحضارات القديمة أنها جعلت الناس يعيشون فى عالمين ٠ لقد عرفت تلك الحضارات « العلم » و « العلم التطبيقى » ٠ ومع ذلك فان ذلك العلم لم يفسد من الرءوس زجاجات الصور ، التى تمثل الحياة الأخرى – تلك الحضارات أسميها أنا الحضارات الكاملة ٠٠ » (ص ١٧٢ – ١٧٣) ٠

تحصر الحضارة الأوربية الكبيرة – كما يقول هذا النقد – جل اهتمامها فى المحسوسات والمرئيات والمعقولات ، ومن ثم فهى « مدنية ناقصة » (ص ١٩٠) . ويقابل هذا النقص بما يسمى « بالعلم الصرف » وبالبحث عن « الحقيقة من أجل الحقيقة » ، أى يقابل هذا النقص بذلك التصور المثالى أو بذلك الحلم الطوباوى ، حلم التخلص من الغايات والأغراض ، واتيان الشئ لذاته ٠ لا لمنفعة أو غاية : – هكذا يواجه هذا النقد المدنية الصناعية الحديثة بهذه العاطفية المثالية الشرقية ، يقول الحكيم على لسان ايفانوفيتش :

« أما العلم الصرف ، البعيد عن ضوضاء « الآلة » ومطامع أصحاب المنافع – فان الشرق هو الذى عرفه لذاته كمظهر من مظاهر العبقرية الآدمية المفكرة ، فى تعطشها لمعرفة الحقيقة العليا ! ٠٠ وهنا كل نبل العلم ، وغايته ٠٠ هذا العلم الخالص أورثته أفريقيا وآسيا فتاتهما الشقراء أوربا » (ص ١٨٠) ٠

الجديد فى العلم الأوربى الحديث – كما يقول – هو « اسلوب التفكير » و « طرائق البحث العقلى المرتب ، أما أكثر من ذلك فلا ٠٠ » وانها « لسخرية كبرى » أن يوصف استكشاف بعض « خواص الطبيعة بحواسنا » بأنه قمة من « قمم المعرفة » (ص ١٨٩) ٠ (٨) ٠

وكان التعرف على الطبيعة وأسرارها بالوسائل العلمية ليس هو أيضا جزء من القدرة الانسانية وكان بالامكان العودة الى التأمل من أجل استكشاف العالم ٠

لهذه الأفكار والأخيلة الجميلة منابع عديدة، فقد عرفها الغرب أيضا كرد فعل مضاد لحركة التنوير ، وللعقلانية ، والممارسة البورجوازية الصناعية ٠ بل أن المدنية البورجوازية قد قامت من البداية على « ازدواجية » واضحة ، فقد فرقت تفرقة تامة بين مجال الفنون ومجال الممارسة المادية ، وحصرت تصوراتها الانسانية الشاملة فى مجال الفنون وحده ، ونظرت الى الفنون كمجال خاص مستقل عن عالم الأغراض ٠ وأيا كانت منابع « المثالية » التى يتحدث باسمها الحكيم ، فقد صبغت وجدان جيل طويل من المثقفين العرب ، وما زالت من المكونات الأساسية « للعاطفية المثالية الشرقية » أو لما نستطيع تسميته بذلك (واذا كان ضعف مجالات الممارسة المادية العملية من منابع هذه « العاطفية المثالية الشرقية » فى الماضى ، واذا كان لهذه «العاطفية» فى الماضى ما يبررها ، فقد تحولت الآن الى أيديولوجية تضليلية يستعان بها عن وعى واحتراف لنفى كل المضامين الفكرية والاجتماعية، وقد يخدع بها البعض نفسه لحاجته الى ظاهر جميل ، ولكن أيا كانت درجة خداع النفس ،فمن العسير أن يخفى هذا البعض عن نفسه أنه يستخدم هذه « العاطفية المثالية » لتبرير ذاته وأغراضه ولتطويع الآخرين لهما)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من معالم هذه «العاطفية المثالية الشرقية» انها تتحدث دون بعد اجتماعى ، وعن الحضارة كشئ فوقى لا تاريخى ، وحين تهتم بالتاريخ فهى تهتم به كقضية حضارية رومانسية مجردة ، أى دون المضامين الاجتماعية المادية ٠

معادلة حضارية افتراضية

ونعود الى « عصفور من الشرق » ٠ فى النهاية يدعو ايفانوفيتش صديقه محسن الى العودة الى الشرق : « فلنرحل معا الى الشرق ٠٠ ان العودة الى الهدوء والصفاء هى فى عودتنا الى الصحراء ، هناك نستنشق بملء رئتينا لا دخان المداخن ، ولكن رائحة السماء ٠٠ » (ص ١٨١)٠

هذه هى الفلسفة أو المعادلة الحضارية التى يقوم عليها كتاب الحكيم « عصفور من الشرق » ، ولهذه الفلسفة وظيفة تعويضية واضحة يشير اليها الحكيم ذاته فى كتاباته وبوجه خاص فى مقدمة مسرحية أوديب ٠

ان شعورى بأن الشرقى يعيش دائما فى عالمين على النحو الذى ذكرته فى عصفور من

الشرق هو الحصن الأخير الذى بقى لنا لنعتصم فيه ضد تفكير الغربى الذى يعيش فى عالم واحد هو عالم الأنسان وحده • وشعورى هذا ليس سوى امتداد لشعور فلاسفة الاسلام (أوديب القاهرة ١٩٤٩ ص ٥٠ (٩) •

ومن البين مما سبق أن الشعور الدينى من مصادر الايحاء بمقولة الحضارة التى تعيش فى عالمين ، بالاضافة فالحكيم يهدى كتابه الى « حاميته السيدة زينب » (١٠) • على أن الحكيم يطور هنا معتقداته الفكرية الذاتية كفنان (كما هو الأمر أيضا فى كتاب « التعادلية ») (١١) ، أى يضع لنفسه ويصطنع لأدبه فلسفة خاصـــة أو رؤيا تتفق أو لعلها تتفق مع تكوينه النفسى الذى تشكل فى العشرينات وتناسب عزلة الأبراج العـــالية التى عاشها فى الثلاثينات ، ويعمم هذه الرؤيا أو الفلسفة • وهى فى النهاية **فلسفة افتراضية(١٢)** يأمل من خلالها أن يجمع أشتات نفسه الموزعة بين الشرق والغرب كما أنهـــا فلسفة فكرية تعويضية : « **ملاذ** » نعتصم « به فى وجه الغرب » هو ما تبقى لنا • ومن الغريب ، وأيضـــا من الدلالة بمكان ، أن هذا الملاذ أو المعتصم لا وجود له كما يقول الحكيم فى ختام « عصـــفور من الشرق » ، فهذا الشرق الذى يعيش فيـــه الانسان فى « عالمين » هو ماض أو سراب • يقول محسن :

« **مهلا مهلا أيها الصديق ! ان ذلك النبع الذى تريد أن تراه ، وتلك الأنهار التى تريد أن تشرب منها قد تسممت كلها ! •• لقد قضى الأمر ، ولم يعد هنالك نبع صاف ، فان الزهد قد ذهب كذلك من الشرق ! ••• وأنه لمن السهل ان تقنـــع شرقيا اليوم بان دينه فاســـد ، ولكن ليس من من السهل أن تقنعه بأن « الصناعة الكبرى » هى عجلة « ابليس » التى يقـــود بها الانســـانية الى الدمار •• وانك قد تستطيع اليوم أن تقتلع من راس الشرقى عظمة السماء ••• ولا تستطيع أن تقتلع منه عظمة العلم الأوربى الحديث ••» (ص ١٩٤) « نعم •• اليوم لا يوجد شرق !•• انما هى غابة على أشجارها قردة ، تلبس زى الغرب على غير نظام ولا ترتيب ولا فهم ولا ادراك • » (ص ١٩٤) •**

وينتهى البناء الحضارى التعـــادلى – أو قل تنتهى هذه الثنائية الأفلاطونية التقليدية ، ثنائية الجســـد والروح أو المادة والروح أو العرض والجوهر – الى هذه النهاية المؤسية وهى نهـــاية مؤسية مضحكة ، ونهاية لا مفر منها • فالخلفية التى يطلق منها الحكيم – فى الثلاثينات – **هذه الاحكام على الشرق هى افتنانه الذاتى الضخـــم** بالحضـــارة الغربيـــة كحضـــارة بالمعنى الفوقى للمصطلح وبالمعنى الجمالى ، أى كموطن للفنـــون والآداب الرفيعة فحسب ، (أوروبا بيتهـــوفن وموتســـارت ورمبرانت •• (ص ١٩١) ، دون أبعادها ومقوماتها الأخرى •

من الدوافع الأســاسية للحكيم فى « عصفور من الشرق » – بجانب تشكيل صورته للكاتب عند القراء – هو البحث عن الشخصية الذاتيـــة المعنوية ازاء الحضارة الأوربية ، وهذا المنطلق يحدد مجال الرؤية ويوصـــم هذا البحث من البـــداية بصبغة تعويضية افتراضية ، وبصبغة استاتيكية « فالشرق » **هو ما ليس « الغرب »** ، والشـــرق بضرورة هذه المواجهة وبضرورة الظروف القائمة ليس الظاهر وانما الباطن ، وليس العرض وانما الجوهر ، وليس المادة وانما الروح ، وفى النهاية هو ما كان أو ما يفترض الحكيم انه كان وليس ما هو موجود • **وليس من الغرابة بعد ذلك – على ما يبدو** فى ذلك من تناقض – **أن يسخر الحكيم بالشرق القائم من حوله وأن يصف الشرق** « بانه غابة على أشجارها قردة ، تلبس زى الغرب ••• الخ » • **فالشرق الذى يعنيه ليس فى هـــذه** الدنيا أو قل انه غائب عن الوجود ، وهكذا تتكون **الشخصية الذاتية عن طريق المغايرة الافتراضية**

وعن طريق النفى •• نفى الواقع والتاريخ وحياة الناس • ويصبح الحديث **عن الشخصية الذاتية** بلا جدوى وبلا محتوى •• فالقضية التى تشغل الحكيم هى قضية فكرية فوقية وقضية حضـــارية علوية •

فى برج الحضارة

يستخدم الحكيم – والكثير من المثقفين من أبناء جيله وفى مقدمتهم د • حسين فوزى ومحمود تيمور ، ومن الجيل السابق محمد حســـين هيكل – مصطلح « الحضارة » كقيمة فى حـــد ذاتها ويستخدمه بمعنى ذهنى أدبى عام ،لابمعنى ملموس وشامل (أى كمجموع النشاطات المادية والعقلية ، والأفكار والعادات والقيم والسلوكيات والمعايير والوسائل التقنينية •••) وانما كنسق فكرى علوى •• **وكانجاز قيمى وجمالى معنوى** • فالفنون كمـــا – يقول الحكيم – هى « **ســـماء الحضارة فى هذا القرن** » ، وحولها يجتمع المثقفون المرهفون (« زهرة العمر » ص ١٥٠) ،والفنون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والفكرة هما ذاته الحقيقية . وبمعنى مماثل يعرف د . حسين فوزى « الثقافة » بأنها لون من « التجرد الروحى » ، هى « الارتفاع عن الحاجات المادية والظروف العملية المحيطة بالانسان الى الحياة فى عالم مثالى من الفن والفكر والعلم والأدب » (حديث مع فؤاد دواره « عشرة أدباء يتحدثون » ١٩٦٣ ، ص ٧٣/٧٤) ،وجميع مؤلفات د حسين فوزى هى رحلات حضارية (١٣) ونصادف مفهوم الحضارة هذا أيضا عند محمود تيمور ... وبايجاز ، فقد طبع لفظ الحضارة هذا والحنين الحضارى بهذا المعنى وجدان الحكيم وحسين فوزى ومحمود تيمور وغيرهما من أبناء الجيل الذى تشكل فى العشرينات والتقى بأوربا كحضارة واكتمل تكوينه الروحى والعقلى ... فى دنيا الأدب الأوروبى » بتعبير د ـ حسين .. فوزى . ودون أن ندرك ذلك لن نستطيع أن نستوعب الكثير من مؤلفات الحكيم وتحولاته ومواقفه ، من « عودة الروح » (كتبت ١٩٢٧) الى مرحلة «أهل الكهف» والمسرح الذهنى (١٩٣٢ وما بعدها) ، ومن « عودة الروح » الى « عودة الوعى » (١٩٧٢) ومن « عودة الوعى » الى مرحلة « مصر مصر » و « مصر فقط » كواحة حضارية وارفة مستقلة عما عداها ، أو كمعرض حضارى حيادى (١٩٧٨ وما بعدها) (١٤) ، وقد انتهت أيضا هذه المرحلة فى لحظة خاطفة بأحداث أكتوبر ١٩٨١ كما تنتهى أحيانا الأوهام . تضخم الحديث عن مصر فى تلك المرحلة الاخيرة ، وما زالت تتردد أصداؤه ، واذا أردنا الصدق فقد كان هذا الحديث ـ وما زال ـ يدور عن مصر دون المصريين ، وما زال البعض يستخدمه بمهارة ويحتمى به .

القاهرة : د . ناجى نجيب

---

(١) يقول الحكيم انه حين وضع « عودة الروح » فى أعقاب ثورة ١٩١٩ كان أيضا مدفوعا لذلك من شعوره بأن بلاده « فى أشد الحاجة الى قالب الرواية لتصوير تلك الموضوعات الجديدة التى اقتضتها الحياة الاجتماعية والقومية فى تلك الفترة ... » («سجن العمر» ، طبعة ١٩٦٤ ، ص ١١٦) .

(٢) أنظر عبد الرحمن صدقى : « الأنثى الخالدة ، عدو المرأة وشهرزاد » . فى « الهلال » ، فبراير ١٩٦٨ ، ص ٢١ .

يطلق د. لويس عوض عن حق على توفيق الحكيم لقب « صانع الأقنعة » فهو لا يتحدث فحسب من خلال « الأقنعة » أو الشخوص ، وانما قد صنع لنفسه العديد من الأقنعة وروج لها حتى رسخت صورها فى الأذهان (أنظر « الحرية ونقد الحرية » ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٧١) .

(٣) طرح هذا السؤال على الحكيم فى مرحلة متأخرة ، فكان جوابه :

« لا أستطيع ان أسمى أى عمل فنى ترجمة ذاتية الا اذا كان مكتوبا بهذه النية ولهذا الغرض بالضبط . أى أن يقول لنا المؤلف هذه هى مذكراتى ، أو هذه هى حياتى ، ويكتبها بأسلوب السرد المباشر لحياته . أما اذا صب هذه الحياة فى قالب روائى أو فنى أيا كان فانه فى الحال يصبح عملا فنيا ... » (فؤاد دواره : عشرة أدباء يتحدثون ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ٣٣) .

ولكن القصد وحده لا يحدد بالضرورة الفاصل بين الترجمة الذاتية والعمل الفنى ، ثم ان صاحب الترجمة الذاتية لابد وان يجمع أشتات حياته وأن يصيغ ترجمته بدرجة أو أخرى فى قالب فنى أو أدبى ، ولفظ « عمل فنى » ـ كما يستخدمه الحكيم ـ لفظ عام غير محدد .

(٤) تتردد هذه الفكرة فى كتابات الحكيم ، فيكتب فى « سلطان الظلام » (١٩٤١) أن مشكلة عصر العلم الحديث هو « الصناعة الكبرى » : ان طغيان الكنيسة باسم السماء قد جعل الانسانية تلجأ الى الخلاص والحرية فى نور العقل والعلم البشرى ... بقى أن نعرف أين الخلاص من طغيان كنيسة العلم الحديث : الصناعة الكبرى ؟ « ان كنيسة العلم الحديث بكرادلتها الرأسماليين لتفتح أبوابها على جهنم الغرائز الأولى ... » (ص ٢٦/٢٧) .

(٥) لا ينقل الحكيم آراء الدوس هكسلى مباشرة ، وانما يأخذها عن تقرير بالفرنسية عن حلقة دراسية عقدت بفرنسا نحو عام ١٩٣٤ ـ ١٩٣٥ لمناقشة « مستقبل الروح الأوربى » ، ولفظ « الروح » بمعنى الفكر أيضا (نقلا عن خطاب خاص أرسله الحكيم الى ميلى ويندر مترجم « عصفور من الشرق » الى

الانجليزية ، أنظر مقدمة الترجمة الانجليزية ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ١١) .

(٦) يكتب علي الطنطاوي في « الرسالة » معلقا على كتاب الحكيم عقب صدوره عام ١٩٣٨ فيقول أكثر ما أعجبني « هي هذه النظرة الى الغرب وماديته وهذه القولة الجريئة في بيان حقيقة الغرب وتخلفه في ميدان الروح على سبقه في مجال المادة » (« الرسالة » ١٩٣٨ ، ص ، ١٠٤٠) .

أنظر كذلك محمود خفيف ، « عصفور من الشرق » الرسالة ١٩٣٨ ، ص ٨٧٩ ــ ٨٨٠ .

(٧) أنظر هذه الأفكار في كتابات محمد لطفي جمعة «ليالي الروح الحائر» ١٩١٢ ، و «حياة الشرق» ١٩٣٢ .

وكذلك مقال احمد حسن الزيات «الأدب وحظ العرب من تاريخه» (محاضرة ألقيت في بغداد عام ١٩٣٠ ــ الزيات « في أصول الأدب » ، طبعة أولى ١٩٣٥ ، طبعة ثالثة ١٩٥٢) : « ولماذا تنقلب أخلاقنا الجميلة الموروثة في نظر المدنية الحديثة رذائل ... ؟ السبب يا سادة ان جسم الانسانية في هــذا العصر ،عصر الكهرباء قد عظم وضخم وانداح بطنه وانبسطت عظامه ... » (ص ٢) ، وخلاصة القول أن عصر الكهرباء والآلة والطيارة قد قتل الروح الانساني « فاذا أردنا أن نلائم بين روح الانســانية وجسمها ونرفق بين قلبها وعقلها .. فلنحارب المادة بالأدب والالحاد بالدين ... » (ص ٣ ــ ٤) .

(٨) تتردد هذه الأفكار أيضا في « عودة الروح » (١٩٣٣) ، « نعم ان أوربا قد سبقت مصر اليوم ، ولكن بماذا ؟ ... بذلك العلم المكتسب فقط ، الذي كانت تعتبره الشعوب القديمة عرضا لا جوهرا ... » (الجزء الثاني ، ص ٥٥) .

(٩) أنظر كتاب الحكيم : « تأملات في السـياسـة » : « اذا نزل الشرق عن روحه أيضا لأوربا فما الذي سيبقى له ؟ .. لقد كان الشرق شرقا أي منبعا للنور الروحي ومهبطا للدين والايمان ... يوم كانت فيه الرؤوس تجوع والأجسام تشبع ، الطبقات العليا تصوم وتزهد والطبقات الدنيا تطعم ... » (مارس ١٩٤٨ ، كتاب روز اليوسف ٤ ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ١٤٨) .

(١٠) يقول الحكيم في حديث له عن « التعادلية » . « اني أردت أن أبلور لنفسي معتقداتي الفكرية بطريقة مباشرة ، دون أن أقصد وضع فلسفة محددة .. » (« الجمهورية » ٣٠ يولية ١٩٥٥) .

(١١) في مقدمة «الملك أوديب» يقول الحكيم : « أنا شرقي عربي لا أزال محتفظا بقدر من احساسي الديني الأول ، لم أجتز ما اجتازته العقلية الأوربية .. » (طبعة ١٩٤٩ ، ص ٣٩) .

(١٢) « ان أفكاري وتصرفاتي تكاد تسير على طريقة هندسية أو حسابية ... ولكني قد وجدتهـا متمشية مع العقل والمنطق الذي تقتضيه فروض خاصة أنشأتها أنا في البداية .. » (« زهرة العمر » ص ٤٠ ــ ٤١) .

(١٣) حول « الأسس الحضارية » لتصنيف البلدان وحول « الجوانب الحضارية » أو « الحضارة بمعناها الروحي والثقافي » تتجمع كل اهتمامات حسين فوزي ، ، بحيث يغيب عن وعيه كل ما عدا ذلك ، ويكتب في مراجعاته فيقول :

« انني حينما أريد أن أحكم على بلد أسأل عن عاصمتها ، ان كانت فيها دار للأوبرا ، وجامعة ، وهل لديهم قاعات للموسيقى وأوركسترا ســمفوني ، وكيف تعمل مجلاتهم ، وماذا يحقق مثقفوهم في العالم ، هل لديهم روائيون ممتازون ، وما حال المسرح عندهم ؟ وما الى ذلك ، أعني لو أن الأمم المتحدة أقامت أساسا من الحضارة الروحية ، وليس مجرد أســاس من الآلة ، كما تفعل اليوم ، لكان هــذا أفضل : لأن الدول النامية حينذاك ستفكر في الوصول الى تفوق حضاري أكثر مما تفكر في اقامة الآلات والصناعات » .

(« سندباد في رحلة الحياة » ، « اقرأ ٣٠٦ » ، ص ١١٥) .

ولا يحتاج هذا الحديث الى تعليق .

(١٤) أنظر مقالات الحكيم في « الأهرام » (مارس ــ أبريل ١٩٧٨) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

جحيم الـورد

أحمد مرتضى عبده

بعيدًا .. أيها الـوردُ
بعيدًا .. أنت تـأخذنى
لرائحة الغموضِ
فلا يرانى الحلمُ ، يشطرنى
بقبضِ الـريحِ :
أمسكُ عنكَ رائحتى .. وأعشابى ...
بعيدًا أنت تـأخذنى

فأتركنى إلى الحلفاءِ والبرديِ
وأنقشُ – عامـدًا .. حـزنى
وأشكو عـامدًا .. سأمى
وتـأتى الريـحُ ضائعةً
ويـأتى .. بالسكوت .. فمى ... ! !
بعيدًا .. أيها الـوردُ
وليس لـدىَّ مُعتنقى :

أهيكلُ طين أغنيتى
وأدعونى لمائدةٍ من الجوع :
أزَّنىَ أحـرفى لحْمًا .. فتأكلنى
أشكِّلُ أضلعى وطنًا .. فيلفظنى
وأخرجُ عبر تابوتٍ من الخطوات مرئيًّا
من الرجفات
مفتوحًا على قلبى ... ! !

• • •

وداعـاً .. كنتُ مجنونًا بورد الليلِ
فانهدلت لورد الصبح أغصانٌ من الذكرىِ
تقوَّسُ لحنىَ الصادى
وداعًا .. كنتُ مجنونًا بنبض – الليلِ
فاحترقت ضلوعُ القلبِ واحتفلت بِضائعتى
ورودٌ تشربُ الوطنا
وكنتُ أقـودُ أغنيتى .. فقادتنى لمجنونى
أسافرُ دون قافـلة
وأنزلُ بين فوضـاها
إلى دلتا أسـاطيرِ
على رؤيـا .. بلاأثرِ .. ! !

• • •

وداعًا للصدىِ المحمومِ .. أسلحتى إلى وطنى
وداعًا للسمير المُرِّ فى مللٍ يساندنى إلى مللٍ
يعبِّؤنى

لأنى منذُ ألقيتُ الندي فى الحرفِ
جفّفنى طريقُ الوجد .. ضيّعنى
وأبقى فىَّ كلْماتى
لتنمو .. عبر ذاكرتى .. فأنمو فوق ضائعتى
أحدّثُها عن العشقِ الذى توّجته وطنًا
أشاطرهـا تورّد وهمها السادى ..
وداعًا .. كنتُ أعْرفنى
وتلك الريحُ قادتنى .. إلى وطنٍ من الأوراقِ
قادتنى
إلى إيقاعِ أغنية .. وداعيّة ... ! !

• • •

وأتركُ حـزنىَ الماضى
لأدخلَ وجهى الحاضرْ
وأنضو ثوبىَ الماضى
لألبس وردة الآتى .. :
جحيمٌ .. أنت .. يا وردُ
ورائحةٌ .. تؤرقنى .. وتتركنى إلى دمنٍ
من الوقت
ووديـانٌ .. .. تحاصرنى
أرى .. فى موتها كلئى .. ومُلتجِى
وأصْفرُ مثل سنبلة
وأنمو فوق أشجار من الزنبقْ
تردّ الليلَ مُزحيًا ... تُؤلّق وردىَ المُرهق
وتسّامى إلى قلبى ...
وأترك حزنىَ الماضى
وأدْمنُ بغتة الذكرى ،
أصعّدنى إلى ما ليس يُلقينى إلى الذكرى
ولكنْ .. كلُّ هذا الوقت يمضى بىْ
ويُغرينى بأن أمضى .. فأغزونى بلاحُلُم
وأجْفونى .. بلاسببٍ ... ! !

• • •

لِقلبى تُفسحُ الصحراءُ قافلةً من العشقِ
وعشقى صار مجنونًا
بلا .. رمقٍ
أُعبّى – صامتًا – قلبى بثرثرةٍ تحاورنى
وأنسى الروحَ فى تغريبةِ البحرِ
فأنسى الموج .. فى وهجى ...
وداعًا .. تفسح الصحراءُ قافلةً مِن
من العشقِ
وسهبًا ينتهى فى القلبِ ،
حبًا .. ينتهى فى القلبْ
وداعًا .. للورود الجالسات على شهيقى
وداعـــاً ...
للسقوطِ
على الرحيقِ ... ! !

القاهرة : احمد مرتضى عبده

الموكب

نادية كامل

القطار مسرع ، والكل صامت · تقترب أعمدة التليفون لترتمى وراء القطار · المساحات الخضراء الشاسعة سرعان ما تختفى لتحل محلها مساحات أخرى صفراء ، ثم طينية سوداء ، ثم خضراء مرة أخرى · لكنها لا ترى من هذا كله شيئا · أمر واحد يشغل بالها · يؤرقها ، ليالى طويلة أمضتها مفتوحة العينين تحادث نفسها — أياما مريرة كثيرة عاشتها فى صمت كالآلة ، الى أن قررت السفر·· وها هى الآن فى القطار السريع· القطار فاخر مكيف ، ولكن ثمة نار تتأجج فى داخلها · ستذهب لتطفىء هذه النار وتستريح ·

لم يبق سوى ساعة واحدة وتختفى هذه المراعى الخضراء لتحل محلها المدينة الأسفلتية الداكنة ·

كم أحبت هذه المدينة الرمادية بغبارها ، وسياراتها ، وشوارعها المتآكلة ، كل شىء متعب متهالك فى المدينة الرمادية · الوجوه ، والشوارع ، والبيوت · كالسفينة المثقلة تنوء بأحمالها · وها هى اليوم أيضا تنوء بما تحمل · والشمس فى منتصف السماء تبعث بدفئها الى أعماق الأرض ، فينبت الزرع ، وتورق الأشجار · ولكن ليس فى قلبها دفء · ماتت الشموس بداخلها ·

مساحات خضراء ، وأخرى صفراء ، ثم طينية · تتوالى · كل مساحة تفسح المكان للتالية متنازلة عن حقها فى البقاء · اختلطت الألوان أمام عينيها فأصبحت لونا واحدا ، هو خليط من الأخضر والأصفر والأسود ·

أخذ القطار يبطىء من سرعته رويدا رويدا ، حتى توقف · مدت يدا متوترة الى النافذة المعدنية ، ورفعتها ، علها تعرف سبب توقف القطار · لا شىء سوى شمس محرقة ، وألوان ثلاثة تحاصرها · أسدلت الستائر ، ونظرت الى ساعتها : الثانية عشرة والربع ظهرا · تخرج الحرارة من بطن الأرض لتحيل سطحها الى جمرات · تململت · لم تعد تقوى على الانتظار ، لم يعد باستطاعتها أن ترجىء هذا اللقاء · انتظرته طويلا ، وفكرت فيه ، وترددت · وها هى الآن على وشك الوصول لولا هذا العطل غير المنتظر ·

بدأ الركاب يهبطون من القطار الذى تعطلت أجهزة تكييفه بحثا عن نسمة هواء نقى ، لم تجد بدا من الهبوط ، حتى لم تفلح مروحتها الأنيقة البيضاء فى طرد حبات العرق ، التى بدأت تنبت ، ثم تكبر ، كى تهبط على وجنتيها كدمعات ساخنة · درجات السلم مرتفعة ، والأرض ليست مرصوفة · تنبعث الحرارة من بطن الأرض فتبدد النسمات القليلة التى سرعان ما تزول · بقيت وحيدة وسط الجماعات الصغيرة التى تكونت بسبب تعطل القطار ، والرغبة الملحة فى الشكوى ، وقتل الوقت · وهى صامتة

منذ زمن بعيد وهى تلوذ بصمتها ، فتجعل منه أسوارا عالية تحميها . تريد أن تشعر بكيانها ، بفرديتها ، أن تغرق فى ذاتها حتى تحدد ماتريده بالضبط . وهى الآن تعلم ما تريد . يجب ألا يشغلها شاغل عن تحقيق هدفها . عليها أن تضع حدا لليالى القلق ، والأرق ، والعذاب . ستذهب اليه ، وتفجر كل الألم المكتوم ، ينابيع طال ازدحامها بالماء ، وعندما سيسيل ويغرق كل شىء ، ستعود مرتاحة البال راضية .

ما من شجرة ظليلة هنا . ما من نسمة . انعكس الضوء الباهر على ثوبها الأبيض فزاده بياضا . الأرض داكنة متشققة عطشى ، الحذاء غير مريح . بدأ التراب يكسوه .

نقطة بيضاء هى وسط بحر أسود ساكن الأمواج . تركت نفسها للتيار ، لليم الأسود . وسارت وعيناها مركزتان على الحصى الصلب أمامها . لم تكن تراه . لم تكن ترى شيئا ، ولم تعد تفكر فى شىء . وكأنها كتلة متحركة من الأرض الساخنة . لم تشعر بالوقت يمر ، ولا بالمسافات التى تقطعها . رفعت عينيها بعد قليل . طالعها من بعيد شريط أخضر ، ودت لو وصلت اليه . أخذت تنظر الى النباتات المتلاصقة فى ألفة ، تميل سويا لو هبت نسمة ، وتتساند لو هبت ريح ، وتكون فى النهاية ذلك الشريط الأخضر الذى استهواها . حثت الخطى . ثم توقفت . فقد طالعها حشد من الرجال يسيرون فى صمت . ثم نساء كثيرات متشحات بالسواد . لم تتبين وجوها . تناست الأرض الصلبة العدوانية ، وأسرعت . الوجوه تتشابه ، والخطوة متثاقلة متأنية عن عمد . لحقت بالموكب الصامت ، وسارت خلفه . اندست وسط النسوة الشاحبات المتشحات بالسواد . هى بثوبها الأبيض الأنيق أصبحت جزءا منهن ، جزءا من هذا الحزن الصامت فى نبل وشموخ . الموكب يسير فى طريقه المرسوم . الجسد المسجى على أكتاف الرجال يبدو هشا . صبى فى عمر الزهور لابد أنه كان . انسابت دموعها ساخنة تبلل الوجنتين الملتهبتين . وأحست أنها جزء من هذا الموكب الحزين تبكى ولدها ، فلذة كبدها . بالأمس كان يصنع بيوتا من التراب ، ويجرى وراء طوق معدنى صدىء . ها هو الآن مسجى على الأكتاف . سيوارى التراب، وتضمه ظلمة القبر ووحشته . بعد أن ضمه حضنها الدافىء الحنون .

اختلط التراب بالعرق ، وصل الموكب الى مقابر القرية تعالى النحيب والصراخ . لازالت دموعها تنساب ساخنة . لم يثر وجودها دهشة أو تساؤلا . هى تبكى كما لم تبك من قبل . أنزل الجسد الصغير الى الحفرة ، أصبح جزءا من الأرض السوداء . أخرجت منديلا ، ومسحت التراب ، والدموع ، ثم مضت عائدة الى بيتها . فان ولدها قد مات .

القاهرة : نادية كامل

إيقاع الزمن القادم

صوتكِ ينشلنى من أعماق الجب
يحملنى فوق جواد الريح
يسقينى صوت الحق السارى فوق جناح
الرؤيـا
يرفض أن تتشرنق فى أفراح اللقيا . . .
.. أصداء الكذب السائل من ثوبى المصبوغ
بزيف دمـاء الذئب
يفتح كل خزائن هذا العالم بين يدىّ
يكشف ماخلف رؤاىَ من الآفـاقْ
يزرع ظلَّك فى تربة قلبى . . .
. . فتحلّق كل الأكوان بجفنىّ
يجعل ليل رؤاى حدائق ضوء أنصع من
فلَق الصُّبح
يأتينى من خلف الجدران فيؤنس وحشة
روحى

وأنا فى سجن يقينى وعفافى وإبائى وجموحى
أنعم بالقيد الحر وأرفض تاجا ينسجه
الشيطان
أن أمشى فوق السيف وأقطعُ بالسكين يدىّ
أهون عندى . . .
. . من كرسىٍّ كالحربة مغروس فى صدر
الإنسان
وأتانى صوتك فى خطو القادم يستفتينى.
. . فى سر البقرات السَّبع
يعلن أنى بعد الإفتاء طليق ! !
هل تبتلع البيداء الفيضان ؟
هل تتشرَّب ماء البحر الشطآنْ ؟
هل تغتال طفولة أفراح العمر الأحزان ؟
هل تأكلنا سنوات الجدبِ . . .
. . . وتسرق من أعيننا الألـوان ؟

■ د. صابر عبد الدايم

* هذا صوتك يغمرني يستر عمري العريان
يأبى أن أخرج من ذاتي عرافًا تحميه
نبوءاتُه
أن أحمل للسلطان بشارات العهد الآتي
وتبعثرني - إنْ شذّبتُ أوامرَه - إنذاراتُه
تقذفني - إن كنت صدوقا - في الجب
كالبرق الغارب في موج الآفاق
* يأبى صوتكِ أن أُفلِتَ من قيدي . . .
. . . وأظل أجدف في أغلال الإثم سجينا !!
كل موانى العالم تطـردني
ونبوءاتي للسلطان - إذا كذبت - تتقاذفني
وغدوت ببادية السجن طليقا
أضغاث السلطان تلاحقني
وأنا جددت روى من قذفوني خارج دائرة
البـررَة
* وأتاني صوتك من عين « زليخا »
ببكارته لوّن درب حياتي
فعدوت بقلب القصر طهور الخطوات

أفتح للدنيا جنات خزائن حبي
أسقى المفترقات رحيق الوحدة من
قلبي
وأجمِّع كل الأبعاد بشعبي
* ورأيت نداوة صوتك في بحة صوت
الضعفاء
« تالله لقد آثرك الله علينا »
« تالله لقد آثرك الله علينا »
* وتلاشت كل الأصوات الغائمة من الساحه
لم يبق سوى صوتكِ . . .
. . . ينشلنى من قاع الجب
يسقيني صوت الحق الساري فوق
جناح الرؤيا
يجتاح سدود الغيب
يفتح كل خزائن هذا العالم بين يديّ
يزرع ظلك في تربة قلبي . . .
. . فتحلق كل الأكـوان بجفنيّ

الزقازيق - د . صابر عبد الدايم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حلم العجوز

عندما رفع أصبعه من فوق الجرس انفرج أمامه الباب البنى اللون • كانت هى التى تستقبله وترحب بقدومه ، ثم تدعـوه للدخول • وقبلما تستقر خطواته المترددة بالداخل بادرته فى لهجة خاصة • كان صوتها مصحوبا بنبرات حازمة ، لم تحمل له أية فرصة للتردد أو عدم الطاعة ••

ـ لا تفاتحها فى شىء اليوم !!

سرح لحظة فيما قالته ، بينما كانت أقدامه تسبقه الى الداخل عبر صالة لم يكن قد حفظ مكوناتها • تذكر زيارته الأولى ، وكيف طلبت منه تأجيل عرض الأمر • دعته للجلوس فى حجرة استقبال مربعة الشكل ، فى طابعها ذلك الطراز القديم ، الذى يشى بالعراقة • قاطعته :

ـ لقد أخبرتها أنك ستحضر اليوم للسؤال عن صحتها •

كان يعرف أنها تخشاها ، وتحاول ارضاءها • جلس فى مواجهة الصورة الكبيرة التى لم يلحظ وجودها فى الزيارة الأولى • لعلها لم تكن موجودة ، أو لعلها استقبلته فى غرفة أخرى • الصـورة لرجل فـوق رأســـه طربوش ، ويرتدى الزى العسكرى ، وتربع فوق وجهه شارب ضـخم ، وتقف بجواره امرأة فارعة الطول • تذكر أنه لم يسأل عن صاحبى الصورة فى الزيارة السابقة • عندما رأته يركز عينيه بداخل الصورة ، بادرته متسائلة :

ـ أتعرف من صاحبة تلك الصورة الجميلة !

صمت قليلا • أدرك أنه لم ير الصورة فى زيارته السابقة • أجاب •

ـ لعلها صورتها ••

ابتسمت مؤكدة ، ثم قالت :

ـ انها نائمة الآن ، وسوف تستيقظ بعد قليل ، وأرجو ألا تكلمها فى شىء •

لقد عادت الى الكلمات غير المفهومة !!

فكر مليا فيما دار بينهما فى الفترة الأخيرة • كان يلمح فوق وجهها علامات من الاكتئاب والحزن وشت بحالتها النفسية • صفحة الوجه البيضاء الجميلة لم تكن كعادتها نضرة تعلوهـا الفرحة • كانت ترسل ابتســامة باهتة وأسيانة ، عندما حاول الاستفسار عن حالتها هربت من أسئلته • أدرك أن الشجار المعهود حدث صباح اليوم ، أو

شمس الدين موسى

ربما ليلة الأمس بينها وبين العجوز • كان يتحين الفرص لتوجيه سيل أسئلته ، لكنها لم تتكلم شغل نفسه بانتقاء الكلمات • اعاد بعضها • توجس من الكلام معها عن العجوز • أصبح الانتظار طويلا وسط جو العمل الذى يجمعهما • تحركت بداخل الغرفة عدة مرات • انتقلت أصابعها الى حقيبة اليد كي تحكم اغلاقها مرة ثم مرة • كان هناك من يشاركهما المكان ، بينما هو مستغرق فى متابعة عناوين الجريدة ، منتقلا من عمود الى آخر ، ومن صفحة الى أخرى ،ابتلعته أحاسيس طارئة من الوجوم قلما كانت تنتابه فى بداية اليوم • بدأ يحس بنوع من القلق الغامض احتوى صدره • لم يرها بالأمس • عندما رآها اليوم تحول القلق المتوجس الى أسنان حادة انغرزت فى روحه • انتظر حتى يتبادل معها الكلام ليحدد ماذا يفعل • أدرك فى الفترة الأخيرة أن حالتها انتقلت اليه عن طريق العدوى البطيئة • لم يتذكر بدء اهتمامه بها وشغفه بالتواصل معها • كان فى البداية يبدى اعجابه بجمالها الحزين الآسر • أحس بوجودها يتسرب الى داخل نفسه بطريقة هلامية • عرف أنها وحيدة ، وتعيش مع عمتها العجوز منذ سنوات الطفولة • ما كان يوتر علاقتها بالعجوز أن العمة ليس لها أولاد • تولت العجوز أمرها منذ الصغر • كانتا أقرب الى بعضهما من أى شيء آخر •

أحس أن وراء كلامها عن العجوز واهتمامها بها سرا ما وعرف أنها كانت ضحية لتجربة فاشلة ، لكنها لم توضح تفاصيلها • ظن أنها تكره الرجال• كانت تعيش فى عزلة عن الآخرين • عندما تحدث معها أدرك أنها لا تكره أحدا • لكنها تحمل فى صدرها شيئا غامضا • تأكد أن العمة العجوز وراء تلك التوترات المفاجئة التى لاحظها الجميع • بادلته الرأى فى بعض الأمور • بعد فترة تحول اقترابهما الى لازمة من لوازم وجودهما معا • حكت له الكثير من همومها • كان يجد لذة فى المشاركة •• أصبح أكثر اهتماما بتفاصيل حياتها بعد أن عرف كم هى قلقة • كان قد عزم على مصارحتها بضرورة ارتباطهما • خشى أن تتحول الصداقة الى حالة من التوجس والقلق بعد تجربتها الأولى • أدار الأمر فى رأسه عدة مرات • احتار فى الطريقة التى يفاتحها بها ليعرض ما عزم عليه وسط لحظات القلق المتواترة • هل تقبل ما يعرضه عليها أم ستفضل الرفض أو التأجيل ؟ كان ما بينهما غامضا ومثيرا • كلما حاول فك رموز نفسه أمامها كانت الظروف تمنع ذلك مما جعله يطيل لحظات الانتظار والترقب •

سألها :

ـ ماذا حدث اليوم ؟

ـ •• •• •• •• ••

ترقرقت حبيبات صغيرة من الدموع البللورية فوق عينيها • واستطرد :

ـ العجوز أيضا !!

أكدت توجسه بنظراتها التى صوبتها نحوه :

ـ هل تشاجرتما اليوم ؟

صمتت فترة ، ثم قالت :

ـ لقد عادت الى حالتها الغريبة • انها تشك فى ، وعادت لتحكى حكاياتها الغريبة عن الذين هاجروا ، والذين سافروا ، والذين ماتوا • حكت عن أمى ، وكيف كانت تعامل أبى بقسوة ، حتى أوصلته الى الوحدة ثم المرض المزمن •

صمتت قليلا ، واستطردت :

ـ لقد عادت الى اتهامى بأنى أقابل أمى خلسة لكى نتآمر عليها • وأنها رأت فى منامها اننا اتفقنا على محاربتها • وكيف أفعل هذا ؟ ؟ هى الوحيدة التى قامت برعايتى • اننى لا أرى أمى سوى فى المناسبات عندما تزورنا • لم أرها منذ عام ، لقد أصبحت أعيش فى جحيم دائم من وسوساتها • انها تنتظرنى كل يوم فى الشرفة ، وعندما أحضر تسألنى عن الذى كان يخاطبنى فى بداية الشارع ؟ وعندما أقول لها أنه لم يكن هناك من أخاطبه ـ كانت تقسم بأنها رأتنى بعينيها وأنا أخاطب أمى ، ثم تتهمها بأنها توجهنى ضدها •

بادرها قائلا •

ـ عليك أن تتركى بيتها فورا !!

نظرت اليه ، ثم قالت :

ـ لو تركتها لأصبحت مجنونة تردد الكلمات غير المفهومة • انك لا تعرفها ، عندما تركت بيتها ذات مرة ، بكت ليلا ونهارا ، وأصابها المرض والهزال لفترة طويلة ، وبدأ سمعها يضعف •

أحس أمام كلماتها عن العجوز ، أنها شخصية غير طبيعية • لعلها امرأة متهالكة بفعل المرض والشيخوخة • عندما طلب منها مقابلتها أول مرة أجلت ذلك الى وجود مناسبة لأنها سريعة التوجس فى المرة الوحيدة التى رآها فيها كانت مثالا للسيدة المتعالية والمتكبرة • لم تضع فى اعتبارها شيخوختها • تكلمت معه بلغة ذات لهجة بعيدة عن العربية • أوصلت اليه احساسها بالتميز • تكلمت عن أسرتها وأملاكهم الكثيرة التى ضاعت ، وكانت تترامى فيما بين ميدان باب الشعرية وحى الظاهر • تخلل حديثها بعض الكلمات الغريبة والأسماء التركية • حكت له عن الأمكنة القديمة التى كانت تعمر المنطقة ، وبقايا القصور التى دهمتها العمارات الجديدة • كما شكت من الناس حولها • كانت تخفى فى نفسها أشياء كثيرة جعلتها تعتز بذاتها • كما شكت من أمراض الشيخوخة وعدم قدرتها الدائمة على الحركة منذ انفض عنها الجميع •• وتكلمت عن طفولتها التى لا تزال تذكرها ، وعن الجارية الحبشية التى تولتها منذ الصغر ، وكانت تحملها فوق عربتها الصغيرة وتتنزه بها حول حديقة كشتمر وقصر الظاهر • عندما سألها عن موقع هذه الحديقة برقت عيناها الواسعتان أسفل عدساتها السميكة • لم تفهم سؤاله • رسمت بيديها خريطة من خيالها • قالت أن وقف كشتمر كان يمتد فى المنطقة المحيطة بمسجد الظاهر • كما تكلمت معه عن الانجليز الذين عسكروا بداخل المسجد وبجواره • قالت له ان أباها الضابط كان يكره الانجليز والأوربيين • عندما كانت منهمكة فى الحديث مسترجعة صور الماضى السحيق ابرزت غضون الوجه ملامح جمال قديم تلاشت سماته • لم تترك لديه أية انطباعات سلبية الا عندما سألته فى تودد عن أحوال ابنة أخيها •• وهل يتصل بها أحد فى العمل ؟ ـ هى ابنة أصغر أشقائها •• لم تمهله الاجابة • كان يظن أنها ستسأله اذا كان يحبها أم لا ؟ • لم تنتظر منه اجابة على أسئلتها • نظرت اليه فقط ، وضعت يدها المعروقة البيضاء فوق كتفه • كانت كلماتها له شديدة الطيبة ، وشت بالكثير من العواطف التى كانت مكبوتة بداخلها •

أحس أن صورة العجوز فى رأسه لم تختلف عنها فى الواقع • لكنها لم تكن كاملة المعالم • لم يقل لها شيئا عن ذلك الخاطر ، كما أنها لم تظهر أمامه ما أظهرته العجوز • عندما بدأ تعامله معها لم يلحظ أثرا للماضى فى أحاديثها • كانت صورة مناقضة لصورة العجوز التى كان عقلها مشدودا الى الماضى • لم ترفض حضوره الى البيت •• رحبت به كثيرا • كانت تسألها عنه بين فترة وأخرى • عندما كان يطلب منها الحضور لزيارة العمة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كانت ترفض متعللة بطباعها الغريبة · لم تحب أن يزورها فى فترات تقلبها التى تستمر أياما عديدة · كانت تقول له :

– انها لا تلين بسهولة ، انك لا تعرفها ، لقد ورثت الكثير من طباع أجدادها ·

سألها :

– كيف وافقت العمة العجوز على اشتغالك · بل تعليمك منذ البداية ؟

أجابت :

– أبى هو السبب فى ذلك ، وكان الشقيق الأصغر والوحيد الذى بقى على قيد الحياة من كل أشقائها ·

تداعى كل ذلك بداخل رأسه ، بينما عيناه تتوقفان على ملامح السيدة الفاتنة التى تجلس بجوار الضابط داخل اطار الصورة العتيقة · لم يجد أثرا لأخاديد أو غضون فوق الوجه ، كما لم تكن عروق اليد قد برزت أو العيون قد ذبلت · صفحة بيضاء ممتلئة بالصبحة والجمال · كانت الرقبة تنضح بالكبرياء ، والعينان تنفذان الى الأعماق · لعلها كانت تبحث عما ستأتى به الأيام القادمة · لكنها ما كانت سترى تلك الصورة لامرأة تعدت الثمانين تنظر من وراء عدسات سميكة ، وتنحنى ممسكة بعصا تساعدها على الحركة ·· لم تكن سترى أن ذلك العنق الشامخ سوف ينحنى أسفل ثقل الأيام ، كما لم تكن تظن أن عينيها الزرقاوين ستذبلان ولا يبقى منهما الا تلك الزرقة الصافية ، وأن ذلك الكيان سوف ينكمش فوق أحد المقاعد الوثيرة العتيقة · كان كل ذلك يتواتر فى رأسه بينما هو حائر فى كيفية التصرف أمام تمنع فتاته الذى يبدو مفاجئا ·

لقد أولته الاهتمام ثم بادلته مشاعره ، وأعلنت له موافقتها على ارتباطهما · لكن هناك شيئا ما لم تعلنه · كلما حاول تلمس أبعاد العلاقة بينها وبين العجوز · كانت تتملص منه وترفض الخوض فى أية تفاصيل · استمرت علاقتهما لأكثر من عام · لم يشعرا بمرور الوقت ·· لكنه يتذكر أن العجوز كانت دائمة التسلل بينهما · كانت تتواجد أثناء حديثهما المشترك ، كان وجودها حاضرا على الدوام · لم تغب عنهما · كانت تقطع لقاءاتهما القصيرة المبتسرة · شبحها كان يظلل همساتهما · أحس أن وجودها بينهما تجاوز كل الحدود · كان هناك ، دائما ، شىء جديد يستغرق حديثهما الخاص متحولا نحو العجوز ، فمن حالات المرض ، الى حالات الاكتئاب والامتناع عن الطعام ، الى حالات الشك المزمن التى تصبها فوق رؤوس كل الناس · كان فى بعض الأوقات يتلمس مبررا لحديثها عن العجوز · كان يرى توزعها بين رغبتها نحوه والعناية بالعمة ، تلك العناية التى تستغرق حياتها كاملة · قبل زيارته الأولى طلب منها أن تخبر العجوز عن السبب الحقيقى للزيارة · كان مستعدا أن يقول للعمة أنه يستطيع أن يذهب حتى نهاية العالم بسبب حبيبته ، وليس على العمة الا الموافقة ومباركة حبهما ، لكنها غمزت له بعينها قائلة :

– لم أقل لها أنك حضرت بسبب ···· لقد أخبرتها أنك حضرت من أجل السؤال عن صحتها !

هربت منه الكلمات · لم يتوقع الانتظار · أحس ان ولعه بها ورغبته فى مواصلة حبهما تتجزر فى وجود العمة · يتحول الى مساحات صغيرة معزولة · كانت تقتحمه حالات من الجفاف والتوجس · لم ير فى وجودها سبيلا الا ترديد الكلمات المجاملة والتودد الذى كان يتقمص شخصية الفتاة · لديه فكرة عن مزاجها الحاد · فضل الصمت فى كثير من الأحيان · ظل طوال الزيارة مستمعا الى ترثرات العجوز عن الأملاك البائدة لأسرتها المنقرضة ؛ وذكريات طفولتها وشبابها ، وبيت أسرتهم الذى كانت تحيطه الأشجار ، وأبيها الذى مات فى السودان عندما كان على رأس فرقة تركية · لكنها لم تتحدث عن الفتاة · لاحظ أنها تعاملها كامبراطورة لها حق الطاعة والولاء · كانت فتاته سريعة الاستجابة لجميع رغبات العمة · لم تكن ثمة مناقشات أو اعتراضات ، أبدت الفتاة محاولات متوالية لارضائها ، واجتلاب العطف منها · أظهرت أمامه طاعة دائمة وكاملة بلا حدود ·

تمت الزيارة الثانية عندما مرضت العمة · كان يظن أنه لن يراها ، وسيتقابل مع فتاته فقط ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تحاملت العجوز أمامه ، كانت تخفى ضعفها • قالت له بينما تجلس فى فراشها :

– انها ليست مريضـــة ، هى مرهقة فقط ، والمرض لديها لا يســـتمر أكثر من يوم واحد ، وهكذا أسرتها ، فهم لا يمرضون لفترات طويلة لأن الطبيعة الجبلية أكسبت أجسادهم مناعة ضد المرض حتى فى سنوات الشيخوخة ، أسرتهـــا معمرة • أبوها مات بعد أن تعدى المائة ، وجدها مات بعد المائة والثلاثين • أسرتهـم تنحدر من أعرق قبائل الاناضول • لكن زوجها الضابط مات فى الحرب • والذى خرج عن القاعدة هو شقيقها الاصغر والوحيد •

وعند ذلك حاولت الفتاة جذبها بعيدا عن سيرة الموتى • عرف أنها فعلت ذلك خشـــية التطرق للحديث عن امها ، وأنها السبب فى موت شفيقها ، لأنها كلما تذكرت شقيقها لابد أن تتذكر أفعال أمها التى لن تغفرها لها أبدا •

كاد يسألها :

– هل العمة ترفض ارتباطك بى ؟

لكنه أجل سؤاله عدة مرات ، فهو يعرف كم تحب العجوز . وهذا السؤال لا ضرورة له ، راى فى عينيها الرغبه فى الانتظار • فضل أن يؤجل الحديث حتى تحين الفرصـــة لكن العمة كانت تجذبهما تجاهها • وكلما عاود طلبه فى الفترات المناسبة كانت تطلب منه أن ينتظر لفترة أخرى ، وتتعلل بأية أسباب • تكرر الطلب والتأجيل ، والانتظار • كاد يشك فى عواطفها نحوه • ما كان يجذبه اليها ذلك الارتبـاط الشـديد والمستمر بالعجوز • تلك الحالة التى لم يســـتطع فك طلاسمها • كانا نقيضين فى كل شىء من الحدة فى المزاج الى الهدوء والصفاء • من ملامح الشيخوخة الى حيوية الشباب • ومن الريبـة الدائمـة الى الاطمئنان والصدق • كلها كانت عوامل تتناقض مع بعضها أمام عينيه دفعته نحو الاعجاب بهـــا والانجذاب اليها •• ظن بوجود شىء مستتر بينهما لم يستطع فهمه • العجوز هى القطب الأقوى الذى يجذب ناحيته جميع الأجسام الضعيفة • لم يتصور فتاته تعيش يوما واحدا دون التفكير فى أمر العمة العجوز • هى قابعة بداخلها وسط منطقة معينة •• لا يمكن أن ينزعها من مكانها شىء آخر • التفكير فى أى شىء لابد أن يرتبط بالتفكير فى أمرها • هى دوما هناك رغم ضعفها الظاهر • تحتل أكبر مساحة من نفس فتاته وعقلها • كانت تفسـد عليهما التمتع بأشياء عديدة • قالت :

– العمة لا تمـــانع فى زيارتك فى أى وقت تشاء ، مادمت لن أخرج من البيت !! أظهرت له أنها تخاف الوحدة • عندما تركتها ذات مرة ظلت تبكى بكاء حارا ومريرا حتى عادت • لما سألتها عن أسباب البكاء • قالت انها ظنت أنها ذهبت الى أمها ولن تعود اليها • كلما خرجت الفتاة لقضاء شىء ما كانت تعاودها حالات التوجس والشك وترديد الكلمات غير المفهومة •

وصلت اليه عبارات العجوز متكسرة لترحب به من داخل الغرفة الأخرى • حملت اليه شعورا لم يستطع استجلاء ما وراءه مرة واحدة • لم يكن لديه ما يقوله غير عبـــارات الود للاطمئنان على صحتها • كلماتها التى ترحب بوجوده لم تخف احساسها بالعظمة ، فى وجودها لم يسمع صوت الفتاة • كانت توزع نظراتهـــا بينهما • حواسها كانت تستجيب لأدنى اشارة تصدر من العمة • جلست صامتة •• لعلها تمثل امتدادا لها •• لم يكن ذلك الامتداد نفســـيا فقط • كانت روح العجوز تصـبغ ذات الفتاة برداء شـفاف من مشاعرها • ظن فى البداية أنها ستتكلم معه عن توجساتها التى تشقى لها فتاته لكنها لم تعلن عن أى توجســات • حاول أن يستشف ما وراء عينيها الزرقاوين فلم يستطع • كان قد عزم على مفاتحتها فى الأمر • نظرت اليه الفتاة •• أدركت ما كان يرمى اليه •• جاءته كلماتها :

– لا تفاتحها اليوم •• ان مزاجها ليس على مايرام !!

شعر في وجود العجوز بأنه تضاءل مثل قزم لا يستطيع تسلق الأشجار . تحول وجودها الى شجرة باسقة تمد جذورها الى الأعماق . كان جسدها المتهالك يضفي عليها نوعا من الاستسلام بعث صوتها المتكسر في نفسه الشعور بالاطمئنان . لابد أن يفاتحها رغم التحذيرات ذلك هو ما بيت عليه الأمر رغم تحذيرات الفتاة . تحين الفرصة كي يفجر قنبلته . عندما ذهبت الفتاة بعيدا قرر أن يعرض الأمر على العمة . رتب بعض العبارات في رأسه أعادها مرة ومرة . رفع صوته بينما عيناه تتركزان على الجسد الواهن الضعيف .

ـ لقد حضرت اليوم لأخذ موافقتك في أمر ارتباطنا .

امتدت الأصابع النحيلة كي تهش ذبابة مارقة على سطح الوجه الناصع المغضن . لم تكن عيناها منتبهتين . ظنها تفكر . عندما لم تجبه توجس من الرفض . كرر طلبه ثانية :

ـ لقد حضرت اليوم ... كي ...

وقبل أن يكمل عبارته .. رآها تنظر اليه في حذر بينما تثبت عويناتها الزجاجية وتقول :

ـ أين ذهبت .. أين ذهبت ؟؟

وتدافع صوتها المتكسر الواهن ينادي الفتاة التي ابتعدت . كررت نداءها عدة مرات .. جاء بعدها جواب الأخرى مقتربا منهما . لكن العجوز لم تصمت . نادتها بصوت أكثر نعومة ورقة مرتين أخريين . ظلت تنظر اليه في حيرة . لهثت الفتاة مقتربة . بدأت تنظر اليها في شجن ، ثم ربتت كتفيها ، بينما ابتسامة عريضة تعلو الوجه المملوء بالغضون ، وتتوزع فيما بينه وبين الفتاة . صمت ظن أنها لم تسمعه عندما خاطبها ، وعليه أن يعيد عليها ثانية عند قيام الفتاة لقضاء شيء آخر .

كانت الفتاة تتبادل مع العجوز كلمات قليله لم يفهم معناها . لم تخاطبها أمامه . كانت تجيبها فقط وتلبي طلباتها . لم تسألها عن أي شيء . لم تقل لها أنه حضر للسؤال عنها .. كانت العجوز قد وجهت لها سؤالا عن الوقت ، بعدها أحضرت الفتاة ساعة اليد وقدمتها اليها لتنظر بها . عند ذلك أيقن شيئا ما . لعله الحقيقة . انه السر . ان حاسة السمع لدى العجوز ضعيفة للغاية ، لعلها متلاشية مع طول السنين . زاد اشفاقه عليها أدرك أنها لم تسمعه عندما خاطبها أثناء ابتعاد الفتاة . تدافعت عواطفه تجاه العجوز . هي لا تستقبل الكلمات وبالتالي فان استجابتها لطلبه لن تكون حاضرة . عليه الا يتكلم معها . نظر الى الفتاة التي كانت متشاغلة بالعجوز . كانت تخاطبها بعبارات عاطفية وتدللها بكلمات موسيقية كأنها الغناء . كانت العجوز لا تبدى أي مظهر يدل على استقبالها لتلك العبارات . كانت تنظر اليه بين حين وآخر وترحب به بكلمات بسيطة . حاول أن يوصل رده اليها . نظرت الفتاة اليه مبتسمة كأن ما يدور أمامها كان مرسوما . ولابد أن يحدث ، وأنه يحدث بنفس الكيفية التي رسمت له . جاءت ابتساماتها في آلية بينما يداها تلبيان طلبات العجوز دون ملل أو تردد . كانت العجوز تركز عويناتها الزجاجية في قاع فنجان القهوة القاتم ، عيناها الزرقاوان موجودتان بالقاع . لعلها تفتش عن شيء . عن حلم قديم .. ربما تفتش عن أحلامها المبعثرة وماضي الأجداد ، أو عن عظمتهم وأملاكهم التي ارتفعت بدلا منها العمارات .. كانت هناك في القاع بعيدا عنهما .

أحس أنه منجذب اليها . وأن مغناطيسا يجذبه ويشده ناحيتها ، وأنه يمثل القطب الضعيف مثل فتاته التي تبتسم في صمت . عليه أن يمكث معها . عليه أن ينتظر . لم يفكر في أمر هذا الانتظار . لكنه لابد أن ينتظر ، وأن حبيبته التي عشقها ولمس دفء عواطفها تجاه العمة العجوز تنتظر . انه لابد أن ينتظر . ولن يفكر في أي أمر آخر .

القاهرة : شمس الدين موسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

إنه يشبهك تماما

صلاح عبد السيد

كان الشيخ قد أسلم لابنه يدا .. وترك الأخرى لنفسه .. يضم بها مقطف الخوص الصغير اليه .. وكانت يد ابنه تشده وراءه فى قوة .

كان الزحام شديدا ..

الزحام .. !! الصورة الباقية فى رأسه للمدينة الكبيرة .. أيام كان يأتى لزيارة أبنه الذى هاجر .. حاملا الزوادة على كتفيه .. فيتلاطم فى الزحام حتى يصل اليه .. الزحام .. دائما الزحام والناس تجرى ..

بربش بعينيه

هل مازالوا يجرون .. ؟

لم تكن الصورة واضحة لعينيه ..

كان الرمد قد أتلف عينيه .. وجعلهما يدمعان بلا انقطاع ..

شده ابنه وراءه ..

كان الزحام كالموج .. وكان هو يتقافز وسط الزحام .. يحجل على رجل واحدة .. ما الذى ألقى به وسط هذا الزحام .. ؟

ليس غير الشيك هو الذى ألقى به .. الشيك الذى لابد من صرفه من البنك الكبير فى المدينة الكبيرة ..

شده ابنه وراءه ..

وبالمرة - قالت زوجته - تجرى العملية فى عينيك .. قال : لا داعى لاجراء العملية .. لم يعد فى العمر مثل ما مضى .. لكنها صاحت لابد أن تجرى العملية ..

شده ابنه وراءه ..

هو فى الحقيقة لم يكن مستريحا لهذه السفرية .. وليقل الحق .. مع هذا الولد .. هو لا يعرف ما الذى يفكر فيه .. بل انه فى أحيان كثيرة يحس أن هذا الولد لا يرتبط به بأى رباط ..

شده ابنه وراءه ..

منذ كان صغيرا .. ومنذ هرب من القرية .. واستوطن المدينة الكبيرة وهو لا يعرف عنه شيئا .. يغيب لسنوات .. ثم يطب كالقضاء عليه .. فيقضى ليلة أو ليلتين .. وفى الفجر لا يجده فى الفراش ..

شده ابنه وراءه ..

مرة يأتى فى آخر الليل ومعه النقود تبظ من جيوبه .. ومرة يأتى مفلسا فيأخذ منه جنيهين .. على أمل أن يرسلهما له .. لكنه لا يرسل شيئا .. وعندما يسأله ماذا تعمل ؟ يتمتم بالحمد لله .. وهو أبعد الناس عن الحمد ..

شده ابنه وراءه ..

وفى مرة جاء الى الدار يحمل حقيبة كبيرة .. وفى الفجر ترك الدار ومعه الحقيبة .. وبعد أن تركها بلحظات .. هاجمهم البوليس بحثا عنه .. ماذا فعل .. ؟ هل سرق شيئا .. ؟

شده ابنه وراءه ..

وفى مرة جاءه فى الليل ومعه امرأة .. امرأة أعوذ بالله .. خاف من شكلها .. كان شعرها مجعدا وعلى وجهها مساحيق والعياذ بالله مقرفة .. ويومها سأله .. من هذه .. ؟ فابتسم .. زوجتى ..

شده ابنه وراءه ..

ومرة أخرى جاءه بأخرى .. وثالثة .. ورابعة ..

ودائما فى الفجر يمشى ..

شده ابنه وراءه ..

لماذا جاء معه .. ؟ ولماذا وافق على السفر .. ؟

كلهم قالوا له اذهب وجرب .. فلن تخسر شيئا .. وزوجته أم الولد .. وقفت مع الولد .. وقالت لابد أن تسافر مع الولد ..

وتحسس مقطف الخوص بأصابعه .. كانت أطرافه مخيطة كما هى ..

الأمان مطلوب .. مطلوب ..

شده ابنه وراءه ..

ووجد نفسه يركب الترام ..

كان الترام يهتز .. يهتز ويهتز .. وكانت اليد التى أسلمها لابنه فى يده .. والأخرى تمسك مقطف الخوص .. وكان هو يهتز .. يهتز ويتمايل .. يتمايل ويستند بيده التى بها مقطف الخوص على رؤوس الناس ..

مد رجل من الجالسين يده ليحمل عنه مقطف الخوص .. لكنه أبى .. حاول أن يشده لكنه صرخ رافضاً — لا —

لا يمكن أن اتركه لأحد .. الأمان مطلوب ..

غمغم ابنه له .. ليتركه للرجل .. لكنه صاح — لا — فسكت الولد .. هو لا يأتمن أحدا فليحاذر ..

شده ابنه وراءه ..

نزل من الترام ..

ركب عربة ..

نزل من العربة ..

ظل ماشيا ..

كان الولد لا يتكلم .. وكان هو يتعثر فى الطريق .. وكانت الدنيا غارقة فى دخان مضبب ..

شده ابنه وراءه ..

طلع به سلم .. نزل به سلم .. مشى به والتف .. التف به ومشى .. دخل به الى سرداب مظلم ..

ووجد نفسه يسعل .. يسعل ويبصق .. يبصق ويسعل ..

« الى أين سيذهب بى ؟ »

ووقف الولد .. ودق بابا بيده :

« هل يسكن هنا .. ؟ »

وسمع صوتا أنثويا يسأل — من ؟ — ثم عندما رد ابنه انفتح الباب .. وتلكات — أهلا — قبل أن تخرج ..

— أهلا

معوجة .. ممطوطة .. مترنمة ..

وحاول أن يتلمس بعينيه الأشياء فلم يستطع ..

وجه المرأة .. لم يستطع ..

هل هى امرأة من اللاتى جاء بهن يوما الى داره .. أم هى جديدة !

جلس ..

كان يحس بالبرودة .. تحيط به من كل ناحية ..

سمع همس ابنه مع المرأة .. وحاول أن يفهم شيئا لكنه لم يستطع ..

بعدها سمع الباب يغلق .. ثم تلكات — أهلا — قبل أن تخرج ..

غمغم :

— أين ذهب ؟

تلكات قبل أن ترد :

— سيعود حالا .

بعد لحظات سمع الشبشب يزحف ناحية الباب .. وسمع المرأة تغمغم ..

— عن اذنك .. اعتبر البيت بيتك

واغلقت الباب ..

تركوه وحده .. أين ذهب ! أين ذهبت ؟

تحسس مقطف الخوص بأصابعه .. قال فى نفسه : أنت الآن وحدك وعليك أن تنتهى من هذه المهمة ..

رفع المقطف الى فمه .. واخذ يشد الخيط الذى فى طرفه بأسنانه .. بحذر مد يده الى قعر مقطف الخوص .. ووسط جلبابه الذى يسكن فى القعر .. أخذ يبحث بأصابعه حتى عثر عليه ..

قربه من عينيه .. الشيك .. ذلك الذى ارسله الولد الذى هاجر ... بعد أعوام طويلة

من انقطاع الأخبار أرسل له هذا الشيك ·· وخطاب بـه كلمتين « والدى العزيز معذرة لتأخرى ·· »

هو فقط كان يريد أن يطمئن عليه ··

«ومرسل لك يا والدى العزيز شيك بمبلغ ·

هو لم يكن يريد شيئا ·· هو فقط أراد أن يطمئن ··

«وأرجو أن تكون صحتك يا والدى العزيز ··»

الصحة ضاعت يا ولدى ·· انحنى عود أبيك الصلب ·· وضاع نظره الذى كان كنظر الصقر ·· وارتعشت يداه ·· واصطادته جميع الأمراض ··

واندفع الباب مفتوحا ·· فأسرع يدس الشيك فى جيبه ·· زعق :

ـ من ؟

تلكأ صوت المرأة قبل أن يخرج ··

ـ أنا ··

عليه الآن أن يخبرها أنه سيذهب ليصلى الظهر فى الجامع القريب ·· ثم يذهب الى البنك ليصرف هذا الشيك وحده ··

وغمغم للمرأة أنه سيخرج ··

وخرج ··

الشيك فى جيبه ·· والختم معه ·· والبنك فى الميدان قريب من هنا ··

وأخذ يتلمس الحائط ·· والسلم ·· والطريق ·· يتعثر ·· ويسير على مهل ·· ويقف حين يسمع عربة قادمة ··

ووصل الى البنك ··

عليه الآن أن يصرف المبلغ وأن يخفيه تماما عن الولد ·· لا يعطيه الا أجرة العملية والباقى يتركه للزمن ·· فمن يضمن ·· هو الآن لا يعمل فى الغيط كما كان ··

ومد يده للصراف بالشيك والبطاقة والختم ··

وصرف المبلغ ·· وخرج الى الطريق ··

قبل أن يسأل عن البيت ·· سمع رجلا خلفه يصرخ ··

ـ أنت يا شيخ ·

ـ ماذا ؟

= النقود التى صرفتها بها زيادة ··

ـ زيادة ·· !! كيف ؟

ـ الصراف هو الذى أرسلنى وراءك لأعدها

وأخذ الرجل يعدها ··

ـ مضبوطة يا شيخ

ولفها له فى ورقة ·· ومضى ··

وفى البيت ·· عندما أخرج النقود من جيبه ·· وجدها ورقا أبيض ·· وزعق ··

وجاءت المرأة ·· و ·· ضحكت ··

ضاعت الفلوس وتضحكين ·· ؟

ضحكت ··

ضاعت الفلوس ·· أنا لم أكن مستريحا للحضور الى هنا ·· قلت لا داعى ·· لا داعى للحضور ·· لكن الولد ألح ·· ما حسبته لقيته ··

واندفع الباب مفتوحا ·· وسمع صوت ابنه ··

قام ·· زحف اليه ·· أمسك به ·· هزه بقوة ··

ـ أنا أبوك ·· الذى تعبت من أجلك ·· والذى لم أؤخر لك طلبا طول العمر ·· كنت تأتينى مطاردا جائعا فى الليل ·· بلا نقود ·· وكنت آويك وأعطيك النقود ·· دائما مصائبك كانت تقع على رأسى ·· لم أتأخر عنك أبدا ·· مرة يا بنى لا تتأخر عنى ··

ـ ماذا تريد ؟

ـ أريد النقود

ـ أية نقود ؟

ـ سأصف لك الرجل الذى استوقفنى ·· انه يشبهك تماما

ـ يشبهنى ·· ؟

ـ له صوتك ·· وان حاول أن يغيره

ـ لكننى

ـ لا تتلكأ ·· أسرع اليه الآن ·· حاول الامساك به ·· اننى أبوك لا تنس ·· زحفت قدما الولد على الأرض ·· واصطفق الباب ··

بعد قليل زحفت قدما المرأة على الأرض ·· واصطفق الباب ··

تركوه وحده ··

« هل ينجح فى الامساك به ·· ؟ هل ينجح مرة واحدة فى الامساك به ·· ؟ » أسند رأسه الى يديه ·· وظل ينتظر ··

القاهرة : صلاح عبد السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدِّيكُ يبكي.. الدِّيكُ يضحكُ

علي منصور

وردةٌ فى دمى وجهكِ المرتعشْ
وردة فى مى ... تستحم
تتوضأً بالدّفء ، تشربنى ، تقطرُ الضوء
بينى وبينكِ ، تسكننى ، وتردُّ
لعينيّ شمسًا ، تردُّ لوجهى وجوه الرفاق ،
توهّجُنى ،
يدخلُ الوجعُ القرويُّ خلايا دمى فأصيحُ :
ـ البلادُ التى غادرتنى تعود : البلادُ
التى غادرتنى ... دموعًا ودمْ
يصرخُ الآن جرحى ،
وأسمع ديكًا تمدّد فوق السطوح الفقيرة ،
صاح :
ـ البلاد التى ... ... ! !
وابتسمْ .
يصرخُ الآن جرحى ،
وديكُ البلاد الفقيرة يعرفُ أنكِ حين دخلتِ
العروق

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com

توضأتِ ، رتبتِ كل الخلايا ، أرقتِ
على ضفة النهر دمعى ، وكنتِ الحشائش
والنخل ، كُنتِ
العصافير تبتلُ فى الدمع ، ديكُ
البلاد الفقيرة يعرف أنكِ حُلمى ، وأنى
انتظرتكِ عامًا ، فعامًا ،
وأنى احترقتُ لعينيكِ ،
غنيتُ للفجر ، أذّنتُ ، أذّنتُ ، أذّنتُ ،
آه ...
مدّدتُ ديكًا ،
ولم توقظى ضفة النهر ، لم توقظى وردة
العشبِ ،
لم – ياأميرة كل البلاد –
تُقيمى صلاة الجماعة ، لمْ.
. . . .
. . . .

بتُّ أبكى دما
بينما ...
وردةٌ تتفتحُ فى الدمع ، ديكٌ يقهقهُ ،
ينبش فى
الجرح والصبحُ لايتنفسُ ، ديكٌ
يقهقه والعشبُ غاف على وجع فى العروق ،
فولْولْتُ
والديكُ قهقه ، ولولْتُ
والديكُ قهقه ، ولْولْتُ ، ولولتُ والديكُ
غنىَّ ، ودِدْتُ
لو انى انهزمتُ أمامى ، وددتُ
لو انى انتصرتُ ،
انتصرتُ ،
انتصرتُ ، فياديكُ لوْ تقتُلُ الآن
ديكًا ...
يحاول بالدمع أن يقتُلك ! !

القاهرة – على منصور

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رواية مجهولة لأديب منسي

علي شلش

في تاريخ أدبنا الحديث كثير من الشخصيات التي لم تأخذ حقها من الضوء أو الدرس أو التقييم . ومن هذه الشخصيات احمد ضيف الذي عاش ٦٥ عاما ١٨٨٠ الى ١٩٤٥ ، وعمل بالتدريس في الجامعة بعد عودته من بعثته الى فرنسا زمن الحرب العالمية الأولى ، واشتهر بكتابين كانا حصيلة محاضراته ، أحدهما بعنوان « مقدمة لدراسة بلاغة العرب والآخر بعنوان « بلاغة العرب في الأندلس » وكانت كلمة « البلاغة » عنده مرادفة لكلمة « الأدب » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد دعا الدكتور ضيف في مقدمة الكتاب الأول ـ الذي ظهر عام ١٩٢١ ـ الى بضعة مبادىء لانهاض أدبنا ، ومنها « أن تكون لنا آداب مصرية تمثل حالتنا الاجتماعية وحركاتنا الفكرية والعصر الذي نعيش فيه .. أي تكون لنا شخصية في آدابنا » على حد تعبيره ، وأن نتمسك باللغة العربية بحيث تكون قاموسا لنا ونموذجا لبلاغتنا واماما نهتدي به في الصناعة الأدبية ، وعلى الجملة تكون آدابنا عربية مصبوغة بصبغة مصرية .. ونعود فنقول أن كل ما نرجوه هو « أن تكون لنا آداب مصرية عربية ، مصرية في موضوعاتها ومعلوماتها ، عربية في لغتها وبلاغتها وأساليبها » .

ومع أن هذه الدعوة لصبغ أدبنا بالشخصية الاقليمية قد نادى بها كثيرون قبل أحمد ضيف فقد لاقت ترحيبا كبيرا من شباب الأدباء في عصره ممن كانوا يحققونها عمليا في قصصهم . فبعد شهور من ظهور الكتاب ظهرت مجموعة قصص « احسان هانم » لعيسى عبيد ـ أحد رواد القصة القصيرة . وفي تقديمه لمجموعته كتب عيسى عبيد متحمسا لدعوة الدكتور ضيف قائلا : « وقد جاء الدكتور أحمد ضيف أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية في كتابه « مقدمة في بلاغة العرب » مؤيدا لنا في نظريتنا . اذ قال بوجوب ايجاد آداب عربية مصبوغة مصرية . ولا شك أن كتابه هذا سيخلق عهدا جديدا في عالم الأدب المصري الحديث ، ويخط طريقا

جديدا للأدباء ٠ واننا لنشكر الأستاذ على اظهاره هذا الكتاب ، ونرجو منه ألا يضن علينا بطبع محاضراته القيمة » ٠

ومنذ ذلك التاريخ انتشرت دعوة أحمد ضيف ، ولم يعد الأدب محاكاة نسخية للقدماء ، وصارت الواقعية ذات الشخصية القومية منهاجا للأدب والأدباء ٠ ولكن لم يعد أحد يذكر أحمد ضيف نفسه ، لا كصاحب دعوة فحسب وانما ككاتب قصة حاول أن يطبق دعوته بنفسه ـ فيما بعد ـ خلال الثلاثينات ٠ فقد كان الرجل متواضعا عزوفا عن الأضواء ٠ واذا كان طه حسين قد تعرض لكتابه السابق بالنقد الشديد في «حديث الأربعاء» فان أحدا سواه لم يتصد لأعمال أحمد ضيف بالدرس أو التحقيق ٠ بل ان الذين حاولوا أن يؤرخوا للنقد والقصة في أدبنا الحديث لم يزد تناولهم لجهود الرجل على اشارات عابرة الى كتابيه السابقين ٠ أما جهوده ومحاولاته القصصية فلم يشر اليها سوى محمد أمين حسونة في مقال نشره بمجلة « الثقافة » عام ١٩٤٨ ٠ وكان عنوان المقال «مصر في الأدبين الفرنسى والانجليزى»٠ وفيه ذكر حسونة أن لأحمد ضيف رواية ضخمة (بالفرنسية) من ثلاثة أجزاء عنوانها « منصور » و « الشيخ عبده » و « الازهر » وضعها بالاشتراك مع الكاتب الفرنسى المسيو بونجان وهى دراسة قيمة فى الأخلاق والعادات المصرية ، واستعراض حياة شاب نشأ وترعرع فى الاسكندرية ثم تعلم فى الأزهر ٠ ومن خلال حوادث الرواية نلمح صورا مصرية صادقة للبيئة الشعبية ، وكيف تطور أحد أبناء الشعب من الوسط العامى الى الوسط المتعلم الراقى ٠ وتبدو قيمة هذه الرواية فى أنها مجموعة صور حية للعادات والأخلاق المصرية فى الطبقتين الشعبية والمتوسطة ٠ وقد سجل المؤلف فى هذه الرواية بصورة خاصة تعاليم الامام الشيخ محمد عبده فى شخصية هـذا الشـــاب ، وكيف حاول الشـــيخ أن ينتقل بالروح المصرية من التقليــد الى الاجتهاد » ٠

غير أن حسونة لم يذكر شيئا عن تاريخ ظهور هذه الرواية الثلاثية ، ولا عن دار النشر التى طبعتها ، ولا عن دور الكاتب الفرنسى الذى شارك فى وضعها كما قال ٠ وأرجو أن تحفز هذه المعلومات اليســيرة أحد باحثينا فيتولاها ذات يوم بالبحث والتحقيق ٠ كذلك لم يذكر حسونة شيئا عن رواية أخرى كتبها ضـــيف بالعربية ونشرها مسلسلة بمجلة « الثقـــافة » فى أوائل أعدادها ١٩٣٩ دون أن يجمعها فى كتاب بعد ذلك ، وهى رواية ظلت مجهولة منذ ذلك التاريخ ، لم يتعرض لها أحد على الرغم من موضوعها الطريف ٠ بل ان مؤلفها نفسه لم يهتم بعدها بنشر أية محاولة أخرى باستثناء بعض المقالات المتفرقة فى مجلة « الثقافة » وغيرها ابان سنى الحرب العالمية الثانية ٠ وقد نشرت مجلة « الثقافة » هذه الرواية القصــيرة ابتداء من عددها الثانى فى ١٠ يناير ١٩٣٩ واستمر نشرها فى أربعة أعداد غير متتالية ، وكان عنوانها « أنا الغريق » ٠

وقبل أن نناقش الرواية يحسن أن نعرض لها أولا :

الزمان : ديسمبر ١٩١٧ والشهور التالية ٠

المكان : باريس وبوردو ومرسيليا والبحر المتوسط ٠

وتبدأ الرواية فى باريس بضمير المتكلم كالتالى :

« المدينة فى ســـكون ورعب ، والناس واجمون يروحون ويجيئون فى خفة وسرعة يلفهم الليل فى سواده ، لأن مدينة باريس الزاهية ـ مدينة النور المشرقة ـ

أمست حالكة مظلمة . وقد انقلب ما فيها من سرور ومرح لا يفارقان سكانها الى بؤس واستسلام الى القضاء .

« ... كان ذلك وأنا سائر فى طريق من أجمل طرق باريس وفى حى من أنضر أحيائها كنت أسكن قريبا منه ، فقال لى صاحبى الذى كان يرافقنى :

ـ لو أن قنبلة نزلت علينا الآن ماذا يكون من أمرنا ؟

فقلت :

ـ نذهب هباء ! كما ذهب من هو خير منا ولم ينهدم العالم ، ولن يفنى بسبب ذلك ، ولعل الله يحقق قولك .

فقال صاحبى :

ـ أعوذ بالله من هذه النفس المتشائمة .

ثم يذهب الاثنان الى منزل الراوى فيجلسان ويتحدثان « والحديث ذو شجون » . وأخيرا دعانى الى أن أذهب لزيارة صديق له كان يسكن بالقرب منى فأجبت دعوته » وهكذا مرة أخرى يذهب الاثنان لزيارة الصديق . ففتح الباب ، واذا زوجة صديقنا فى مبذلها ووجهها الجميل الفتان ، الذى بدأ فى ضآلة ضوء مصباح البيت كأنه كوكب درى يتلألأ .

انها زوجة «سيمون» صديق «جميل» صديق الراوى .. اسمها «مارسيل» أما سيمون فشاب مثل صاحبيه ، يشكو لهما من أهوال الحرب (« لقد مللنا هذه الحياة ») . وأما مارسيل فتحب الملق وتطرب له . وقد جلس الأربعة فى ضوء موقد يثرثرون فى غرفة الاستقبال . « واذا بالحجرة ومن فيها كأنها لوحة مصور ، وأخذت مارسيل تحرك النار فى الموقد فزاد لهيب النار الساطع على وجهها من جمالها . وصارت تندلع منه ألسنة ملتهبة من الأزرق والأحمر والبنفسجى . وتجتمع كل هذه الألوان ويختلط بعضها ببعض فتكون كتلة من لهب جميل وتنسج خيوطا من نار كأنها خيوط سندسية أو لازوردية ، تحركها الريح فتضطرب اضطرابا وتمثل فى خفقانها خفقان القلوب أو تمثل راية متعددة الألوان يعبث بها النسيم ، ومارسيل فى جوارها قد احمرت وجنتاها فكنا بين نارين ! » .

ثم تغنى مارسيل للحاضرين بمصاحبة البيانو ، ويورد الكاتب نص الأغنية ، وحين تنتهى من الغناء والعزف وينتهى التصفيق لها يقول زوجها :

ـ ويل لنا نحن الرجال ، الحب والنساء ، هذا كل ما لدينا فى الحياة ، وكل ما يملأ السمع والبصر فينا !

وترد مارسيل :

ـ ياللنساء من الرجال !

فيقوم سيمون الى كتاب لأناتول فرانس فيقرأ منه فى تبرير رأيه ثم يتركه الى كتاب آخر لألفرد دى موسيه ، والكاتب أو الراوى الذى لا نعرف له اسما يسجل المقتطفات من الكتابين حتى يصل فى حديث موسيه الى هذه العبارة التى ـ لعله ـ ترجمها متأثرا بقصيدة « أراك عصى الدمع » لأبى فراس الحمدانى . وتقول العبارة : « انى أحب وأعرف أن أكتم حبى ، أحب ومثلى لا يذاع له سر ، فما أعز سرى .. »

وهكذا يمضى الحديث عن الحب تارة وعن الحرب تارة أخرى ، وسيمون يصرح بانه يحاول الهروب من سعير الحرب بأيام قليلة يقضيها فى باريس ثم يعود بعدها

الى جبهة القتال التى اعتاد أهوالها حتى فقد - كما يقول - احساس الشفقة والرحمة ·

وعندما تنتهى الزيارة ويعود الراوى مع صديقه يفاجآن بغارة جوية فى سماء باريس فيضطران الى النزول مع سواهم الى الكهوف (الطبقات السفلى فى المنازل)· ويصف الراوى اختلاط الحابل بالنابل فى الكهف الذى نزل اليه ، ويتمثله جزءا من سفينة نوح أو يوم الحشر · وسرعان ما يضيق بالمكان فيصعد الى الشارع ويتجه الى ميدان النجمة (الايتوال) ويحتمى بقوس النصر ، ولكنه يفاجأ بقنابل تسقط فتهدم وتقتل ، ويعود الى بيته · وفى الصباح التالى يسمع بائع الصحف وهو ينادى : ستون طائرة حلقت فى سماء باريس ، مائة قنبلة ، عشرون اصابة هدم جزء من الكريدى ليونيه (البنك الفرنسى المعروف) قتل سبعين فى محطة المترو بميدان النجم (حيث كان هو بالأمس) أسر طيار ألمانى فى غابة فان سين ! »

بهذه الحادثة يبدأ الحدث الأساسى فى الرواية · فقد قرر الراوى أن يغادر باريس الى بوردو فى الجنوب ليكون بمأمن من شر القنابل · واستقل قطارا الى هناك برغم الصقيع دون أن يخبر أحدا من أصدقائه أو معارفه · وجلس فى احدى عربات الدرجة الثالثة · « وكانت نوافذ العربة كأنما غشيها من أثر الصقيع نسيج شفاف صورت عليه نقوش مختلفة ، منتظمة وغير منتظمة ، وأحيانا كثيفة تحجب ما وراءها ، والصقيع يسيل عليها فيتقطع ، فيمثل وجه انسان أو حيوان أو صورة نبات · » وجلس الى جواره جندى يدخن غليونا · « وكان هذا الجندى فى نحو الأربعين من عمره ، ذا لحية مصفرة تنذر بالمشيب ، طويل الشارب ، طويل الأنف ، أحمر الوجنتين ، يتخللهما خيوط لازوردية من أثر شرب النبيذ ، وأزرق العينين ، كبير الرأس ، كثيف شعره ، صبيح الوجه كأنه يبتسم دائما » ودار بينهما حوار ظن منه الجندى أنه جندى أيضا ، وظنت منه سيدة مجاورة أنه جندى كذلك لأن زوجها مجند · وسألاه ان كان أسبانيا فلم يجب · وراح الاثنان فى حوار عنيف حول أسباب الحرب وضرورة صد الأعداء ، تنهيه الزوجة بقولها :

- بل نموت ليعيش رجال السياسية وأرباب الأموال · ان رجلا يجلس فى مكتبه تلعب به الأهواء يدفع الناس الى القتال فتموت أمم وترمل نساء وتيتم أطفال وتهدم أسر ·

ويصل القطار الى بوردو فى المساء · وينزل الراوى فى «منزل» بالمدينة الصغيرة· وفى الصباح يتجول فى المدينة ويقارن بينها وبين باريس التى لا تضارعها أية مدينة فرنسية أخرى · ويصور الحياة واللهجة والمبانى والطرق واختفاء جو الحرب · ثم يقف فى طابور التسجيل أمام مركز الشرطة للحصول على الطعام فيسمع حوارا بين امرأة وشيخ ينتهى بالسباب المتبادل بسبب التصاق الشيخ بالمرأة !

وفى المنزل تنشأ علاقة استلطاف بين الراوى ونبيلة روسية ·· كانت كهلة « كلما مررت بها رأيتها منهمكة فى تطريز قطعة من نسيج » · وتروى له ذات يوم أنها روسية من أسرة معروفة هاجرت الى فرنسا خفية بعد قيام الثورة الشيوعية « لأن هؤلاء الصعاليك الغوغاء الذين قتلوا القيصر ومثلوا بأسرته طغوا هناك باسم الاصلاح الاجتماعى وابادة الظلم · » ويدخل الراوى فى حوار آخر مع النبيلة الروسية الهاربة حول النظام فى روسيا ثم يدخل فى حوار آخر مع خادم النزل حول العمال · وشيئا فشيئا يتعرف الى أسرة فرنسية فى المدينة مكونة من أم وبنتيها ·

وينقل حوارا دار بينه وبين الأم حول الأبناء والحياة والزواج ثم ينهيه بقوله : « وطرق الباب طارق فدخلت سيدة زائرة فاستأذنت وخرجت من عندها » ٠

ينتقل الراوى بعد ذلك الى مرسيليا بالقطار فيلتقى بعالم من علمائنا المعروفين سبق أن التقاه فى باريس ، ولكنه يعجب به فى مرسيليا حيث يقرر العودة الى مصر ويمكث فى المدينة انتظارا لرحيل السفينة ٠ وينقل مشاهداته فى مرسيليا ، ويدخل فى حوار مرة أخرى مع « الشيخ المصرى الجليل » حول مصر ٠ وحين يحل يوم الرحيل الى السفينة تنطلق فى البحر ولكنها لا تمضى طويلا حتى تعود الى الميناء بسبب غواصات الألمان ٠ وبعد ثلاثة أيام تستأنف رحلتها ، ولكن الراوى يصاب بدوار البحر والناس فى شغل عنه ، حتى يثقل عليه الدوار فذهب فى اليوم السابع الى طبيب السفينة ولا ندرى لماذا لم يذهب فى اليوم الأول أو الثانى ٠ وعلى ظهر السفينة يلتقى بسيدة فرنسية رقت لحاله فيدخل معها فى حوار ويصرح لها بأنه جاء الى فرنسا ليتعلم ٠ وكأنه يصرح لنا أيضا بذلك فهو لم يذكر أية معلومات عن نفسه من قبل ٠

وفى عرض البحر تغرق سفينة مرافقة للسفينة التى أقلته الى الوطن بعد أن أصابتها غواصة ألمانية ٠ وسرعان ما تصاب السفينة نفسها بضربة تطيح بها ٠ وتشتعل فيها النيران ٠ ويموت ربانها بسبب سارية تسقط على رأسه ٠ ويستقل جميع الركاب زوارق النجاة ٠ وحين غاصت السفينة فى الماء يتمكن الراوى من النزول الى أحد الزوارق ولكن الحظ يخونه فيسقط فى الماء حتى يبتلعه ٠ وعندئذ يقود القدر قطعة خشب يتعلق بها هو والطبيب وعامل التلغراف فى السفينة ٠ ويظل الثلاثة على هذه الحال حتى الصباح فتنتشلهم بارجة حربية وتذهب بهم الى الاسكندرية وهو لا يصدق أنه نجا من الموت ٠

ويمر شهران على هذه الحادثة ٠ وذات يوم يصل أسرته خطاب من شركة الملاحة الفرنسية تقول فيه انها تأسف لما حدث لركاب السفينة الغارقة فى يوم ١٤ يوليو ١٩١٨ وان المسيو ٠٠٠ الذى كان بين ركابها قد غرق ٠

وهكذا تنتهى قصة « أنا الغريق » باستلام الغريق خطاب غرقه ! وهكذا أيضا نتبين أن القصة ليس فيها من عناصر القصة أو الرواية سوى السرد والحوار ، وهما وحدهما عنصران عاطلان فى الفن القصصى والروائى اذا لم يستندا أو يلتحما بعناصر أخرى أهم مثل الحدث والصراع والشخصيات والتطور الدرامى ٠ ولعله قد تبين لنا من العرض السابق أن الحدث الأساسى هنا هو التفكير فى العودة الى مصر ولكنه لم يتكشف منذ البداية ولم يرسم له الكاتب مبرراته الداخلية فى نفس البطل ٠ وحين تطور الحدث الى كارثة فى النهاية لم يكن ذلك سوى ضربة من ضربات القدر أو المصادفة ، وهى ضربة لم يهيئنا الكاتب لاستقبالها ٠ أما الصراع فى القصة فلم يظهر على الاطلاق لا بين أشخاصها المتناثرين ولا بداخل راويها البطل ٠ وأما الشخصيات فانها على كثرتها لم ترسم رسما فنيا ، وبقيت مجرد سطوح خارجية باهتة وعابرة ٠ بل ان شخصية الراوى نفسه لم ترسم رسما موجبا للصراع أو التطور أو النمو فظلت على طول القصة باهتة أيضا ومنعزلة وأشبه براوى رحلة أو خبر ٠ وأما التطور الدرامى فلم يكن له وجود ٠ فالراوى هو الذى يحدد مسار الوقائع وهو الذى يختار منها حسب ما يريد لا حسب مايقتضيه الفن ٠ والوقائع نفسها صغيرة ، تأتى على سبيل المصادفة ولا يربطها بعضها بعضا رباط وثيق ٠ فالراوى ــ مرة أخرى ــ يسير فى الشارع فيلتقى بفلان مصادفة وتقوده هذه المصادفة الى مصادفة أخرى وهكذا !

لقد قدمت مجلة « الثقافة » هذا العمل لقرائها بأنه قصة ٠ ولا شك أن الكاتب قد أراد بعمله أن يكون قصة ٠ وهى قصة طويلة أو رواية قصيرة كما قدمناها هنا ٠ ففيها امكانات القصة الطويلة أو الرواية القصيرة من حيث الزمن العريض والمكان المتعدد والشخصيات الكثيرة ٠ ولكن الكاتب لم يوفق فى أن يصنع من ذلك كله بناء مركبا كما هى الحال فى البناء القصصى والروائى ، واكتفى ببناء سطحى مال فيه الى التقرير والوصف الخارجى ، ولم تسعفه لغته السليمة ولا قدرته على ادارة الحوار فى لحم أجزاء البناء أو نسجها على نحو فنى مقبول ٠ وهو وان كان قد لمس موضوعا خطيرا وجديدا فى زمنه مثل « الصراع بين الثقافات » الا أنه

ومثلما أغرق توفيق الحكيم روايتـــه بالاقتباسات من أدب الاغريق والفرس والمناقشات بين أبطاله ــ مما أفسد بناءها الفنى ــ غرقت رواية أحمد ضيف أيضـا فى الاقتباسات والمناقشات ٠ وربما كانت المناقشات التى أدارها الحكيم فى روايته هى ماسيبقى منها فى النهاية، وكذلك المناقشات فى رواية ضيف ٠ ولا شك أن على راس المناقشات فى رواية الحكيم ما دار بين بطلهـا « محسن » والعـامل الروسى اكتفى باللمس دون المعايشة ٠ ولذلك تظل روايه مثل « عصفور من الشرق » التى ظهرت لتوفيق الحكيم قبل هذه بشهور قلائل أعمق وأنضج ، على الرغم مما شابها هى الاخرى من ضعف فنى ٠

الهارب » ايفان » ٠ وكذلك ما نجده فى رواية ضـيف من مناقشـة بين بطلهـا وراويها وبين النبيلة الروسية ٠ ولا ندرى سر التشابه فى المناقشتين اللهم الا أن يكون الموضوع قد فرض نفسه ٠ ففى زمن أحداث الروايتين كانت فرنسا منجا للهاربين من الثورة الاشتراكيه فى روسيا عمالا ونبلاء فى ان واحد ٠ وقد اختار الحكيم عاملا واختار ضيف احدى النبيلات ، على حين كان الموضوع واحدا وهو الاشتراكية وكانت النتيجة واحدة وهى أن ما حدث فى روسيا وقتها وحشى ومحزن ، وان كان ضيف هنا أقل من الحكيم خوفا من الاشتراكيه ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ها هو راوى « أنا الغريق » يجادل النبيلة الروسية فى مناقشته الطويلة معها :

« فقلت : ياسيدتى انهم يريدون النصـفة بين الناس ، أو كمـا يقولون يريدون أن يوزعوا الثروة على الفقراء كل على قدر حاجته ٠

« قالت : وهل تظن أن هذا النوع من المساواة يبقى دهرا طويلا ؟

قلت : قد يكون ذلك ٠

قالت : فاذا أخذت أنا جزءا من ضيعة ، وأخذت أنت جزءا مثله ، وكنت أنت نشيطا مجدا عاقلا وأنا خاملة جاهلة غبية بطبعى ، فماذا يكون من أمرى ؟ ألا تصبح بعد قليل ثريا غنيا ، وأبقى أنا فقيرة معدمة ؟ أظن أنك ترى مثلى أن الله لم يخلق الناس سواء :

« فوجدتنى غير قادر على التمادى فى هذا الجدل ، فقطعت الحديث معها ٠ ثم عادت الى منظارها ووضعته فوق أرنبة أنفها ورجعت الى تطريزها ونظرت الى من تحت هذا المنظار ، وهزت رأسها وقالت :

ــ آه ياسيدى ! آه ياسـيدى ! ليس أصـدق من قول المسـيح : « خلقنا لنتألم » ٠

وها هو راوى « أنا الغريق » يجادل مرة أخرى عالما مصريا « من شيوخنا الأجلاء » ، على حد قوله ، يجادله فى مرسيليا حول وطنه الذى غاب عنه غير آسف نحو ٢٥ عاما :

حدثنى مرة فقال :

ـ لقد مضى على منذ تركت مصر الى اليوم ، وتخليت عن منصبى فى الحكومة هناك · خمسة وعشرون عاما قضيتها فى باريس وغيرها من مدن أوربا وعواصمها ·

وقال :

ـ ولا أرغب فى العودة الى تلك البلاد التعسة ·

قلت :

ـ ولماذا ؟ أليست بلادنا فى حاجة اليك والى أمثالك ؟

فمسح بيده على كتفى ونظر الى وقال :

ـ كأنك تتملقنى ؟

قلت :

ـ بل أقول حقا ، فان الرجال عندنا قليل !

فأجابنى فى شىء من عدم المبالاة ، وابتسم ابتسامة سخرية واستهزاء :

ـ ان هذا بلد عجيب · فاننا نحن المصريين لا نعتمد الا على غيرنا ، ولا نحترم الا الدخيل فى بلادنا ، ولا نثق بشىء من مواهبنا ، ومن أسـف أن حقد الزملاء بعضهم على بعض أظهر ما يكون بيننا !

ويستمر الراوى فى مناقشة العالم الشـيخ راجيا أن يتعلم المصريون الذين يأتون الى تلك البلاد كيف يحبون وطنهم بدلا من أن يشجبوه فى أحاديثهم ، ولكن الشيخ يرى أن من مميزاتنا « بروز الشخصية فى كل شىء » ، فكل عمل جماعى لا ينفع ، والتعاون لم ينجح · « ففى مصر الجماعة فاشلة والفردية ناجحة وقوة الاجمـاع ضـعف ، ووحدة الفردية قوة ، لأننا نخـدم الفردية فتقوى بنـا ونضعف بها » · ثم يقول العالم الشيخ فى نهاية مناقشته الطويلة انه يائس أو يكاد من حال هذا الشعب ، « واننا نحن المتعلمين أول من يسأل عن هذه العيوب الظاهرة فينا ، لأن الشعوب التى مثلنا يجب أن ترشد وأن تقاد قسرا ، وهذا يحتاج الى قادة يضحون بأغراضهم وأهوائهم فى سبيل رقى شعوبهم ، ومن أسف أننا لسنا من هؤلاء لأننا نشأنا على الأثرة » ·

ولو كانت هذه المناقشات الطويلة قد التحمت بنسيج الرواية ، ولو كان صاحبها قد سويا فى شخصيات متحركة فاعلة لا متكلمة لكان للرواية شأن آخر ولو كان الروائى نفسه انتفع بالخصوبة المحتملة لمثل هذه الشخصيات لتفوق على توفيق الحكيم فى روايته السـابقة · فشخصـية مثل النبيلة الروسـية الهاربة المتخفية ، وشخصية كالعالم المصرى الجليل الهارب من وطنه كانتا كفيلتين بخلق رواية ممتازة لو عنى المؤلف برسمهما وتحريكهما واكتناه أغوارهما · ولكن ليس كل ما يريد الناقد يدركه اذا صح التعبير · فقد جاءت الرواية فى النهاية ، وبرغم بعض مشاهدها الجميلة (ولا سيما مشهد الغرق) أقرب الى السيرة الذاتية أو المذكرات المسطحة ذات البعد الواحد ، وما فن الرواية الا نقيض التسـطيح فى التعبير والبعد الواحد فى التصوير ·

لعل أحدا من الباحثين ـ بعد هذا كله ـ يسـتطيع أن يكشـف لنـا فى المستقبل عن رواية أحمد ضيف الأخرى التى كتبها بالفرنسية فربمـا كان فيهـا غناء ، وربما كانت أعمق وأنضج من روايته هذه المجهولة التى غرقت فى بحـر الاهمال منذ رأت النور أول مرة مثلما غرق صاحبها مرتين : مرة فى البحر ومرة فى النسيان ·

القاهرة : على شلش

حادث فى مالاى كامب

تأليف: بيتر هنرى ابراهمز

ترجمة: عبد الحكيم فهيم

روائى ملون من جنوب أفريقيا ولد عام ١٩١٩ فى « فريد يدورب » أحد أحياء جوهانسبرج الفقيرة • وأتاح له حصوله على منحة دراسية فرصة طيبة للتعلم ، لم يتح مثلها لمعظم الأفارقة الفقراء • لكن تعذر عليه مثل أقرانه الحصول على وظيفة مرضية •

فى عام ١٩٤٠ نشر ديوانا من الشعر باسم رجل أسود يتحدث عن الحرية • وعقب ذلك هرب الى انجلترا على ظهر سفينة بريطانية • ومنذ ذلك الحين واصل الكتابة الى جانب الاشتغال بالصحافة والعمل بالاذاعة •

فى عام ١٩٥٥ زار جاميكا فى اطار عمله فى اعداد كتاب وثائقى ، ظهر بعد عامين باسم « جاميكا » •

وشدته هذه الجزيرة بجمالها ، وانخفاض حدة التوترات العنصرية فيها ، فغادر انجلترا ، واستقر به المقام هناك •

وتدور كتابات آبراهامز، أساسا ، حول مشكلات افريقيا • ومن رواياته «الانتصار الوحشى» عام ١٩٥١ و « باقة زهور لأدومو » ١٩٥٦ •• و «ليلة خاصة بهم» ١٩٦٥ • (المترجم) •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلاشى الدفء من الهواء ، وببطء زحف الشتاء على « مالاى كامب » ، على فريد يدورب ، على جوهانسبرج • أصبح الجو باردا فى النهار ، على حين تشتد البرودة فى الليل ، ويلجأ الناس الى التدثر بملابس وأغطية ثقيلة ، ويستكنون بالقرب من مدافئهم ، وخلال النوم يلتصق الناس ببعضهم البعض ليصبحوا أكثر احساسا بالدفء وبالأخص فى مالاى كامب ، وفريديدورب •

ولقد مضت على اكسيوما فى المدينة حتى الآن أشهرا ثلاثة ، وعلى الرغم من أن الوقت كان ليلة السبت ، وبرغم برودة الجو فان الشوارع كانت مزدحمة •

انطلق اكسيوما فى الشارع ، متجها الى قلب مدينة جوهانسبرج • وفى أثناء سيره مر بجوار شخصين تحت ضوء مصباح كهربى • كان الرجل يحيط المرأة بذراعيه ، وكانت المرأة تضحك فى

وجهه . نظر اكسيوما بعيدا ، وأسرع فى سيره . فى كل مكان كان يرى الناس يسيرون أزواجا أزواجا ، وكان كل زوجين يسيران متلاصقين لمقاومة البرد ، وكان الكل يبدو سعيدا للغاية . فقط كان هو وحده الذى يسير بمفرده .

كان حذاءه رقيقا ، تتسلل منه البرودة . وبدأت أصابعه تؤلمه . لكن كان هناك آخرون يمرون به حفاة الأقدام . وكثيرون منهم لم يكونوا يرتدون معاطف ، وكان فى وسع المرء أن يلمح البرودة فى عيونهم . ومن ثم فلم يكن حال اكسيوما على درجة كبيرة من السوء . وحتى أولئك الذين كانت تعكس عيونهم شدة احساسهم بالبرودة ، لم يكونوا يسيرون فرادى . كان معظمهم يسيرون بصحبة نساء ، على حين كان آخرون يسيرون بصحبة أصدقاء . فقط كان هو الذى يسير وحيدا .

واقترب من وسط جوهانسبرج ، حيث بدأ عدد الناس فى التناقص . لقد أصبح هناك عدد أكبر من البيض ، وكانت حالهم مختلفة . لم يكونوا يمشون مثل أبناء شعبه ، أو يماثلونهم ، وكان الأمر يبدو وكأن هؤلاء البيض ليس لهم وجود حقيقى . كان يتنحى جانبا ليدعهم يمرون ، وكان يسمع أصواتهم ، بيد أنهم كانوا غرباء . لم ينظر اليهم أو يراقبهم بدقة ، ليسمع ما يقولون ، وليرى كيف تبدو عيونهم ، وما اذا كان هناك حب فى عينى المرأة المتعلقة بذراع الرجل منهم .

هؤلاء البيض لم يكونوا ناسه ومن ثم لم يكترث للأمر . ومر أمام واجهة المطعم . فى الداخل ، كان البيض يجلسون يتناولون الطعام ، يتحادثون ، ويدخنون ، ويتضاحكون . كان المكان يبدو دافئا ومريحا ، يغرى بالدخول ، لكن اكسيوما أسرع الى الاشاحة بنظره بعيدا .

وفى واجهة أخرى ، كانت هناك أنواع من الكعك ، فتوقف ، وراح ينظر اليها . وأحس بضربة خفيفة على كتفه ، فالتفت ليرى أحد رجال الشرطة ، وبغير أن ينبس بكلمة أخرج تصريحه من جيبه ، وقدمه للشرطى الذى نظر اليه ، ثم نظر الى اكسيوما من رأسه الى قدمه ، وأعاد اليه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التصريح . وكان في استطاعة اكسيوما أن يدرك أنه شرطي لطيف .

ـ ما هي وجهتك .. يا اكسيوما ؟

ساله الشرطي .

ـ انني فقط أتمشى ..

ـ .. آه .. ها .. لماذا لا تذهب الى بيتك ، وتجلس أمام مدفأة مع نبيذك .. ؟

وابتسم اكسيوما :

ـ أتريدني أن أذهب الى الزنزانة ؟

وضحك الشرطي :

ـ حسنا . لكن كن مهذبا في سلوكك .

وراقب اكسيوما الشرطي وهو ينصرف . وقال في نفسه : « ليس شرطيا سيئا في تصرفه . ربما يكون حديث عهد بالعمل .

وواصل سيره في الشارع ، وانحرف الى شارع اليف، الذي يمثل قلب المدينة .وهناك كان الزحام كثيفا . وأصبح من العسير التحرك بين كتلة البيض . وكان يتعين على المرء أن يفسح الطريق ، وأن يأخذ حذره من السيارات التي تمرق بجواره . وابتسم اكسيوما ابتسامة تقطر مرارة . المكان الوحيد الذي يشعر فيه بانه حر تماما ، هو في أعماق المناجم ؛ تحت الأرض . هناك كان سيدا يعرف طريقه . لم يكن يخشى حتى مخدومه الأبيض ، لأن هذا المخدوم كان يعتمد عليه . كان هو الرئيس . يصدر الأوامر لعمال آخرين من عمال المناجم ، وكان من الممكن أن يعملوا من أجله ما لا يمكن أن يعملوه لمخدومه الأبيض ، أو لأي رجل أبيض آخر . كان يعرف ذلك . لقد اكتشفه . وتحت الأرض كان مخدومه الأبيض يحترمه ، ويساله رأيه ، قبل القيام بأي شيء . هكذا كان الأمر . وكان يحس بانه في بيته ، وعلى راحته هناك تحت الأرض .

بل لقد حاول مخدومه الأبيض أن يصادقه ، لأن عمال المناجم الآخرين كانوا يكنون له قدرا كبيرا من الاحترام . لكن الصداقة لا يمكن أن تجمع بين رجل أبيض وآخر أسود . انهم يعملون معا . وهذا كل ما في الأمر .. وابتسم .

انه لا يطمع فيما يملك الأبيض . لا يريد أن يصادقه ، أن يعمل في خدمته . نعم .. لكن هذا هو كل ما هنالك .

وعبر اكسيوما الشارع . ويمم طريقه عائدا الى مالاي كامب . ورويدا رويدا ، راح يبتعد عن قلب المدينة . وبدأ البيض يتناقصون . وشيئا فشيئا لم يعد يرى سوى أبناء وطنه . وشيئا فشيئا أخذ يزايله الاحساس بالحذر والحرص على افساح الطريق . انه الآن يحتك بالناس دون أن يتنحى عن طريقه . انه يصطدم بهم ، ويحس بدفئهم ، ونعومتهم .. ان الأمر على ما يرام هنا. فهذه هي مالاي كامب ، والأشخاص البيض القلائل الموجودون هنا ، هم من السوريين الذين يبيعون الخمر للسود . ولا يعاملهم المرء معاملته للبيض . انهم على ما يرام .

وانحدر اكسيوما الى شارع جيب . وفي أقصى الشارع ، كان يتجمع حشد من الناس نظراتهم تتجه الى أعلى . وأسرع اكسيوما في سيره ، وعندما وصل الى حيث يقف هذا الحشد من الناس ، توقف ونظر الى أعلى . لم يكن ثمة شيء يمكن رؤيته .

وسأل رجلا بجواره :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لا أدري

أجاب الرجل .

وانسل اكسيوما مبتعدا ، وهو لا يزال ينظر الى أسطح المنازل ، واصطدم بامرأة . سالها :

ـ ماذا هناك ؟

قالت :

ـ هناك رجل فوق السطح . تطارده الشرطة .

ـ أين .. ؟

أشارت المرأة . نظر بعناية . نعم . هاك هو الرجل . كان يزحف على امتداد سطح منحدر ، وعلى مقربة منه يزحف شرطي .

وأمسك اكسيوما أنفاسه . ان السطح شديد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الانحدار ، وحركة واحدة خاطئة ، سوف تجعل الرجل يهوى الى الأرض ، اما جثة هامدة ، أو جسدا محطما • ونفس المصير ينتظر الشرطى كذلك •

وانطلقت صرخة فزع من الحشد المتجمع • لقد فقد الرجل تشبثه بالسطح ، وراح يتدحرج ببطء فوق السطح المنحدر ، ها هو ذا ينحدر شيئا فشيئا ، حتى بلغ حافة السطح • واذا لم يستطع وقف انحداره فلسوف يهوى الى الأرض• وسقطت احدى ساقيه على جانب السطح • وتلتها الأخرى • لقد أصبح على وشك السقوط •

وحبس اكسيوما أنفاسه ، وأخذ قلبه يدق بعنف ، وتشبث الرجل بحافة السطح بكلتى يديه • وبقى معلقا هناك • وسرت بين جموع الناس رجفة فزع • واقترب الشرطى من الرجل• ودبت حركة بين الناس ، وأخذ رجل رشيق ، حسن الملبس ، يشق طريقه الى المقدمة • كان يرتدى ملابس البيض ، ويسلك مسلكهم •

وعلى غير رغبة منهم ، حول الناس انظارهم عن الرجل الذى يتارجح على جانب السطح ، وأخذوا ينظرون الى الرجل الرشيق •

ـ من يكون ؟

تساءلوا فيما بينهم •

وتساءل آخرون :

ـ ومن يحسب نفسه ؟ •

وهمس أحدهم لجاره :

ـ انه الدكتور • دكتور جينى •

وسرى الهمس بين الحشد • وتطلع اكسيوما الى الدكتور ، وحملق الدكتور فى الرجل المعلق، وتساءل :

ـ من يكون •• ؟

ولم يرد عليه أحد •

ومرة ثانية تساءل الدكتور بصوته الحاد الرفيع •

ـ ماذا فعل ؟ هل رأى احدكم ما ارتكبه ؟

وقال رجل فى ثياب مهلهلة ، بنبرة متجهمة• :

ـ كان يلعب القمار •

وصرخت امرأة • لقد انضم شرطى ثان الى الشرطى الأول • وراح كلاهما يزحف مقتربا أكثر فأكثر من الرجل • كانا يزحفان بحرص وبطء• ولكن لم يكن هذا هو السبب وراء صراخ المرأة • لقد رأت احدى يدى الرجل تنزلق وتفقد تشبثها بحافة السطح • انه الآن يتشبث بيد واحدة فقط ••

وتملك الناس التوتر•• أصبح الموت مؤكدا • وتحرك الحشد بشكل آلى الى الأمام ككتلة واحدة• وكان الدكتور فى المقدمة • وأخذ اكسيوما يشق طريقه الى الأمام ••

ثم تخلى الرجل المعلق هناك بين السماء والأرض ، عن تشبثه بالسطح ، كما لو كان قد أصابه الاعياء • ومرت برهة • ثم دوى صوت ارتطام بالأرض • وبقى ساكنا لدقيقة فى المكان الذى سقط فيه •• وتسمر الناس فى أماكنهم •

ثم تحرك الرجل • وعادت الحركة تدب فى الجمع المحتشد • وهرع الدكتور الى المكان الذى يرقد فيه الرجل ، وركع الى جواره ، على حين تدافع الناس حولهما •

وقال الدكتور :

ـ أفسحوا المكان • امنحوه هواء •

ودفع اكسيوما الناس الى الخلف • وهو يردد :

ـ امنحوه الهواء ••

وتحسس الدكتور جسد الرجل المطارد فى كل أجزائه وقال :

ـ انه على ما يرام •• لقد كسرت ذراعه فقط •

ونظر الدكتور الى اكسيوما •

وهمس الرجل :

ـ ساعدونى فى الابتعاد عن هذا المكان •

وتباعد الناس فجأة • وتراجعوا الى الخلف •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

على حين أخذ رجال من الشرطة يشقون طريقهم بين المحتشدين • وصاح أولهم بالمحتشدين طالبا منهم التراجع الى الخلف •

وتراجع اكسيوما مع الناس • على حين بقى الدكتور بمفرده ، بجوار الرجل المطارد •

– أنت •• ألم تسمعنى ؟

قالها الشرطى للدكتور • ونهض الدكتور واقفا وتطلع الى الشرطى •

– أنا دكتور جينى ••

وضحك الشرطى • واندفع شرطى ثان كان يقف خلفه الى الامام ، وصفع الدكتور على وجهه• وضم اكسيوما قبضته وتنفس بعمق •

وقال الدكتور :

– سوف تحاسب على هذا •

ومرة أخرى رفع الشرطى يده ، الا أن شرطيا ثالثا أسرع يقول له :

من الأفضل ألا تفعل • انه دكتور ••

وتطلع الشرطيان الآخران الى الشرطى الأكبر سنا •• كانت نظراتهما تشى بالارتياب • الا أنه أكد لهما أن ما يقوله هو الواقع •

وقال الدكتور وهو ينظر الى الشرطى الأكبر سنا :

أريد أن أصحب هذا الرجل معى • ان ذراعه مصابة بكسر كبير ، ويحتاج الى رعاية •

قال الشرطى الأول :

– لا يهمنا من تكون • سوف يذهب الى حيث يليق به • الى السجن •

وأخرج الدكتور بطاقة قدمها الى الشرطى الأكبر سنا ، وهو يقول :

– اننى أعمل فى المستشفى العام • وهناك عنوان مسكنى اذا ما أردتنى •

وتبادل رجال الشرطة النظرات فى حيرة • كانت ثمة نظرة عنيدة فى عينى الشرطى الأول ، ونظرة خوف تعكسها عينا الثانى • أما الشرطى الأكبر سنا ، فكان يبدو مرهقا منهكا • لقد أخذ البطاقة من يد الدكتور ، وأومأ برأسه ، على حين فغر الشرطى الثانى فاه ، ولزم الأول الصمت •

وتساءل الدكتور :

– هل هناك من يساعدنى على حمله الى عربتى ؟ واستدار الشرطى الأول ، ونظر الى الجمهور • كان ثمة تهديد فى نظراته • وأمسك بهراوته مهددا • ولزم الجمهور مكانه ، وحاول الدكتور أن يرفع الرجل • الا أنه لم يتمكن •

وأخذ اكسيوما نفسا عميقا • وضم قبضته ، وتقدم الى الأمام • وشدد الشرطى من قبضته على هراوته ، وراح يلوح بها الى الأمام والخلف • وحدق بصرامة فى اكسيوما الذى حدق فيه بدوره ، وواصل تقدمه • واندفع متجاوزا الشرطى • ورفع الدكتور عينيه وابتسم :

– احمله •• لكن خذ بالك من تلك الذراع •

وقال الشرطى الأول وهو يلكز اكسيوما بعصاه :

– دقيقة واحدة •

ونهض اكسيوما ، وجسمه يرتجف • وقبضتاه مضمومتان على شكل كرتين قويتين :

– أين تصريحك ؟ دعنى أراه •

وأخرج اكسيوما تصريحه ، وقدمه للشرطى الذى لبث ينظر اليه لفترة طويلة ، ثم أعاده اليه •

وحمل اكسيوما المصاب • وافسح الحشد طريقا • سار فيه الدكتور يتبعه اكسيوما •

وفتح الدكتور باب سيارته ، وعاون اكسيوما فى اراحة الرجل ، برفق ؛ على المقعد الخلفى •

– هل تستطيع أن تجىء معى لتساعدنى فى نقله الى البيت ؟

وأومأ اكسيوما موافقا •

– اركب بجانبه وامسكه ، حتى لا يرتطم ذراعه بأى شىء •

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واغلق الدكتور الباب ، ثم اتخذ مكانه فى الكرسى الأمامى ، وأدار محرك السيارة . وقبل أن تتحرك السيارة ، استدار الدكتور ، ونظر الى حيث كان يقف الحشد . وتطلع اكسيوما كذلك. كان الناس يتفرقون فى كل الاتجاهات على حين راح الشرطيان يطاردونهم . وبقى الشرطى الأكبر سنا فقط ، واقفا حيثما تركاه . كان يقف ، وعلى وجهه ، ترتسم نفس تلك النظرة المرهقة المكدودة .

وبدأت السيارة تسير ببطء وحرص. وأخرج الدكتور سيجارة ، وناول اكسيوما علبة السجائر .

ـ ما اسمك ؟

ـ اكسيوما .

ـ ألك فى المدينة مدة طويلة ؟

ـ ثلاثة أشهر .

ـ فهمت ..

والتزما الصمت بقية الطريق . أخذ اكسيوما ينقل نظراته بين الرجل الممدد بجواره ، والرجل الذى أمام عجلة القيادة . كان الاثنان كلاهما من أبناء شعبه ، بيد أنهما يختلفان الى حد كبير. لم يكن كبير احترام للرجل الممدد بجواره . ثمة كثيرون من أمثاله . انهم يحتسون الخمر ، ويتعاركون ، ويلعبون القمار . وهناك كثيرون من هذا الصنف فى المدينة . لقد راقبهم ، وعرفهم . أما هذا الرجل الثانى الذى أمامه فهو مختلف ، مختلف عن كل الآخرين الذين كانوا يتجمعون هناك ، حتى البيض رأوا هذا الاختلاف وعاملوه بشكل مختلف . لم يكن هناك أحد يعرفه اكسيوما يقدر على القيام بما قام به هذا الرجل . ومع ذلك فان هذا الرجل هو واحد من أبناء شعبه .

وأوقف الدكتور سيارته عند الطرف الآخر من ضاحية مالاى كامب . واشترك الرجلان فى حمل المصاب الى داخل أحد المنازل .

قابلتهما سيدة ملونة عند الباب . كانت تشبه تقريبا البيض . وتلبس ملابس تماثل ملابسهم . وكان داخل المنزل يبدو أكثر جمالا من مسكن مخدومه الأبيض . كانت هناك كل الأشياء التى رآها فى مسكن مخدومه ، بل وأكثر مما رآه .

ونقلا الرجل المصاب الى حجرة العمليات . عاونت المرأة الدكتور فى خلع معطفه ، وناولته معطفا آخر خفيفا أبيض اللون .

وبسرعة ، ومهارة ، وعناية ، أخذ الدكتور فى معالجة ذراع المصاب . وطوال الوقت كانت المرأة هناك تناوله أشياء . تعاونه ، وتتحدث اليه .

وكان اكسيوما يجلس على مقعد صغير ، ويراقب ما يجري ، وقال محدثا نفسه :

ربما تكون هذه المرأة زوجته !!

وعندما فرغا من ربط ذراع المصاب بالضمادات ، وغسل الدكتور يديه وقبلته المرأة . عند ذلك أدرك اكسيوما أنها زوجته بالفعل .

ـ لقد انتهى الأمر .

قالها الدكتور ، وابتسم لاكسيوما . وابتسمت المرأة أيضا . وقال اكسيوما فى نفسه : « ربما ينبغى على أن أذهب الآن » .

ودخلت الغرفة امرأة أخرى سوداء ، حاملة كوبا قدمته الى المصاب ليشرب منه .

وجلس المصاب . قال للدكتور :

ـ شكرا لك . ربما أستطيع أن أذهب الآن؟

ـ كلا . وليس بعد . لقد أخطرت الشرطة بأن يجيئوا فى غضون ساعة . ولست أظن أنهم سيجيئون ، الا أنه من الأفضل أن ننتظر، وترى. عليك أن تستلقى فى الفراش حتى تسترد بعض قواك .

ـ لكنهم سوف يلقون القبض على ..

ـ اذا فعلوا ذلك فلسوف أتهم الشرطى الذى اعتدى على .

أما اذا تركتك تذهب فسوف أقع فى متاعب.

وأدار المصاب نظراته فى الغرفة ، ولم يقل شيئا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقال الدكتور :

ـ ربما ستنتظر أنت أيضا يا اكسيوما، حتى تكون شـــاهدى • لقد رأيت كل شيء • وأومأ اكسيوما موافقا •

وغطت المرأة الملونة المصاب ببطانية • وقال الدكتور لاكسيوما :

ـ هيا بنا • سوف نتناول بعض الشاى •

وغادرا الغرفة تاركين المصـــاب وحده • فى الغرفة الأخرى •

كانت هناك نار كبيرة تتوهج للتدفئة ، وكان هناك أيضا جهاز راديو ، ونور يضاء بالضغط على شيء صغير فى الحائط ، لم يكن هناك مصباح يعمل بالزيت ، ولا شموع •

وأجال اكسيوما نظراته فى الحجرة • وتابع الدكتور نظراته وابتسم •

لقد أحس اكسيوما كما لو كان قد هبط فى مسكن مخدومه الأبيض • كما لو كان ينتمى الى هذا المكان • وأن من غير المناسب أن يتواجد فى مكان كهذا •

ولمح الدكتور تغيرا فى ملامح وجهه :

ـ ماذا هناك ؟

هذا المكان يماثل مساكن البيض •

وضحك الدكتور وزوجته • وقال الدكتور :

ـ لا يا اكسيوما • انه ليس مثـل مســاكن البيض • وأنك لا تقلد الرجل الأبيض ، عندما تعيش فى مكان كهذا • هذا هو نوع المكان الذى ينبغى أن يعيش فيه الانسان ، لأنه يليق به • وليس المهم أن يكون أبيض البشرة ، أو أسودها • ان مكانا كهذا صالح بالنسبة له • أما الأماكن الأخـرى فهـى أماكن البيض • الأمـاكن التى يحملونك على العيش فيها •

ـ دكتور •• دكتور ••

اقتحمت المرأة السوداء الغرفة •• ترتسم على قسمات وجهها علامات الحزن والاضطراب •

ماذا هناك يا اميلى •• ؟

ـ لقد ذهب الرجل الذى قمت بلف الأربطة حول ذراعه • غادر المكان متسللا من النافذة •

ـ أوه ••

راقب اكسيوما وجه الدكتور • ارتسمت على قسماته للحظة علامات أسى وجزع • كان مثـل وجوه الرجال الذين يعملون فى طحن كومة من رمل أبيض دقيق مبلل • لم يعد من الممكن أن يصبح أكثر نعومة • وبقى الأسى على وجه الدكتور لدقيقة ، ثم زايله ، وأصبح وجهـه مرة أخـرى جامدا هادئا ، متجهما ••

ونهض الدكتور وتوجه الى غرفة العمليات يتبعه الآخرون • كانت البطانية ملقاة على الأرض • وكانت النافذة مفتوحة تهب عبرها نسمة باردة• لقد ذهب الرجل •

وامسـكت المرأة الملونة بـذراع الدكتـور • وتقدمت اميلى الى النافذ وأغلقتها •

ـ اكسيوما • فى وسعك أن تذهب الآن •

قالها الدكتور بجفاء دون أن ينظر اليه •

وأحس اكسيوما بالاهانة • انه لم يأت شيئا خاطئا •

لقد بقى لأن الدكتور طلب منه ذلك • والآن، ولأن الرجل الآخر قد ذهب ، فان الدكتور يخاطبه بلهجة خشنة •

وتملك اكسيوما الغضب • بيد أن احساسه بالاهانة كان أشد من احساسه بالغضب •

واستدار فجأة ، وسار صوب الباب • وتبعته زوجة الدكتور • مدت اليه يدها ، وهى تبتسم له •

ـ شكرا جزيلا لك ••

وتناول اكسيوما يدها مصافحا • كانت يدها ناعمة صغيرة ، مثل يد امرأة بيضاء •

القاهرة : عبد الحكيم فهيم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أنت أيها الرفيق

إبراهيم أبو جبة

ترفض أن تقتات الظل
لايرضيك الضوء الأملس فى سرداب الليل
فتخرج للأحراش تصيد الصبح
وترفع قلبك فوق الرمح
وتجرح بطن الشمس- فيخرج منها الضوء
ويلفح وجهك
ينضج وجهك مثل رغيف تحت الشمس
وأنت تلملم كل عناء الأمس
وتثقب طين الأوجه .. تنفذ تحت الجلد
وتقتل شبح الخوف
وتسكن قلبك
لا تستأمن إلا قلبك -
قلبك جرن القمح
يلمّ الطير من الأجواء
ويبرق للأفواه .. وللأحشاء المتقلصةِ
وأنت تصيح
وتصلب عمرك فوق جدار الريح
ولا يزعجك الحتف

فمن ألقاك على طرقات الحيرة ترجف
كالأطياف المتملصة من الأحلام ؟
هى الأيام ! ...
فلاتتوعد خطو الذئب وراءك
لاتتوعد صوت الطير الراجف فى أحشائك
بصمات الإخوة فوق ردائك
تمحو أعين وجه القمر التائه فى بيدائك
كل الإخوة صاروا أوراقا فى أشجار الحنظة
كل الإخوة صاروا طينا فى أعماق اليم
فلا تهتم
وحاورْ وجهك فى حدقات الأم
وصادقْ ظلكَ فوق موات الدربْ
فإذا أخْيبتهْ
فسيُحيى منك القلب -
وإذا أدركت اللؤلؤ فى أعماق الجب
فقد أدركت الحب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

دار الفتى العربي

بيروت . لبنان

أول دار عربية متخصصة في نشر وتوزيع كتب الأطفال

أصدرت حديثاً

ـ سلسلة قوس قزح (٣ – ٦ سنوات)

حكايات قصيرة متنوعة فى حجم صغير (٩ × ٩ سم). أسلوب مشوق ولوحات ملونة تحرك مخيلة الطفل وتدعوه إلى اكتشاف جوانب الحياة.

٢٤ صفحة ملونة بالكامل.

صدر حديثا :

- لمياء، وائل والدراجة
(قصة محمود فهمى، عرائس بدر حمادة)
- بالون ريمة : (دلال حاتم، يوسف عبد لكى)

يصدر قريبا :

- على بائع الكعك
- الصياد والسمكة
- مالك الحزين يشترى حذاء
- بير زويلة
- السحابتان الكبيرتان

ـ سلسلة المستقبل للأطفال (٦ – ٩سنوات)

مكتبة كاملة من القصص المتنوعة المشوقة، بلوحات فنية ملونة.

١٢ صفحة، ٤ ألوان، ١٥ × ١٥ سم. صدر منها ٣٤ حكاية.

يصدر قريبا :

- القطة الصغيرة
- أمنيات ليال
- الأرنب الشارد
- فى المدرسة
- حسن والغول
- حكاية قطة

ـ سلسلة الأفق الجديد (٧ – ١٢ سنة)

مجموعة من أجمل القصص الخيالية المثيرة. يتعلق الأطفال بأبطالها ويكتشفون من خلالهم حقائق جديدة عن الحياة إلى جملة الحقائق التى تعلموا من قبل (١٧ × ٢٤ سم) رسوم ملونة.

صدر حديثا :

- نسيم الجناح : (للشاعر بول ايلوار، ترجمة فؤاد حداد، رسوم سعد عبد الوهاب).

- أوبرا القمر : (جاك بريفير، فؤاد حداد، بهجت عثمان)
- ليمونة الشابلة : (فؤاد حداد، إيهاب شاكر)

يصدر قريبا :

- ياليل ياعين
- كوكبنا الصغير
- أوراق الخريف
- أبناء الشمس

ـ أوتوماتيك (٥ – ١٠ سنوات)

كتاب الأشكال للعب والتعليم والخيال. المثلث والدائرة والمستطيل والخط المستقيم تتحول بشيء من الخيال الخصب إلى أشكال وكائنات حية تتحرك...
إعداد ورسوم : عدلى رزق الله.

http://Archivebeta.Sakhrit.com

قيد الطبع :

- ألعاب الأطفال وأغانيها فى مصر :
(إعداد د. محمد عمران، صور محمد صبرى)
- حكايات شعبية من مصر :
(تحرير عبد الفتاح الجمل، رسوم إيهاب شاكر)
- «الخائن يخونه الله» :
(رواية تاريخية، تأليف صلاح عيسى)

الآتى
(قصص قصيرة للفتية بقلم د. محمد المخزنجى، رسوم حامد ندا)

- ملصقات تعليمية ملونة للأطفال :

١ – ألفبائية فلسطين
٢ – الألعاب الرياضية
٣ – الألعاب الأولمبية
٤ – كأس العالم.

- دار الفتى العربى، القاهرة ٩ شارع مديرية التحرير، جاردن سيتى، هاتف ٣٠٥٦٤
- دار الفتى العربى، بيروت ص. ب ١٤٠٥٢٣٦، هاتف ٣٠٤١١٠.

حول مسألة :

الغموض فى القصيدة العربية الحديثة

وليد منير

الشعر مغامرة .

مغامرة بدائية حميمة تفيض بالحدس والدلالة .

مغامرة تكشف فى كافة أبعادها عن ادراك خاص للعالم .. ادراك يهدم نسق التصورات المنطقية المألوفة ليعيد توزيعها من جديد فى بنية مختلفة .وهو بذلك اعادة انتاج للحياة ، واعادة تنظيم لشبكة العلاقات التى تنتظم عناصرها فى كل واحد متجانس من خلال قوانين خاصة .

انه مغامرة فى المنطقة التى يدعوها « براولى » بكتلة الغموض التخيلية التى تحيط بالكلمات .

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

وقد يحق لنا التساؤل عن طبيعة هذه الكتلة .. ما هى ؟! وما طبيعة وجودها ؟ وما علاقتها بعملية التخييل ؟!

ولابد أن تقودنا هذه التساؤلات فى النهاية الى اعادة النظر فى وظيفة الصورة الشعرية . وفى قانون (الاقتصاد فى الطاقة الذهنية) الذى دعا اليه « سبنسر » والذى ظفر لوقت طويل باعجاب علماء الجمال .

ويخطىء من يظن أن الصورة الشعريه أداة للشرح أو أداة للتجسيد . انها على العكس من ذلك فهى تعمد الى كسر المصاحب حيث تنتزع الأشياء من اطارها المألوف ، وتعمل على تجميعها من جديد فى سياق مدهش وغير متوقع مما يكسر آلية التلقى عند القارىء ، ويشحذ لديه ملكة التصور التى شوهتها العادة أو نالت من حدتها .

كتب « بودلير » :

« ليس الكون المرئى بكامله الا مخزن صور وعلامات سيمنحها الخيال مكانة وقيمة نسبيتين » .

ومنذ قرون عديدة من الزمان أنشد أمرؤ القيس :

أيقتلني والمشرفي مضــاجعي
ومســنونة زرق كأنياب أغوال

فماذا كان يقصد اليه أمرؤ القيس يا ترى ؟!

وماذا كان يقصد اليه « بريتون » حين كتب يوما :

« الخلود هو البحث عن ســاعة يد قبيل منتصف الليل عند الأرض المواجهة للماء » .

ان كلا منهما كان يقصد على أقل تقدير أن ينفصل عن شيء قائم لكي يتحد بشيء ممكن . أو قل أنهما معا كانا يقصدان الى ادهاش المتلقي واثارته الى درجــة تنجح فيها الفعالية الجمالية للجملة أو البيت أو القصــيدة في تفجير طاقة ايحــائية وانفعالية لدى القــارىء بحيث يدرك بوجدانه مغزى اعادة ترتيب التجربة الانسانية ، واعادة خلقها وتفسيرها من خلال الشعر .

ان الشعر كمغامرة بدائية يحتفظ في نواته بعنصر سحري فريد ، عنصر لا يمكن استئصاله أو الاستغناء عنه . ولذلك فالقصيدة كما يشير « أرشيبا لدماكليش » ينبغي أن تكون ، لا أن تعنى . انها تنتمي الى تجــربة ، ولا تنتمي الى تفسير .

ان اثارة الشيء أو الايحاء به تدفع بالقارىء الى رغبة أصــيلة في التخمين ، وفي التخيل ، وفي المشاركة الجمالية . انها تدفع به الى نفس عالم الشاعر ، وتجعل من اللغة كوســيط أداة مرهفة لاكتشــاف المطلق . وكيفية اثارة الشيء أو الايحاء به هي المغامرة الذاتية للشــاعر في منطقة « براولى » المشهورة .

ولكن ..

ما هي طبيعة الخيال المبدع ؟

وكيف تحتفظ القصيدة بقدرتها على الســحر والاشعاع الداخلي ؟ !

كيف يصبح الغموض عنصرا شفافا لصــيقا يساعد على الاكتناه ولا يعوقه ؟ !

وكيف لا يتجاوز حدود الاستيطان الصــوفي الى نوع من الابهام المغلق ؟!

يحاول « هنري برجسون » أن يحلل (جهد الاختراع) في كتابه المشهور «الطاقة الروحية» فيقول :

« ان القصيدة مخطط مرن متحرك يمضي من عاطفة غامضــــة تنتشر في لأي أصــــواتا أو صورا . »

انه نوع من الفيض المضيء اذن . أو قل أنه نوع من التجلي والاشراق الحثيث حيث يتحلل الكل في الأجزاء ، ينشأ ويمتد وينمو ويتحول .

انه « مركب الصــــيرورة » كمــا يقــول برجسون .

والخيال المبدع هنا ينحو منحى حدسيا لامنحى تصوريا .

هنا يكمن الفرق بين (الكشف) و (الاختراع)، بين جهد الخيال وجهد التصور .

الشــعر الأمين يعتمد على (الكشــــف) و (الخيال) .

يتجاوز (التعقيد الالي) الى نوع من (التركيب الديناميكي الخلاق) حيث « تخطف الصــــورة الروح » كما يقول « بودلير » .

انه انفتاح على عالم الأســطورة الكونية ، وتفجير لامكانياتها المدهشة من خلال (الرمز) و (التداعي) و (تراسل الحواس) و (التبديل

المستمر للعلاقات اللفظية) مما يخلق نوعا من « التيار الدلالى الباطن » بتعبير « ادجار آلان بو » .

انها شبكة التوقعات الخفية المضيئة التى تتحول شيئا فشيئا الى واقع يتسرب فى عفوية مدهشة ، وارهاص رائع .

ان عنصر الذهنية ، والوهم المجرد يفقد الصورة قدرتها على أن تعمل على المستوى النفسى، وتحرمها من التشابك الحميم بين شتى الترابطات الحسية التى يثيرها طرفاها .

وربما كان هذا هو العيب الخطير الذى يستدرج اليه أرباع وأنصاف الموهوبين ، بل والموهوبون أنفسهم أحيانا الى درجة تصم القصيدة العربية الحديثة كلها بالغموض ، دون أن يفطن هؤلاء الشعراء الى أن الاغراق الكامل المفتعل فى عملية التجريب الذهنى يسلب النص الشعرى أهم عنصريه الفاعلين وهما عنصر (الصدق) وعنصر (الأصالة) .

يقول « محمود درويش » فى (تلك صورتها وهذا انتحار العاشق) :

وقد قالت لى الأيام : اذهب فى الزمان
تجد مكانك جاهزا فى وقت عينيها
فقلت : العمر لا يكفى لقبلتها
وهذا العمر ..
قد قالت لى الأيام : اذهب فى المكان
تجد زمانك عائدا فى موج عينيها
فقلت : الجسم لا يكفى لنظرتها
وهذا البحر

وجاذبية المشهد الحوارى تنبع هنا من ارهاص حاد يبلغ ذروته فى :

تجد مكانك جاهزا فى وقت عينيها
تجد زمانك عائدا فى موج عينيها
... ...

ومن التوحد الصوفى الدال بين : الزمان / المكان / العينان . مما يمثل تشابكا مستمرا واعيا بين أطراف الحركة التمثيلية ، حيث ينحل الزمان فى عمر العاشق ، والمكان فى جسمه ، وتضيق حدودهما رغم ذلك عن حدود العشق .

ويقول « أدونيس » فى (قصيدة ثمود) :

هوذا جسدى مكسوا بالأنقاض وكل غريب .
يمضى وتواكبه أسماك
وبحيرات حمر
وتواكبه أنهار ، كالصيف تهرول نحو خريف أحمر
ويواكبه أحمد حنا يوسف مريم

ويكتسب (الجسد) هنا كرمز (وهو تيمة أساسية فى شعر أدونيس) بعدا توليديا تدور فى فلكه عناصر الكون الأخرى (البحيرات - الأسماك - الأنهار) ويلعب دورا بارزا فى بلورة الدلالة من خلال الربط بين التقابلات العديدة (البحيرات / الأنهار - الصيف / الخريف) التى تفجر الصراع الجدلى بين العقم والولادة ، وبين الجفاف والخصب من خلال نفسه ، حيث يمثل كقربان صدى دلاليا رائعا يتخلل بنية القصيدة وتتجاوب معه أصداء أخرى تؤكده وتوصل من فاعليته الوظيفية مثل (الأنقاض) و (اللون الأحمر) - لون الدم - وأسماء (أحمد وحنا ويوسف ومريم) بما لها من دلالة خاصة فى تاريخ الأديان .

اذن فالصورة على غموضها النسبى فى المثالين السابقين ، تكشف وتضىء ، وتعدد من مسطح العروض الذهنى ، والصورة فى هذه الحال يمكن حل شفرتها ، والعثور على دلالاتها المتعددة من خلال تجاوز عرض الانحراف الجزئى مما يعطى متعة جمالية خاصة للقارىء والباحث معا .

وعلى الطرف الآخر تقع الصورة الذهنية المحضة ، الخالية من كل انفعال أو ايحاء شعرى ، حيث يحل التصور Fancy محل الخيال Immagination وحيث يحل مجموع الأجزاء محل العلاقة بين الأجزاء فى تركيب الجملة الشعرية . ولا يسلم أدونيس نفسه فى بعض

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأحيان من هذه الشبهة ، كما أنها تسم بعض أعمال شعراء من أمثال بشر فارس ، وأنسى الحاج ، وجليل حيدر ٠٠ وغيرهم ٠

يقول أنسى الحاج فى قصيدة (صياح يقف ويركض) من ديوانه (لن) :

هناك جسد لم يصنع هذا الديك ٠

لقنها كيف تجزؤه ، ليكن اعدادك سريعا كعاشق مدهش ٠

ولا تغمض عينيك أسفا ٠

ويقول :

داخل فى الآخر

لا تحشر انفك فى رقتها انها لى !

كنت قفرا لا لأبقى

٠٠٠الخ ٠

ان معاناة الشاعر الحديث لحاضر معقد ومحاولته الدؤوب اكتشاف عوالم جديدة يقتنص من أعماقها المعنى والدلالة ، كما أن الصلة المتصاعدة بين الشعر من ناحية وبين الفكر والفلسفة من ناحية أخرى كما يشير د٠ جابر عصفور فى دراسته عن (تعارضات الحداثة) لابد أن تطرح قضية (الغموض) فى الشعر بحيث يصبح الغموض شرطا من شروط الحداثة حين يفشل الادراك السطحى فى اكتشاف المعمى أو التعبير عنه فى لغة المسمى ٠

ولكن ترى هل يصبح الغموض شرطا مسبقا من شروط التجربة الشعرية أم شرطا مواكبا لها ونابعا من داخلها ؟!

أعتقد أن اجابة كل شاعر عن هذا السؤال هى التى سوف تحدد موقفه بالضبط داخل أو خارج الاطار الصحيح لمفهوم (الحداثة) ٠

القاهرة : وليد منير

الهيئة المصرية العامة للكتاب
تقدم

من كتب التراث

- بدائع الزهور فى وقائع الدهور جـ ١ — تحقيق : محمد مصطفى
- الفتوحات المكية جـ ٨ — تحقيق : د عثمان يحيى
- الشجرة ذات الأكمام — تحقيق : غطاس عبد الملك
- الحجة فى علل القراءات السبع جـ ١ — تحقيق : على النجدى ناصف
- الاقتضاب جـ ٣ — د. حامد عبد المجيد، مصطفى السقا

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها بالقاهرة والمحافظات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأستاذ رشاد

محمد خليل

حاول الأستاذ رشاد أن يغفو قليلا عقب الغداء ينشد الراحة بعد عناء يوم شاق ، وكان قد أنفق الساعة الأخيرة من هذا اليوم فى مناقشة حادة مع أحد الموظفين الجدد الذين لم يمض على التحاقهم بالعمل أكثر من عامين ، ولكنه لم يستطع أن يسبل عينيه لسيطرة هذا الموظف على تفكيره ، ولشعوره بأنه استقر فى رأسه واضعا احدى قدميه فى عين ، والأخرى فى العين الثانية ٠

والحقيقة أن النوم لم يهرب من عينيه الا لتفكيره المتلاحق فى البحث عن طريقة يردع بها هذا الموظف ، وليجعل منه عبرة لغيره من الموظفين الذين تسول لهم أنفسهم مجرد التفكير فى استبدال أفكاره ٠ فهو كما يرى دائما يدير هذه الادارة منذ عشرين عاما ، دون أن يجرؤ أحد من قدامى الموظفين الاقدام على مراجعة ما يقول ، أو استبدال ما يقرر ٠

وعبثا حاول ان يقصى هذا الموظف عن دائرة اهتمامه ، ليتمكن من النوم ساعة تتيح له فرصة كتابة التقارير لجهازه الادارى ٠ ولكن ازداد الأمر سوءا بفعل الضوضاء والصفير ، اللذين يحدثهما طفله الصغير «اخلاص» ، وعندما أيقن استحالة النوم نهض متثائبا متبرما ، فتوضأ وأدى صلاة العصر فى آلية بدت فى سرعة حركات الأداء ٠ اتجه بعدها الى حجرة المكتب ، وهو يشد حزام « الروب » حول جسده البدين المترهل ٠

جلس فوق المقعد الوثير ، وضع أمامه « رزمة » من النماذج المطبوعة للتقارير السرية ٠ نشر أمامه كشفا متضمنا أسماء العاملين فى ادارته ٠ بدأ يرصد الدرجات فى نماذج التقارير ٠ لم تلح على وجهه المتعجرف سمة واحدة تعطى دلالة للاستغراق فى التفكير ، تقصيا للعدل فى رصد الدرجات ٠ عند أحد الأسماء تغيرت فجأة ملامح الأستاذ رشاد ٠ خلع نظارته السميكة ٠ حدقتاه بدتا وكأنهما تقبضان على شئ يثير أعصابه ويستفز موجدته ٠ أشعل سيجارة مستحثا الخادمة لتقديم فنجال القهوة ٠ أمسك القلم ، وشرع فى تدوين الدرجات عابس الوجه مقطب الجبين ٠ بغتة تراجع عن تدوين الدرجة ، ووقف معطيا وجهه للنافذة ٠ انتشرت حول رأسه سحابات الدخان الذى استمرا استمراره فى جذب أنفاسها مترجمة عدم استقرار انفعالاته ٠ « ولأن هذا الموظف يترك مكتبه كثيرا ، ويحضر الى مكتبى لمناقشتى فى أمور لا شأن له بها ، يصبح موظفا عابثا ، يستوجب الردع والعقاب » ٠

حك الاستاذ رشاد جبهته بأصابعه وراح يستعيد موقفا قريبا مع هذا الموظف :

ـ ماذا تريد ؟ ٠٠

ـ ما تم فى موضوع الاقتراح الذى تقدمت به منذ فترة طويلة ٠

ـ رفض مجلس الادارة اقتراحك ٠

ـ لماذا ؟ ٠٠ انى واثق من فائدة الاقتراح وأيده كثير من الزملاء ٠

ـ عندما يرفض مجلس الادارة شيئا فاجماعه لا يقبل المناقشة ٠

ـ هذا خطأ ٠ كما أنه امتهان لحرية العقل ٠

عاد الاستاذ رشاد الى مقعده ٠ بعصبية شديدة تناول القلم : « ما معنى تخطيئه لما قلته له ؟ قطعا لا يعني غير وصفي بقصوري في التفكير » ٠ ثم جذب نموذج الموظف « عمر بشير » ، ووضع أقل من نصف الدرجة الكلية في خانة (مجهودات اضافية في العمل) ٠ عندئذ اقتحم عليه خلوته طفله « اخلاص » وهو ينفخ في صفارته بطريقة توحي بضعف رئتيه ٠ زجره أبوه فخرج مهرولا فزعا من التكشيرة المزروعة حول عينيه وأنفه ٠ أخرج الاستاذ رشاد من أحد الأدراج مفكرة صغيرة، انهمكت أصابعه في تقليب أوراقها بسرعة وتوتر ٠ عيناه تفحصان بدقة الملحوظات المدونة فوق سطورها ٠ فجأة توقفت أصابعه عن الحركة ٠ استقر بصره عند سطور مؤرخة بتاريخ حديث جدا ٠ الملحوظة تقول « اجترأ الموظف عمر بشير على الجلوس أمامي ، واتهامي بالتقصير في تطوير العمل بالادارة » ٠ انتهت الملحوظة ٠ يدس أنفه في كل شيء ، ويظن أنه يملك عقلا أرجح من عقلي ، ودائما يقول ان مجلس الادارة لا عمل له الا التوقيع والتصديق على ما أراه ٠ ثم يتشدق بصالح العمل يا فندم ٠ اقتراح يوفر كثيرا يا فندم ٠ هذا خطأ يا فندم ٠ ويجرؤ هذا الوغد على الجلوس أمامي واضعا ساقا فوق ساق ٠ مشعلا سيجارة يدخنها ٠ متحدثا بطريقة صديق يخاطب صديقه ٠ ان رئيس قسمه لا يجد الشجاعة على أن يفعل ما فعل ٠ حانت لحظتك أيها ال ٠٠٠ أفاق الأستاذ رشاد ، نظر في التقرير ، ثم كتب في خانة (الاستعداد الذهني وحسن التصرف) درجة أقل من نصف الدرجة الكلية ٠ اقتحم الحجرة طفله « اخلاص » نافخا في صفارته بطريقة توحي بضعف رئتيه : « ماذا أفعل مع هذا الولد المتمرد يستفزني دائما أثناء انهماكي في العمل »٠

٠٠٠ أسكت يا ولد ٠ استمر الولد في الصفير ٠ تعال يا ولد ٠ اقترب منه الولد ٠ تعلق أمامه بأطراف المكتب وصفارته بين شفتيه نافخا فيها بلا اكتراث ٠ دعاه الى الاقتراب منه ٠ ربت على رأسه محاولا انتزاع الصفارة التي تثير أعصابه ٠ تراجع « اخلاص » مبتسما وممعنا في مزيد من الصفير ٠ امتلأ بالغضب والغيظ صدر الأستاذ رشاد ، ولكنه قال مصطنعا الرقة والهدوء ، محاولا تهدئته ريثما ينتهي من تقرير عمر بشير :

ـ ضع الصفارة في جيبك يا اخلاص حتى أحكي لك في الليل حكاية الأميرة المسحورة ٠

رد الولد بلثغة عذبة :

ـ أنا « موث » أحب الأميرة المسحورة ٠

صاح زاجرا :

ـ اذن سوف ألقي بك للكلاب المسعورة ٠

أجاب بنفس اللثغة العذبة :

ـ أنا «موث » أخاف من الكلاب المسعورة ٠

نادى عليه وأجلسه فوق ركبتيه ٠ انطلق يداعبه ويضاحكه في محاولة لكسب صمته ٠ لم تنجح محاولات الاستاذ رشاد لصرف يديه وعينيه عن العبث بأشيائه المتناثرة فوق المكتب ٠ وعندما ينجح في صرفه عنها يتجه الى أشياء أخرى ٠ فتارة يطلب منه أن يخرج لسانه فيذعن لطلبه ، ثم اذا به يجده يحاول الامساك بلسانه ، فيسرع الاستاذ رشاد بسحبه داخل فمه ٠ وعندما وقعت عيناه على قلمه الذهبي أسرع والتقطه بيده الصغيرة عابثا به ٠ حاول أن يعطيه قلما آخر فبكى ، وصرخ ضاربا المكتب بساقيه الصغيرتين ٠ أمسك قلما آخر وحاول رصد درجة (السلوك والصفات الشخصية) للموظف عمر بشير ٠٠ انتهز « اخلاص » فرصة انكبابه على النموذج ، ورمى القلم من النافذة ٠٠ أنزله الأب لاطما اياه على جبهته ٠ أسرع ينظر من النافذة متابعا القلم ٠ أبصره وقد استقر في صندوق احدى سيارات النقل المنطلقة ٠ استدار نحو الولد وقد اندلعت في صدره ثورة عارمة ٠ أصيب بحالة من التصلب عندما وجده ممسكا بالتقرير السري للموظف عمر بشير ، وقد تحول بين أنامله الى قصاصات صغيرة ٠ ثم نثرالقصاصات حول المكتب ٠ ووضع صفارته بين شفتيه ، ميمما وجهه نحو الباب ، ينفخ فيها طويلا ويضحك ٠ ينفخ فيها طويلا ويضحك ٠

القاهرة : محمد خليل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

احذروا..

محفوظ عبد الرحمن

(عن المسرحية)

« لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور ، وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة ، وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالى وأياما آمنين . فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا ، وظلموا أنفسهم . فجعلناهم أحاديث ؛ ومزقناهم كل ممزق ؛ ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور »

سورة سبأ - آية ١٥ - ١٩

والجنتان عن يمين سد مأرب وعن يساره . ويقال انه كان بين ثلاثة جبال واختلفوا فيمن بناه : لقمان بن عاد ، أو سبأ بن يشجب ، أو بلقيس ، واتفق على خرابه بسيل العرم ، وقصة خرابه هى احدى قصص الميثولوجيا العربية قبل الاسلام (الفترة التى تسمى خطـأ بالعصر الجاهلى) ، وهى القصة التى رويت فى أكثر من مصدر ، فحكاها الهمذانى فى « الاكليل » ، والمسعودى فى « مروج الذهب » ، واعتمدت عليها تماما فى هذه المسرحية ، ولكننى أعترف بأن الفضل كان مباشرة لمحمود سليم الحوت بكتابه « الميثولوجيا عند العرب » فلقد نبهنى الى هذه الاسطورة ، والى غيرها من هذه الفترة الثرية التى هى على عكس ما نتصور ..

- بنت الخير .. ملكة سبأ
- عمرو بن عامر .. ملك سبأ
- عمران بن عامر .. أخو الملك
- طريف .. شاب ثائر
- هند .. من سيدات البلاط
- ليلى .. من سيدات البلاط
- الشيخ

(اللوحة الأولى)

عمرو : كم يسعدني أن ولدنا طريف يأتي الينا طائعا .. فلا شيء يلمس القلب مثل التوبة ..

عمران : (مغمغما) احذر الأفعى ..

عمرو : من يقف أعلى يرى أفضل .. هذا طبيعي .. ومن يقف أسفل لا يرى أحيانا سوى موضع قدميه .. وهذا طبيعي .. ولأن البعض لا يبصرون يتمردون .. وهذا أيضا طبيعي .. وتعود البسمة الى الشفاه بعد غيبة عندما يرى البصر .. جئت طبعا يا طريف تقدم ولاء العصاة ..

بنت الخير : هذا بداية زمن آخر .. فلقد انشق القلب طويلا .. وآن لسبأ أن تلعق جراحها ..

عمرو : ساعفو عنكم جميعا .. الراعي لا يعاقب الشياه الضالة .. لذة القدرة في تملك الغفران .. وأنا أحب قلبي الذي كدرتموه لكم صافيا ..

طريف : مولاي .. ان قلبي يرتعش سعادة بما أسمع .. وأتوسل الى عقل ان يفعل .. فما جئت احمل رأسي على كفي الا لنتفق ..

عمران : السم في العسل ..

عمرو : لست أقل منكم فضلا .. اذا مشيتم خطوة .. سأمشي اليكم خطوات ..

طريف : مولاي ليس في الدنيا أكثر خيرا من سبأ .. ولكن من يملك هذه الخيرات ..

عمران : كشفت الشوهاء عن وجهها ..

عمرو : هذا ما لا أحب سماعه ..

طريف : ما جئت الا لأقول ..

عمرو : يكفيني انني أعفو عنكم ..

طريف : هذا لا يكفينا .. فلم نخرج لتعفو عنا ..

عمرو : أنا لا أستطيع أن أعفو عن الجميع .. أستطيع أن أعفو عنك أنت ..

طريف : لا أظنهم يرسلون رجلا من السهل شراؤه ..

عمرو : أنا لا أشتريك .. أنت منا .. ولذلك أود أن تكون منا فيما نملك ،

طريف : مولاي اننا ..

عمرو : (مقاطعا) تكلم عن نفسك .. أنا لم أستقبلك الا لأنك أنت أنت ..

طريف : وأنا لم أجيء اليك الا أننى نحن ..

عمرو : أنت تثير غضبي ..

طريف : مولاي .. ماذا لا يثير غضبك منا غير ألا نكون ؟

بنت الخير : ألم نلتق لنتصالح ؟!

طريف : صلح بين سكان أعلى الجبل وأسفله ؟ المسألة طويلة ، حتى ليهلك الصلح فيها قبل الوصول ..

عمرو : لقد سئمت كبرياءكم ..

طريف : هذا هو الشيء الوحيد الذي ليس من حقنا أن نساوم عليه ..

عمرو : لست أفهمكم ، ولا أنتم تفهموننى .. ما يرضينى لا يرضيكم .. وما تريدونه لا أريده ..

طريف : أوصلنا الى طريق مسدود ؟!

بنت الخير : مهلا ..

عمرو : فى سبأ ملك واحد هو عمرو بن عامر .. وللصلح طريق واحد : هو طريقى ، وليس من حقكم أن تفرضوا شروطا ، فأنتم محاصرون .. فى الجبال ، ولولا ذلك لما جئتنى ترجو المصالحة ..

طريف : لست أحمق لأنفى هذا .. ولا أظن مولاى يصدقنى اذا قلت اننى ما جئت الا لصالحه .. لقد حوصر الرجال .. وبلغوا قمة اليأس فجئت أحذركم ..

بنت الخير : من ماذا ؟

طريف : من اليأس .. نعم .. احذر اليأس أيها الملك ..

عمران : احذر اليأس .. (ثم يدور فى حالة كالغيبوبة) احذر اليأس .. اليأس نمر جريح .. أظافره خنجر .. والخنجر تحت الثوب .. (ويخرج الخنجر من تحت ثياب طريف)

عمرو : أمسكو به ..

عمران : والخنجر مسموم ..

بنت الخير : أتفعلها فعلا يا طريف ؟

طريف : لست أنا .. بل اليأس ..

عمرو : انه يعترف ..

طريف : وماذا يكتم اليائس ..

عمرو : يا قريبنا العزيز أرى رأسك هذا يتدحرج داميا .. فى العينين انكسار الألم ..

طريف : عديتى الأخيرة الى أحلامك .. لعلهــا توقظك على ما يجب أن يكون ..

عمرو : ألقوا به فى السجن ، حتى أرى فيه رأيى ..

طريف : أيها الملك تنبه .. اليائسون صـف طويل .. وجوههم أقنعة لا تبدى حقيقتهم .. وليس فى كل مرة تبين أظافرهم ..

عمران : طالما أنا هنا سأرى الأظافر حتى قبل أن تنبت .. وملك سبأ سيظل شامخا لا يجرح ..

عمرو : أنت بارع جدا يا أخى ..

عمران : مولاى .. (بتواضع شديد) لقد عرفت بأمر الخنجر ساعة سقاه السم ، ورأيته وهو يدسه تحت ثيابه .. وقرأت كل ما يدور فى رأسه حتى وصل الى هنا ..

عمرو : ماذا كنت أفعل بدونك ..

عمران : صدقنى يا أخى : لا أدرى ..

بنت الخير : تكدر يومنا ..

عمران : أحزينة أيتها الملكة ؟

بنت الخير : لا تكفى الكلمة ..

عمران : ولماذا ؟

بنت الخير : أى سؤال ..

عمران : كان يجب أن تسعدى لقد أرسل العصـاة قاتلا ، فكشفنا أمره .. ألا يسرك هذا ؟

بنت الخير : لست أرى فى هذا ما يسر ..

عمران : من عيوبك أيتها الملكة ، وهى قليلة ، أنك قليلة الثقة ببصيرتى .. اننى أرى ما فى داخل الأفئدة .. وأعرف أنك حزينة الى أقصى الحدود ، ليس لأن ما حدث حدث فقط ، وليس لأن طريف ابن عمك فقط ..

بنت الخير : كفى ..

عمران : ليكن .. فانا من الذين يؤمنون أن للكلام أوقاتا .. وللصمت أوقاتا ، لكن لا تستهينى بعد ذلك بقدراتى .. انها أقوى من أن أخفيها ، أو أدارى عليها بالتواضع .. أنا أيتها الملكة أرى الرغبة تنوش قلب المرء ، حتى قبل أن يعيها هو نفسه ..

بنت الخير : كيف ؟

(اللوحة الثانية)

بنت الخير : كيف ؟

الشبح : انه يعرف ..

بنت الخير : أعرف أنه يعرف .. ولكن كيف ؟

الشبح : هل تساءلت اذا كان السؤال من حقك ؟

بنت الخير : أريد أن أعرف لماذا ؟

الشبح : كل انسان يملك شيئا .. وعمران بن عامر يملك المعرفة ..

بنت الخير : انه يعرف الكثير ..

الشبح : كما تملكين الكثير ..

بنت الخير : كلنا لا نعرف بعض ما يعرف ..

الشبح : أتحسدينه ..

بنت الخير : لا ..

الشبح : هذا بعض ما تملكين ..

بنت الخير : ألا تراها بلاهة أن أتيــه بالرضا ، وهو يملك المعرفة ..

الشبح : أرى العدل يسود ..

بنت الخير : ولكن الانسان غير عادل ..

الشبح : هذا خطأ البشر ..

بنت الخير : لقد وهبتم أظافر للغول ..

الشبح : عندما عرف كان أطهر من وليد ..

بنت الخير : لا أحب أن أصدق أن المعرفة تولد الشر ..

الشبح : ومن يقول .. لكنها تعذب صاحبها .. المعرفة شمس محرقة ..

بنت الخير : عمران عذابنا ..

الشبح : ربما لأنه يتعذب ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الخير : قبله كانت سبأ أرض الخير للجميع .. حتى امتلك عمران المعرفة .. أتدرى من يملك كنوزها الآن ؟

الشبح : زوجك ..

بنت الخير : وعمران ..

الشبح : يا ابنتى المعرفة كالسيف ، يدافع ، ويهـاجم .. يقتل ، ويحمى ، يمزق الأبطال والجيفة ..

بنت الخير : اعدل ، أعط السيف لمن يغرسه فى الزهور ..

الشبح : ماذا تريدين ؟

بنت الخير : أن يعتدل الميزان ..

الشبح : افعلى هذا ..

بنت الخير : لا أستطيع ..

الشبح : يكون عليك اثم العجز ..

بنت الخير : ليتنى أقدر ..

الشبح : بل تقدرين .. اذا كنت تريدين ..

بنت الخير : لا أصدق ..

الشبح : أنا أؤكد .. وأنت تفكرين .. ماذا أمامنا غـير التجربة ..

بنت الخير : سلاح عمران أمضى ..

الشبح : ليكن لك ..

بنت الخير : لى ؟

الشبح : اذا كنت ستعدلين به الميزان ..

بنت الخير : تقصد ..

الشبح : نعم ساهبك المعرفة .. ألست تريدين هذا ؟

بنت الخير : كما لو كان ذلك حلما من ألف عام ..

الشبح : لا تتسرعى ..

بنت الخير : أعلى هذه الأرض الممتدة الى الجحيم .. وبين هؤلاء البشر الذين يتنوعون حتى يصلوا الى البهائم ؟! .. من يرفض المعرفة للحظة ؟

الشبح : اذا أدركوا أنها عذاب ..

بنت الخير : المعرفة لا يمكن أن تكون عذابا ..

الشبح : المعرفة لا يمكن الا أن تكون عذابا ..

بنت الخير : أنت تحاول اخافتى ..

الشبح : أنا أحاول تحذيرك ..

بنت الخير : ربما كانت قلقا .. لكن أن تكون عذابا ..

الشبح : بدأت تخافين ..

بنت الخير : ربما ، لكن شهوتى الى الموت أقوى ..

الشبح : لن تعرفى النوم ..

بنت الخير : لا أعرفه الآن ..

الشبح : سينكرك الآخرون ..

بنت الخير : بالمعرفة أستعيدهم ..

الشبح : لن يصدقوك ..

بنت الخير : فى النهاية سيفعلون ..

الشبح : لكن ، لن يكون لك أبناء ..

بنت الخير : ماذا ؟

الشبح : المعرفة عطاء .. والانجاب أنانية ..

بنت الخير : لست أرى هذا ..

الشبح : ليس مهما ما ترين .. أنا أعرض عليك : المعرفة أو الأبناء ..

بنت الخير : لست أرى تناقضا ؟

الشبح : **(مقاطعا)** المعرفة أو الأبناء ..

بنت الخير : هذا ظلم .. والعدل لا يبنى على الظلم ..

الشبح : العدل لا يبنى الا على معاناة ..

بنت الخير : هذا فظيع ..

الشبح : المعرفة أو الأبناء ..

بنت الخير : يا طيف الغيب ما تطلبـه ينوء به كتفاى .. الاختيار أفعى مدسوسة تحت الحرير .. أستطيع أن أقول نعم أو لا .. فى أسهل الكلمات .. ولكن هل يستطيع ألف رجل أن يحتملوا ثقل الاختيار ..

الشبح : المعرفة أو الأبناء ..

بنت الخير : يا ملك الحكم الخانق ، أنت تطلب فى برهة ما لا يجيبه البشر عبر تاريخهم : العقل وما أخطره ، والجسد وما أعزه ..

الشبح : اختارى ..

بنت الخير : أملك القدرة على أن أقامر بمال الدنيا كلها لو كنت أملكه .. ولكن أن أقامر بعقلى .. أن أقامر بجسدى .. ومن لا يريد العلم ؟ لهفة الانسان الأبدية الى المجهول .. ومن لا يريد القوة ؟ كيان الانسان على أرضه ..

الشبح : اختارى ..

بنت الخير : أيها القاسى الجليل .. يا من تملك كل شىء سوى الرحمة .. أسقط السيف على قلبى .. اختار العقل ..

(اللوحة الثالثة)

هند : أيتها الحبيبة ، واسمحى لى أن أناديك هكذا .. أنت حقا ملكتنا .. وزوجة ملكنا .. ولكنـك أقرب من ذلك .. أيتها الحبيبة اننى قلقة عليك .. حتى يعتصر فؤادى ..

بنت الخير : ولماذا يا هند ؟

هند : أراك شاحبة اليوم ..

بنت الخير : وأنت قلقة لهذا ؟

هند : طبعا .. فانا أخشى ان يلمسك النسيم .. لا شـك انك تعرفين ما فى قلبى تجاهك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الخير : نعم .. أعرف ما فى قلبك ..

هند : أنت أحب الناس الى قلبى ..

بنت الخير : أنا ؟

هند : بالتأكيد يا بنت الخير .. فأنت أعز الصديقات ..

بنت الخير : هكذا ..

هند : لا أظنك تشكين فى عواطفى ..

بنت الخير : بل أنا فى يقين ..

هند : يكتمل الحب بتصديقه ..

بنت الخير : لو كنت قادرة على الحب ، مثلما أنت ماهرة فى التحدث عنه ..

هند : لست أفهم ما تقصدينه ..

بنت الخير : أصدقك ، فعندما نخدع الآخرين الف مرة ، لا نفهم لماذا لا يخدعون مرة بعد الألف ..

هند : من الذى تحدث عن الخداع ؟

بنت الخير : أنا .. وقلبى يوجعنى ..

هند : ماذا بك اليوم أيتها الملكة ..

بنت الخير : بى عذاب الرؤيا ..

هند : لست أفهم ..

بنت الخير : ولست أظنك تفهمين .. فكل ما يشغلك أن تزينك أمك لتسلبى لب الملك ..

هند : بنت الخير ..

بنت الخير : نصائحها الغالية : كونى لينة حتى تصيرى صلبة .. كونى أمة حتى تملكى ، احذرى أظافر الملكة حتى تصل أظافرها الى عنقها .. أربتى على ظهر الملك ، ولكن دعيه يزحف وراءك ، أليست هذه ـ بالحرف ـ نصائح السيدة الوالدة ..

هند : أنا لا أحتمل هذا ..

بنت الخير : ما هو الشىء الذى لا تحتملينه يا « حبيبتى » .. تلونك حرباء كريهة .. أم كشف الغطاء عنك ..

هند : أنت لا شك مريضة ..

بنت الخير : أكثر مما تتصورين ..

هند : لن أظل معك وأنت هكذا .. أنا غاضبة منك ..

بنت الخير : وأنت يا ليل ..

ليل : أنا ؟

بنت الخير : لماذا تجلسين صامتة هكذا ..

ليل : سيدتى ..

بنت الخير : الحزن فى عينيك ، كما لو كنت تحملين فيهما حزن الناس ، الماضى ، والآتى ..

ليل : سيدتى اقسم ..

بنت الخير : وأقسم أنا أيضا أن جوهرة قلبك لا تلمع ، لأنه لا يلمع فى عالمنا سوى الزيف .. اقسم أنك تحبيننى ، وتخلصين لى المودة .. ولغبائى لم أكن أعرف .. بل ساورنى الشك فيك ، فبالأمس كان يسلب لبى البريق .. ولست أدرى هل يغسل ندمى خطئى ، أم يتحول الندم الى خطأ جديد ..

(يدخل عمرو وعمران)

عمرو : أنت تدهشنى يا عمران .. كأنك لست أنت .. لقد تركتك والشمس تغرب .. وأنت عمران الذى نعرفه جميعا .. وأستقبلك مع الصباح باهتـــا كرجل ولد وعاش ومات ، دون أن يذكره أحد ..

عمران : لست أدرى أيها الملك .. شىء ما ، خطأ ما حدث .. أظنها وعكة بسيطة ..

بنت الخير : أتراها هكذا يا عمران ..

عمران : وماذا تراها سيدتى ..

بنت الخير : عندما نصبح على غير ما نمسى .. فلابد أنه قد حدث شىء فى ظلمات الليل ..

عمران : وماذا يمكن أن يحدث ؟

بنت الخير : أأنا الذى أعدد لعمران بن عامر ما يمكن أن يحدث فى الليل من أسرار ..

عمران : ليس لدى أسرار ســــــوى ما هو فى خـــدمة أخى وبلادى ..

بنت الخير : مسكين أنت يا عمران .. تسهر حتى الصباح فى خدمة أخيك وبلادك .. ثم تقابلنا بوجه ذابل ..

عمرو : لقد آوى عمران الى فراشه فى المساء ..

بنت الخير : لكى يكون مولانا دقيقا فليقل : انه ودع عمران فى المساء ..

عمران : لقد رآنى الملك وأنا قاصد فراشى ..

بنت الخير : بل ذهبت اليه فعلا أيها الحكيم .. ولكن الأرق سرق النوم من عينيك .. فقمت لتستقبل تحت ستار ليلة محاق بعض الصحاب ..

عمرو : من هؤلاء ؟

بنت الخير : وكيف لنا أن نعرف وهم ملثمون ..

عمرو : ملثمون ؟

عمران : انها خيالات ..

عمرو : أرأيتهم ..

بنت الخير : كما أراكم الآن ..

عمران : أنا لم أستقبل أحدا ..

بنت الخير : يبدو أن حكيمنا فقد بعض حكمته .. فانكاره أنه استقبل أحدا سهل تكذيبه ، من خدمه وحراسه وبعض من صادف ورأى المتسللين . بل ممكن تكذيبه من الملثمين أنفسهم ..

عمرو : أتعرفينهم ؟!

بنت الخير : أتصدقنى يا مولاى ، لو قلت ان أخاك يتآمر ، ليتولى الملك بدلا منك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عمران : كذب ..

عمرو : مستحيل ..

بنت الخير : مستحيل ؟ يحق لك أن تقول هذا .. ترى ماذا تقول لو ذكرت لك عشرة أسماء كلها مستحيلة كاسم عمران بن عامر ..

عمران : أنت تشوهين سمعة الشرفاء ..

عمرو : هذا ليس فى صالحنا يا بنت الخير ..

بنت الخير : لنختصر الطريق .. لو قلت لن تصدقنى .. لكن لو أنك فتشت صدر أخيك .. ستري فيه من الأوراق ما يشى بأسمائهم جميعا ..

عمران : لا ..

عمرو : أخرج ما عندك ..

(اللوحة الرابعة)

عمرو : خير ملك الدنيا بلا ملك ..

بنت الخير : طال بقاؤك ..

عمرو : مهما طال فلا بد أن تأتى لحظة أكتشف فيها بدهشة أنه حتى أنا على أن أرحل .. العالم كله آنئذ لا يساوى ورقة شجرة جافة .. لكنه الآن يساوى الكثير .. لست أتخيل كيف أتتك سبأ دون ملك ..

بنت الخير : مولاى .. لتشغلك سبأ نفسها أكثر مما يشغلك ملكها ..

عمرو : لا يا بنت الخير .. ليس هذا من الحكمة فى شىء .. حتى لو كانت الحكمة قد هبطت عليك ذات ليلة .. لا أعرف كيف .. سبأ دون ملك قوى : فوضى .. العصاة فى الجبال سهام لم يشد عنها الوتر بعد .. كنت أعزى نفسى بوجود عمران .. ولكننا أبعدنا عمران بعد أن شككنا فى اخلاصه .. هذا المعتوه خسر بالعجلة ما كان سيكسبه بالانتظار .. ماذا سنفعل الآن ..

بنت الخير : لا أدرى ..

عمرو : لا تدرين ؟ كل هذه الحكمة ولا تدرين .. يبدو أننا لا نفكر الا عندما نعرف .. وأننا لا نؤكد الا عنـــدما نجهل .. أنت تدرين جيدا يا بنت الخير .. فأنصاف الرجال فى الأسواق ينجبون .. وبطون النساء تنتفخ حتى من الهواء .. ومن يملكون كسرة خبز ينجبون لها عشرة .. وأنا الملك عمرو بن عامر .. سيد سبأ ، وصاحب مأرب .. أعانى الحرمان من ولدى .. أريد ولدا ..

بنت الخير : أيها الملك .. عذابى فوق عذابك .. لأننى الأرض التى لا تنبت .. رمال الى أعماقها بلا قطرة ماء .. صخر بلا مسام لا يروى ولا يروى .. جدب أبدى .. أنا موت حى أيها الملك ..

عمرو : قلت انك اخترت ..

بنت الخير : لست بأول من وجه الطعنة لصدره ..

عمرو : لقد اخترت وهذا حقك .. ربما كان حقك .. لكن لم يكن لك أن تختارى عنى .. لقد قتلت طفـــلى .. طعنت آل عامر فى ميراثهم ..

بنت الخير : نظلم الآخرين دائما عندما نظلم أنفسنا ..

عمرو : أريد طفلا ..

بنت الخير : تطلب ممن لا يستطيع أن يعطى ..

عمرو : ولدا ..

بنت الخير : الصمت لا ينطق ..

عمرو : ملكا ..

بنت الخير : الموت لا يهب الحياة ..

عمرو : ها أنا أعظم ملوك الأرض .. أكثرهم ثراء ، أتسول بسمة وليد .. كل ما أملكه ، وما يمكن أن أملكه ، أحتاج فيه الى صك يؤكد وجوده .. طفل .. طفـــل واحـــد .. أهذا كثير على .. أريد طفلا .. ليعطنى اياه أى شخص .. أقادرة أنت على أن تعطينى اياه ..

هند : أنا ؟

عمرو : أنت بلا عقل .. أنت جسد وحســـب .. أرض سوداء .. تنبت مع المطر .. أتعطينى طفلا ..

هند : ولكن مولاتى ..

بنت الخير : مولاتك غير قادرة على أن تكدر الملك .. ولا أن تكدر نفسها .. ومن الحكمة ، وما أقساها ، أن تعترف بذلك .. ، أعطى الملك وريثه ..

عمرو : سأظل قلقا على سبأ حتى يعلو ولدى جواده .. فليكن اذن سريعا مقدمه .. هيا بنا يا هند ..

بنت الخير : انتظر أيها الملك ..

عمرو : ليس الآن يا بنت الخير ..

بنت الخير : الأمر خطير ..

عمرو : أغيرة أيتها الملكة ..

بنت الخير : صرت قادرة على أن أدع الغيرة تنهش قلبى سبعا جائعا .. وأدع عقلى باردا ..

عمرو : تضيعين الوقت .. وعرش سبأ فى الانتظار .. والجواد ولد يمزح فى انتظار فارسه ..

بنت الخير : أعرف أنك تريد ولدا ..

عمرو : هذا ما أحمده لك .. فلا تعطلينى ..

بنت الخير : لكن لماذا ؟

عمرو : لا أحد يحتاج للحكمة حتى يجيب ..

بنت الخير : لتورثه ملكك ؟

عمرو : بالتأكيد ..

بنت الخير : ومن يضمن هذا الملك حتى يكبر ؟ ..

عمرو : لا تكونى نذير سوء ..

بنت الخير : هذا قدرى ..

عمرو : هناك وقت طويل للتشاؤم .. هيا يا هند ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الخير : لقد انقلبت السلحفاة ..

عمرو : لتنقلب كما تريد ..

بنت الخير : كنت أسير الى جوار البحيرة .. فرأيت السلحفاة تخرج من الماء .. ثم تنقلب على ظهرها .. وتجاهد لتعود كما كانت ..

عمرو : وهل نجحت ؟

بنت الخير : بصعوبة ..

عمرو : مادامت قد نجحت ، فلأذهب وأنجب طفلا ..

بنت الخير : انه نذير سوء أيها الملك ..

عمرو : لست أفهم شيئا مما تحكيه .. وحتى لو كان نذير سوء .. فلا أظن أنه يضير تأجيله ، حتى أنجب طفلا ..

(اللوحة الخامسة)

هند : انها لا تستطيع أن تعطيه طفلا ..

ليلى : ليس هذا عذرا .. انها صديقتك ..

هند : الصداقة وما شابهها هى من ألعاب العامة .. الأمور هنا مختلفة يا ليلى .. هنا كل شخص يبحث عن وجوده .. ويدافع عن كيانه ..

ليلى : ويخون ؟

هند : ويقتل لو تطلب الأمر هذا .. هنا الانسان مجرد ، لا داعى لأن يستر نفسه بأثواب الفضيلة الخشنة .. فاذا كان الجميع يلعبون نفس اللعبة .. فلا أفضل من المصارحة .. واذا كنت فى غابة ، فلماذا ترتدين ثياب الحمل قناعا .. وتحته ذئب .. لست أنت يا هند .. كانت بنت الخير دائما أختا لنا ..

(تدخل بنت الخير)

بنت الخير : أكثرى من هذا الحديث يا ليلى .. قولى حتى ترتعش حنجرتك تعبا .. املئى الكاس حتى حافته .. اغرسى النصل فى القلب حتى نهايته .. الرحمة .. لأن القلب لم يمت .. زيديه طعنا .. فالموت أمل .. اذا كان الشفاء مستحيلا ..

ليلى : لست أوافق على ما فعلت ، مهما كان ..

بنت الخير : أية فتاة طيبة أنت ؟

ليلى : أنا حزينة حقا ..

بنت الخير : هذا القمر المتغير فجر فى البشر الكثير عبر أزمانهم .. ما أروع البدر .. خاصة عندما يتغير .. ما أجهل الانسان ، والحياة لا تتغير الا من البدر الى المحاق ..

هند : لا تغضبى هكذا .. فأنت وافقت على كل شىء ..

بنت الخير : أنا لست غاضبة يا هند .. أنا حزينة جدا .. لقد رأيت حتى تورم قلبى .. اكتفيت .. لكنهم يفتحون عينى بالقوة .. ويلقون فى عينى بالمزيد .. اكتفيت .. لكنهم يكشفون البشاعة عن البشاعة فاذا عالمكم كله يفوح بالنتن ..

هند : لو أنك كنت حكيمة كما يقولون لما أحزنك شىء .. الملك يريد ولدا يرث ملكه .. وهكذا حقه تماما .. وأنت لا تستطيعين أن تمنحيه هذا الولد ، وهذا خطؤك .. وأنا قادرة أن أهب هذا الولد وهذا فضل ..

بنت الخير : وأنا حزينة لهذا .. لكنه حزن تكاثر فوقه الرماد .. فى هذه المرة ليلى التى تمزق قلبى ..

ليلى : أنا ؟

بنت الخير : نعم أنت يا من تريدين منافسة هند ..

ليلى : أنت تعرفين حبى لك ..

بنت الخير : وأنا أعرف أنك كنت تحبيننى .. وكنت أغبط نفسى على هذا الحب .. ولكن القمر لا يدوم اكتمالا ..

ليلى : اننى ..

بنت الخير : لن تستطيعى خداعى .. فلو كان بالامكان لخدعت نفسى ، ما كنت لأنتظرك حتى تسدل الظلمة على عينى .. حرقت الشمس جفونى .. ما عدت أطيق عالمكم .. انصرفا ..

الشبح : تعبت ؟

بنت الخير : أتكفى كلمة نعم ..

الشبح : لا تلومينى ..

بنت الخير : لقد حذرتنى ..

الشبح : كنت أعرف أن حياتك ستفسد ..

بنت الخير : وأنا أيضا كنت أعرف .. لكن الكارثة أن قلبى هو الذى يفسد .. ينوء بما فى هذه الحياة من خداع ، وزيف ، وتناقض ، وغبن ..

الشبح : أنا مشفق عليك ..

بنت الخير : اننى أحترق وأشم لحمى يشوى ..

الشبح : قد تحبين أن تتوقفى ..

بنت الخير : ماذا ؟ وأعود الى البلاهة .. امنح لعمرو بن عامر أولادا يغرقهم الطوفان .. أطهو الطعام الشهى .. فيأكل عمرو حتى يتجشأ ، يضيق بصرى فلا أرى سوى حلية وثوبا .. ولا أرى السيل يزحف من أعلى الجبل .. لا يا سيدى .. النار المحرقة أحب الى ألف مرة من الدفء الكاذب ..

الشبح : قاس يا ابنتى أن يكون الانسان وحيدا فى هذه الحياة .. فلا يقوى الذراع مثل لمسة محب ..

بنت الخير : لا أريدها بالخديعة ..

الشبح : رغم أن كل البشر يشتهونها ، حتى بالخديعة ..

بنت الخير : أريد لمسة من القلب .. أو فلتكن الحياة حجرا صلدا يحمله القلب ..

طريف : أنت ؟

بنت الخير : نعم ..

طريف : المكان لا يناسبك ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بنت الخير : وأين المكان الذى يناسبنى ..

طريف : صرت منهم ..

بنت الخير : ليتنى كنت ..

طريف : تخليت عنا ..

بنت الخير : ليتنى فعلت ..

طريف : عدت الينا ..

بنت الخير : ليتنى أعود .. أنا طريدة كل مضيفة .. ملعونة من الطيبين .. والأشرار .. تائهة فى صحن الدار ..

طريف : لو انك عدت لوجدت لك مكانا فى قلوبنا ..

بنت الخير : وأنا أريد أن أعود .. الى اى بيت أريد أن أعود .. لكن السفر طال .. واصبحت العودة مستحيلة ..

طريف : فسد كل شىء ؟ ..

بنت الخير : نعم فسد كل شىء ..

طريف : الزمان الحلو مضى ؟ ..

بنت الخير : الزمان الحلو مضى .. ولا ادرى هل أتحسر عليه .. أم أسعد لأننى صرت أرى ما لم أكن أراه ؟! ..

طريف : وماذا ترين يا بنت الخير ؟ ..

بنت الخير : جمجمة خربة تحت ازار امرأة جميلة ..

طريف : ذلك فظيع ..

بنت الخير : متى تتغير ؟

طريف : ماذا ؟

بنت الخير : تغير الجميع .. فلماذا لا يتعذب ..

طريف : لعلك تريدنى أفضل مما أنا ..

بنت الخير : على العكس .. أنت نشوة الصورة الشوهاء .. لماذا تفسد ما أراه بالنبل ، والطيبة ، والمحبة ، والكبرياء .. تلك رايات ترفع ولا يصدقها رافعها ..

طريف : لا أظنك تلومينني ..

بنت الخير : بل اظننى أفعل .. وعندما أرى السيل يتدفق ، ليغرق سبأ ، أندم لأن فيها رجل مثلك .. لم لا تكون مثلهم ..

طريف : يا ابنة العم منذ زمن بعيد ، حتى لا أذكره .. لم اطلب الا ما أريده ، ولم أرد الا ما أتمنى .. ولم اتمن الا ما احب .. ولم أحب ما أكره أن أعلنه ..

بنت الخير : لولاك لقتلتنى الوحدة ..

طريف : انسيت أننى سجين ..

بنت الخير : ومع ذلك فانت الانسان الوحيد ، الذى أريد أن القى برأسى على كتفه ..

طريف : ليت القيود لا تحول دون ذلك ..

بنت الخير : بل تفعل ..

طريف : يا للأيام التى مضت ..

بنت الخير : وهذا زمان تتمايل فيه الأشجار بلا رياح ..

طريف : الأشجار فى سبأ دائما تتمايل ..

بنت الخير : بلا رياح ؟

طريف : هذا مستحيل ..

بنت الخير : لكنه حدث ..

طريف : أشجار تميل بلا رياح ؟ هل ممكن هذا ؟!

بنت الخير : بعينى رأيته ..

طريف : وكيف ؟

بنت الخير : أحاول أن أعرف ..

طريف : أتعتقدين ..

بنت الخير : لا أفهم لكنه نذير شؤم ..

طريف : وقد يكون ..

بنت الخير : السلحفاة خرجت من الماء .. ووقعت على التراب واستلقت على ظهرها .. واعتدلت بعد لأى .. ثم عادت الى الماء ..

طريف : وماذا يعنى هذا ؟

بنت الخير : لا أعرف .. اادركت لماذا لا أستطيع أن أضع رأسى على كتفك وأبكى .. رأسى مشدود الى حراب الأسئلة ..

طريف : أخشى أن يكون هذا شرا لسبأ ..

بنت الخير : أحس بالدمار .. واللغز صعب حله .. ولا أدرى هل يحل اللغز أولا .. أم يحدث الدمار أولا ؟!

(اللوحة السادسة)

عمرو : لست أفهم .. ما تقولينه كأحاديث الجنيات .. أشجار تميل من غير ريح .. وسلحفاة تسقط على ظهرها ..

بنت الخير : وفئران تسير جماعات منتصبات على أرجلها ..

عمرو : وماذا تفهمين من هذا ..

بنت الخير : لست أدرى ..

عمرو : اذا كنت لا تدرين ، وأنت حكيمة هذا الزمان .. فكيف أدرى أنا ..

بنت الخير : عليك أن تعرف ، فكل حبة رمل فى هذه الأرض قيد فى عنقك ..

عمرو : يا زوجتى العزيزة .. أنا خبير فى التعامل مع الدول المجاورة .. فى كيف أسوس رعاياى ، فى معرفة ما أعطيه ، وما أبخل به .. أما السلاحف والأشجار والفئران ، فهى صعبة على فهمى ..

بنت الخير : أحس بالتشاؤم يا عمرو ..

عمرو : لقد أفسدتك المعرفة يا بنت الخير .. وجعلتك تفسدين الحياة علينا ..

(تدخل هند وليلى)

هند : شىء غريب ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ليل : احسست بالرعب ..

هند : كنت أنا من لاحظت ذلك أولا ..

عمرو : ماذا بكما ؟!

ليل : لن تصدق .. أنا نفسى لم أصدق ..

عمرو : سلحفاة تنقلب على ظهرها ؟

ليل : لا ..

عمرو : أشجار تميل بلا ريح ..

هند : لا ..

عمرو : فئران تنتصب على أرجلها ..

ليل : فئران . لكن الأمر أفظع ..

عمرو : تكلما ..

هند : كنت أنا من لاحظت أولا .. فاخذت ليلى لترى معى ..

عمرو : انطقا ..

هند : حدث هذا عند سد مارب .. رأيت ..

ليل : رأينا ..

هند : جرذان حمراء تحفر السد ، وتبحث برجليها .. وتقتلع الصخرة التى لا يقدر على حملها عشرة رجال .. ثم تدفعها بمخالبها ..

بنت الخير : (فى جنون الغيبوبة) لقد وضحت الرؤيا .. اذا ظهر الجرذ الحفار .. تغير الدار عن الدار .. والجار عن الجار .. وعندما تنزل الأقدار ..

عمرو : هدوءا ..

بنت الخير : (مستمرة) والنـــور والظـــلمات .. والأرض والسماء .. ليهلكن الشجر بالماء ..

عمرو : كفى ..

ليل : ان الأمر مخيف ..

عمرو : اصمتوا لحظة ودعونى أفكر ..

بنت الخير : لنصمت فالأمر خطيرا ..

عمرو : أولا هذا الخبر يجب أن يكتم .. ولولا أننى أتوهم أن احداكما ستنحب لى ولدا .. لأطحت برأسيكما ..

ليل : أنا لن أنطق ..

عمرو : لو خيل الى ان احداكما نطقت بكلمة ، لن أكتفى بقتلها .. بل سأقتل أهلها خشية أن تكون قد همست لهم بكلمة ..

بنت الخير : لكن على النـــــاس أن يعرفوا .. الســـيل سيغرقهم ..

عمرو : على العكس .. لو عرفوا لدبت الفوضى .. دعونى أعالج الأمر بحكمة .. وأحاول انقاذ سبأ .. فاذا لم أستطع سأحاول انقـــاذ شعب سبأ .. أى تقل فى عنقى ..

(اللوحة السابعة)

بنت الخير : أيهـــا الملك .. هل من الممكن أن أفهم ماذا يحدث ؟

عمرو : أنا مشغول الآن .. وأنت بالذات تعرفين أنه على الكثير لأفعله .

بنت الخير : منعنى الحرس من الخروج ..

عمرو : هذا لأمن سبأ ..

بنت الخير : أى أمن يصنع بحبس انسان ..

عمرو : لم تعجبينى فى الأيام الأخيرة ..

بنت الخير : ولا فى أى وقت مضى ..

عمرو : تثرثرين كثيرا ..

بنت الخير : ومولاى يريد العمل فى كتمان ..

عمرو : هذا هو الطريق الوحيد لانقاذ سبأ ..

بنت الخير : أى جهد عظيم .. فى كتمان يعمل عمرو بن عامر لانقاذ سبأ .. فى كتمان باع تصوره وأرضه .. وكنز المال .. وأرسله بعيدا عن أرض سبأ .. ثم باع أثاثه وثيابه وأرسل المال الى حيث الأمن .. وباع وطنه ..

عمرو : هذا وطن سيغرق ..

بنت الخير : حتى لو كان سيغرق .. الوطن لا يباع ..

عمرو : ثرثرتك هذه هى التى جعلتنى آمرهم بمنع خروجك .. أنت لا تفهمين ما يجب أن يفعل ..

بنت الخير : ما يجب أن يفعل أيها الملك هو كتمان الخبر عن الناس .. حتى يغرقوا وما يملكون ؟

عمرو : لو أننى أعلنت الخبر .. لما استطعت بيع ما أملك . من سيشترى ما سيغرق ..

بنت الخير : اذن خدعتهم ..

عمرو : خداعهم أم خرابى ؟ ..

بنت الخير : حياتهم أم مالك ؟ ..

عمرو : سأخبرهم فى الوقت المناسب ..

بنت الخير : ومتى هذا الوقت المناسب ؟

عمرو : قبيل السيل ..

بنت الخير : وهل أسر لك السيل متى يأتى ..

عمرو : لا تسخرى منى ..

بنت الخير : وهل أملك القدرة على السخرية .. أنا أشاهد الكارثة وأندب .. كما لو كنت أطل عليها من عالم آخر .. قل للناس أيها الملك ما يحدث ..

عمرو : سيندفعون حتى يقتل بعضهم البعض ..

بنت الخير : وقررت أن تنقذهم بالغرق ..

عمرو : هذه أمورى ..

بنت الخير : لا يا عمرو ، أنا أعرف ما يحدث ، ولذلك أنا شريكة لك فى الأمر ..

عمرو : لن أسمح لأحد بأن يفســـد على ما دبرت ، حتى ولا أنت ..

(اللوحة الثامنة)

طريف : تأخرت كثيرا ..

بنت الخير : لكل شيء ميعاد ..

طريف : لو سارت الأمور كما كان يجب أن تسير لسجنا معا منذ وقت طويل ..

بنت الخير : أحزين لأننى تأخرت ! ..

طريف : بل حزين لأنك جئت .. هل لى أن أسأل ..

بنت الخير : سبأ ستغرق ..

طريف : ماذا ؟

بنت الخير : سد مارب خربته الجرذان ..

طريف : مستحيل ..

بنت الخير : نصف حياتنا نضعه فى تكذيب ما لا نصــدق حدوثه .. فى هذه المرة سنخسر حياتنا كلها ..

طريف : وكيف عرفت ؟

بنت الخير : لكل شيء شواهد ..

طريف : وماذا فعل عمرو ؟

بنت الخير : باع كل ما يملك ..

طريف : وكتم الخبر ؟!

بنت الخير : وكيف عرفت ؟

طريف : يا ابنة العم ، بعض الناس يتشابهون ..

بنت الخير : فى زمن مضى لم تكن تنادينى يا ابنة العم ..

طريف : تقصدين .. ذلك عهد مضى ..

بنت الخير : أمضى حقا ؟

طريف : منذ أن اخترت عمرا ؟ ..

بنت الخير : أتحاسبنى على الاختيار ..

طريف : ومن أحاسب !!

بنت الخير : ألا تكفى آلامى ..

طريف : حتى بقلب جريح لاختيارك .. لا أريد ايلامك ..

بنت الخير : أصدقك ..

طريف : على أى حال ، اذا كان قد بخل علينا بأن نعيش معا ، فها نحن نموت معا .. وفى رأيى .. ولا تقولى عنى مجنون .. كما تقولين .. انه شيء يعزى ..

بنت الخير : أنموت حقا هنا ؟!

طريف : وهذا شيء جميل .. فللانسان متعتان .. احداهما أن يعيش كما يحب .. ونادرا ما يحقق هذا .. وأن يموت كما يريد .. وها أنا أحقق الثانية .. وأكاد أرقص فرحا لولا القيود ، ولولا أن فى القلب غصة .. فأصحابى فى سفوح الجبال ، وسيكونون أول من يغرقهم السيل .. وهكذا يفسد على كل شيء ، حتى الميتة التى تمنيتها ..

بنت الخير : لكن يجب أن ينجوا .. من الممكن أن تموت أو أن أموت .. لكن لم يحدث .. ولا يجب أن يحدث : أن يموت شعب بأكمله ..

طريف : وكيف ؟

بنت الخير : اذا صعدوا الى أعالى الجبال ..

طريف : انهم يجهلون ما سيحدث ..

بنت الخير : على أحد أن يخبرهم ..

طريف : من ؟

بنت الخير : أنت .. فالناس لا يصدقون الا من يثقــون به ..

طريف : وكيف وأنا فى القيد ..

بنت الخير : أفك قيدك ..

طريف : لكنك أيضا فى القيد ..

بنت الخير : لا شيء يقف أمام الموت .. ان القيد لغز كأى لغز آخر نستطيع .. أن نحله هكذا **(تفك قيدها)** وقيدك مختلف بعض الشيء .. لكنه ليس صعبا .. من الممكن أن نفكه هكذا **(تحل القيد)**

طريف : هذا غريب ..

بنت الخير : أتراه أغرب مما يحدث ..

طريف : هيا بنا ..

بنت الخير : اذهب أنت ، وسألحق بك ..

طريف : لن آمن عليك فى هذا المكان ..

بنت الخير : وأنا من رأيت .. لا أظنك تكون منصفا لو قلقت على .. الآن اذهب .. واشرح للناس ما يحـــدث .. وعليهم أن يفعلوا ما يجب أن يفعلوه ..

طريف : اطمئنى ..

بنت الخير : طريف .. لم تجب على سؤالى : لماذا لم تتغير كالآخرين ؟

طريف : أتظنين أننى أعرف ..

بنت الخير : تستطيع أن تحاول ..

طريف : ربما لأننى أحب ..

(ويخرج)

الشبح : وأنت ؟

بنت الخير : لى دور آخر ..

الشبح : ظننت أنكما فى طريق واحد ..

بنت الخير : بالتأكيد ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشبح : فلم لم تذهبي معه ؟ .

بنت الحر : سيخبر بعضهم .. واخبر بعضهم ..

الشبح : أتخفين عني شيئا ..

بنت الحر : وهل استطيع ؟

الشبح : لا .. ولأنك تعرفين انني ارى داخلك غير ما تقولين ..

بنت الحر : ربما رأيت ما لا أدركه ..

الشبح : يابنيتي لقد تعبت من المعرفة ..

بنت الحر : الى انكسار القلب ..

الشبح : أستطيع أن ارفع العلم عنك ..

بنت الحر : لا .. الا هذا ..

الشبح : ما جدوى أن تعاني هذا في مدينة غارقة ..

بنت الحر : أتملك لي كفنا أجمل ..

الشبح : كنت أعرف أنك ستبقين في سبأ حتى تغرق ..

بنت الحر : سابقى فيها حتى يخرج الجميع .. واخرج بعدهم.. فانا أول من غرقت .. ومن هنا ثقل الحمل ..

الشبح : تعرفين أن فرصتك صغيرة ..

بنت الحر : ليس أمامي سوى طريق واحد ..

الشبح : الا تفكرين في الحب ؟ ..

بنت الحر : ساموت وانا افكر فيه ..

الشبح : الا تريدين اللحاق بطريف ؟ ..

بنت الحر : اخشى أن يتغير ..

الشبح : أتتوهمين أنه سيتغير ؟ ..

بنت الحر : الظن يقتلني ..

الشبح : أتقتلين نفسك ؟

بنت الحر : لا .. لكنني اختار بين الموت والموت ..

الشبح : مازالت يدي ممدودة ..

بنت الحر : تأخر الوقت ..

الشبح : وداعا ..

بنت الحر : وداعا أيها السيد .. وداعا سبأ .. وداعا لحياة كشفتها متأخرة شوهاء .. ورغم ذلك كانت جميلة .. جميلة جدا .. فيها على الأقل انسان واحد لم يتغير ..

القاهرة : محفوظ عبد الرحمن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

تقدم

من الأدب العالمي :

- مائة عام من العزلة (رواية) — جابرييل جارسيا ماركيز، ت . د : سليمان العطار
- هنري أزموند (رواية) — وليم ثاكري، ت . عبد الحميد سليم
- الفردوس المفقود (رواية) — جون ميلتون، ت . محمد عناني
- كاليجولا (مسرحية) — ألبيركامي، ت رمسيس يونان
- أساطير أغريقية — د عبد المعطي شعراوي

تطلب فور صدورها من الباعة ومكتبات الهيئة وفروعها بالقاهرة والمحافظات

متابعات

القسوة الواقعية في: قصص يوسف القعيد

عرض شاكر عبدالحميد سليمان

ليوسف القعيد ثلاث مجموعات قصصية هى « طرح البحر » ١٩٧٦ « وتجفيف الدموع » ١٩٨١ ثم « حكايات الزمن الجريح » ١٩٨٢ ، وكلها محاولات للنفاذ الى أعماق الواقع المصرى ، وتصوير احساساته ونبضاته ، ورصد المتغيرات المؤثرة والمتأثرة فيه .

فى المجموعة الأولى كانت اللغة شديدة التوتر ، كثيفة وشاعرية .

فى المجموعة الثانية ازداد توتر اللغة ، لكن شاعريتها صارت اقل .

وفى المجموعة الثالثة خبت الشاعرية الى حد كبير ، وصارت اللغة أكثر مباشرة وصراحة ، وان ظلت على توترها وعنفها .

وتنتشر خلال قصص المجموعات الثلاث مشاعر الاحباط ، والتسلل ، والانكسار ، وضياع الآمال والحقوق ، واليأس ، والاختناق المادى والمعنوى ، والمرض النفسى والجسمى ، وعدم الفهم من الذات لما يحدث حولها ، أو بداخلها أو من الآخرين. وكل ذلك يفرض ظلاله الكثيفة على مشاعر الشخصيات ، وعلى العلاقات الانسانية بين البشر ، فتتصف العلاقات بالبرود الانفعالى ، وتصطبغ بالتبلد الوجدانى والجمود العاطفى .

ومن ثم تسقط هذه الشخصيات فى وهدة التناقض والصراع ، وعدم القدرة على الحسم ، أو المواصلة أو التواصل .

ولذلك تتراجع فى عمومها ، وتنسحب ، وتنكفئ على نفسها ، تجتر أحزانها ، وتلعن زمانها . وأمام قسوة الواقع تتزايد المخاوف ، وتتراكم ، وتتفاقم ، وتصل الى مرحلة الهلوسة والهذيان .

« ويتخيل الرجال القلقون وهم نيام على أسرتهم . ان فى حجرات نومهم رجالا غرباء يقولون أيضا رأيهم فى كل شىء ، يقولون لأنفسهم ان الأمور لا يمكن أن تصل الى هذا الحد ، ويستيقظون ، يضيئون الأنوار ، فجأة ، يكتشفون ان حجرات نومهم خالية تماما ، ليس فيها غريب ، يضحكون بمرارة » (٣) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وينعكس هذا الجو الواجم التعس ، القاسى ، الشديد القسوة على الناس ، وعلاقاتهم ، فيتزايد الشعور الحاد بالخواء ، ويضعف الاتصال والتواصل بين البشر ، كل ما هنالك علاقات سريعة ، وعابرة ، ومؤقتة وغير مقيدة ، بالاضافة الى عدم القدرة على التكاتف ، أو التماسك ، من اجل الهدف الذى يجب عليهم النضال من اجله ، ألا وهو كرامتهم التى يتم اهدارها فى كل لحظة .

« قلت لمحدثى ان ما يحزننى هو اننى وحيد ، حاول أن يتكلم موضحا الأمر رفعت يدى مقاطعا اياه ، وقلت له ان هناك شيئا ما مثل ضربة الشمس ، يواجهنى أينما اتجهت ، قلت لمحدثى اننى فى كل مساء ، بعد التطواف اليومى فى شوارع مدينتى أعود ، وفى حجرتى الصغيرة أحسب كل الأمور بدقة ، أجمع وأطرح وأقسم واضرب أربط المسببات مستخلصا النتائج ، أقنن كل ظاهر الواقع ، وفى الصباح افاجأ بشىء جديد عفوى وغريب غير محسوب ، فيهدم كل حساباتى الليلية » (٤) .

هذا الشعور الحاد بالاحباط ، والفشل ، والمداهمة ، يسيطر على الشخصيات ، فيجعلها تتمركز حول ذاتها ، وترفض حتى سماع وجهة النظر الأخرى ، ربما لاعتقادها بانها لن تتضمن جديدا ، كما انها لن تساعدها فى الخروج

عن ورطتها ، ويمتد هذا الشعور الحاد بتقطع العلاقات وتمزق الأواصر ، حتى عندما تحاول هذه الشخصية العودة من المدينة القاسية سعيا وراء بعض الدفء في القرية .

كانت الحال قد ضاقت الى أبعد الحدود ، وأحسست أرض جديدة ، ومدينة أخرى ، وبلاد أخرى ، ولكنه مهما فعل فهذه البلاد ستلاحقه من الآن والى الأبد . ما من سبيل امامه سوى الاستمرار هنا . مهما كانت الخسائر فادحة » .

كما أن «رباب» في مجموعة «حكايات الزمن الجريح» . «تكسر أقلامها وتسكب الوانها ، وتمزق أوراقها ، عندما لا تجد الفرصة متاحة لممارسة هوايتها في الرسم الصادق ، والتصوير الحقيقي . عندما تجبر على الكذب والتزييف والمراهنة والتشويه ، ولكنها ترفض محاولات اجبارها على هذا ، وتفضل الامتناع عن الرسم الى حين ، وتظل تنتظر اللحظة التى يمكنها أن تعمل فيها بصدق واخلاص ومن خلال واقع حقيقي ، متناسق ، غير مشوه ، ومن خلال مشاعر حقيقية غير مزيفه» (١١) .

وهكذا يقدم لنا يوسف القعيد الواقع القاسى العنيف وصورة ينتشر فيها الخلل والارتباك ، واللامعقولية واللامنطقية فى جميع جنباته ، الناس يتحركون فيه كما لو كانوا واقعين تحت تاثير التنويم المغناطيسى ، او المخدرات ، او الصدمات الكهربائية او البلادة ، أو سحب الارادة لا يدرون الى أين يسيرون أو ماذا سيفعلون اليوم او غدا ، واقع تسود فيه حالات العقم والبكم والاعتقاد فى الأوهام والخرافات وفقدان القدرة على الفعل وعجز عن ممارسة الحياة ومعاناه لعذابات الحياة والموت . ومواجهته للعدم والضياع صراحة او ضمنا وتحولات جذرية وساليه للوظائف والأهداف كل ذلك يتم فى أغلب الأحيان فى اطار الريف المصرى الغارق فى الفقر والمرض والتعاسة والجهل ، ومشاعر الوحدة والسأم ، والشعور باللاجدوى ، وسواء كنا نتعامل مع شخصيات ريفية فى الريف ، أو شخصيات ريفية فى المدينة ، فان يوسف القعيد قد استطاع فى اغلب الأحيان أن يقدم لنا رؤيته الواضحة ، لما يحدث بطريقة حادة ودؤوبة ونافذة الى اعماق الريف المصرى ، والانسان المصرى والواقع المصرى من خلال رصد حركاته ، وسكناته ، ومن خلال المعرفة الجيدة بالقوانين المحركة والمتحكمة ، والمهيمنة على واقع الناس وحياتهم وتفاعلاتهم ومشاعرهم .

القاهرة : شاكر عبد الحميد سليمان

محاولات فى القصة القصيرة : النبش فى الذاكرة

عرض السيد الرهبان

الأمل الميت .. يستحيل على الذاكرة ـ أحيانا ـ ان تتخلى عنه .. تتشبث به كواقع رغم أنه سراب .. وتبث فيه من ريح الذكرى ليحيا كما كان من خلال وهم .. وتترقبه فى انتظار لا ينتهى .. الحياة .. رغم ما فيها من صراع .. لتكن بلا شائبة .. او لا تكون .. حتى ولو تحتم ضياع فرد فى سبيل بقاء الكل .. الذاكرة .. قد يغيب عنها ـ احيانا ـ بعض الأحداث رغم أنها حديثة الوقوع .. الانسان الضائع فى الحياة .. قد يستحيل الى جثة مرمية لا تجد من يسال عنها .. فى زمن الصراعات قد يمتزج الوهم بالحقيقة .. وقد تختفى الخطيئة تحت ثياب الطهر .. وتتستر بالبراءة .

هذه هى الحياة .. كما تتراءى من خلال شخوص قصص ـ أحمد حميده ـ التى قدمها فى مجموعته الأولى ـ النبش فى الذاكرة ـ معتمدا على عوالمها الذاتية .. فبدت فى نسج خاص رغم ارتباطها بما حولها .. وتاثيرها عليه .

من ثم يمكن القول ان تجربتها ـ الذاتية ـ تعدت عالمها المحدود .. وانعكس التاثر بين الشخصية ـ كذات ـ وبين خارجها ـ كعلاقات ـ بصورة بدت فى تلاحم متين .. بحيث يستحيل الانفصال بين أى منهما .. او الاهتمام بأحدهما دون الآخر .

ذلك اذا استخلص من عوالم الشخوص ما يمكن أن يوصف بالتجربة .. ولو حدث ذلك يكون ـ الوصف ـ تجاوزا .. لأن ليس ثمة تجربة حقيقية ملموسة .. فى حياة هؤلاء الشخوص .. من الممكن استنباطها .. وتناولها بالبحث او الدراسة .. بل هم فى مجموعهم ليسوا سوى حالات انسانية .. تواجدت وتتواجد داخل المجتمع الذى تعيش فيه .

الأم التى فقدت ابنها فى الحرب .. رغم غيابه الأبدى تصر على انتظاره كما تعودت .. وعندما لا يجيء تذهب لتتعجل لقياه على محطة القطار .. وعلى الرصيف تنزل صرتها

ان كل شيء قد غدا في ثقل الرصاص ، الارض والشوارع والبيوت ، والناس وهواء آخر الليل ، وفي فراشي الصغير كنت أدرك انني أموت » (٥) ٠

ونتيجة للادراك بأن الهم مشترك ، وأن الكل عاجز عن فعل شيء للآخر ، يسود الصمت ، وتعبث الأصابع بالأشياء الجامدة ٠

كان والدي يدخن كثيرا ، قال لي أخبار زراعتنا ، قلت له اخبار وظيفتي في المدينة ، وبعد الكلام ساد الصمت بيننا ، وانسحبت همومنا الى داخلنا ، رحنا ننكمش في داخل جهودنا الصفراء ، ان الوجوه تنظر في الأرض ، والاصابع تدور ببطء بين عيدان الحصيرة » (٦) ٠

ومع تزايد شعور الشخصيات بالوحدة والملل والسأم ، وسخف الحياة ، تفقد الأشياء طعمها ، تتحول الى النقيض ٠

اكتشف أنه لم يعد من عالمهم ، وقامت الكلمات بدورها لا في التقريب بينهم ، ولا الى ايصالهم ببعضهم ، ولكنها أبعدتهم وشتتهم ٠ كانوا يتكلمون لغة ٠٠ وكان هو يتكلم لغة اخرى (٧) ٠

وفي قصص كثيرة من مجموعتي « تجفيف الدموع » « وحكايات الزمن الجريح » تتحول اللغة الى وسيلة للابعاد والتشتيت ، وسيلة لتمزيق العلاقات ، وليس لتقويتها ، وسيلة لتأكيد الانعزال والعزلة ، وليس لاثبات الاتصال والتواصل ، وسيلة للفراق لا للتلاقي كما ان فقدان اللغة يصير حادا حينما تصل بعض الشخصيات الى حالة البكم المرضية كما في قصتي « المؤتمر الصحفي الأخير للفاتنة مباركة » من مجموعة « خطابات الزمن الجريح » ٠

وفي ضوء ذلك كله وبناء عليه تشعر شخصيات كثيرة بالرغبة في الهرب الداخلي ، أو الهرب الخارجي ، الهرب الداخلي من خلال الياس ومشاعر الاكتئاب ، ومكابدة الألم ، أو من خلال التحالف مع الأعداء الطبيعيين فنجد بعض الشخصيات التي تنحدر وتسقط ، ولا تستطيع منع نفسها من مسايرة الأمور الجارية ، تفقد هذه الشخصيات رغبتها في المقاومة أو المواجهة ، تعمل من أجل من كانوا ومازالوا يستغلونها ، ولذلك فهي تسرق وتظلم اهلها الأقربين ، من أجل أعدائها الغرباء ، تغترف خيرات بلادها ، وتلقيها في أيدي القادمين المكشرين عن أنيابهم ، سعيا وراء امتصاص دماء وخيرات الناس ، وفي هذا المناخ المتناقض يموت البعض عن التخمة ، ويموت البعض الآخر جوعا ، يموت البعض عطشا ، بينما يغرق البعض الآخر نفسه في المياه المقطرة . وهذا بالفعل زمان المفارقات العجيبة وفي موقع آخر من القصص نجد الشخصيات المكافحة الطموحة التي تحاول الخروج من ركام الأحباط والفقر والفشل ، من أجل تحسين واقعها وتغييره ، لكن محاولاتها هذه غالبا ما تكون محاولات فردية ، ولذلك تفاجأ هذه الشخصيات في نهاية الأمر بغلبة وطغيان المعايير والقيم البالية والفاسدة ، فتشعر بالسأم والوحده ، ذلك الذي فرض نفسه على شخصيات يوسف القعيد ابتداء من « طرح البحر » ، حين كان مركزا انتباهه كلية على الواقع الريفي فيذكر :

« ثم سارت الحياة وسط موجة من الأحلام الغامضة ، والأماني المبهجة ، والمشروعات التي لن تتحقق ابدا ، ان كل شيء حتى الأمل يفقد نضارته ، ويأتي مع مرور الأيام والليالي سأم لذيذ ، قريب من اليأس ، ويلتصق بجلود الناس» (٨)٠

ثم بعد ذلك بعدة سنوات ، وفي مجموعة تجفيف الدموع » تتكرر نفس النغمة المعبرة عن نفس الاحساس ، وبنفس الكلمات تقريبا لدى نوع آخر من الشخصيات ، شخصية الشاب الفقير الذي استطاع بكفاحه الحصول على درجة الدكتوراه ، لكنه يفشل في الزواج من ابنة المدير الذي امتهن كرامته ساخرا من فقره ، هذه الشخصية التي تضطرم فيها الصراعات بين قيم الريف وقيم المدينة ، قيم الجهل وقيم التعليم والعلم ، قيم الماض وقيم الحاضر ، قيم الفرد وقيم الجماعة ، مع التغليب الواضح للوعي الفردي الى حد ما هذه الشخصية تقول لنفسها عقب فشل محاولتها :

« ستمضي الحياة دونما أي هدف او غاية وسيزول كل مافي العمر ٠ حتى الاحساس بالألم نفسه يفقد معناه ، خلال سوقية الحياة وتفاهتها ، وتؤجل الآمال كلها للغد ٠ وعليه من الآن أن يتقدم في الحياة اليومية خلال موجه بشرية من الأحلام الغامضة ، والأماني المبهمة والأحلام التي لن تتحقق أبدا ، ان الأمل يفقد نضارته ، والسأم يتسلل الى ما تحت الجلد ٠ وكل ما حوله ثقيل ، ثقيل (٩) ٠

لكن ورغم مشاعر الأحباط والملل والياس ، ورغم الصراع العنيف بين رغبات هذه الشخصية ، وميولها نحو الهروب الى بلاد غريبة شرقا أو غربا ، ورغم الصدمات والكدمات والمعاناة التي تكابدها ليلا ونهارا ، وفي كل لحظة من لحظات حياتها ، وفي كل موقف ، رغم ذلك لا تتخل هذه الشخصية عن التصاقها بوطنها ، وارتباطها بترابه ٠ قد يكون هذا كامنا وغير معبر عنه صراحة ، قد يكون تلميحا اكثر منه تصريحا ، قد يكون خاويا اكثر منه متوهجا ومشعا ، لكنه على أية حال موجود لا تخطئه العين ، ولا يسقطه العقل ٠

« كان لا يشعر بشيء ، حسد حتى الذين يشعرون بالجوع والخوف والرعب شعر برغبة في الذهاب الى الحمام

وحقيبة يدها القديمة ·· تضم ثوبها المهترىء حول سيقانها العجفاء ·· تتطلع فيما حولها ·· تنظر الى القضبان البعيدة لعله يجيء · ـ لكن القطار يأتي ويلفظ من يحملهم من الجنود ·· وتتابعهم وهم يمرون بجانبها بسرعة ـ كانت تدرك تماما انه ليس فيهم ·· نبضات القلب المتلهف خوفا تنبئها بذلك ·· يجيئون ·· يسحقون آخر ما تبقى من رائحته في ذاكرتها المتعبة ـ لكنها لا تتوقف عن البحث عنه بينهم ·· لقد كانت ـ ترى فيه صلابة الوالد والجد والأنفة والشموخ ـ لذلك يستحيل عليها ان تفقده مثلما فقدت والده وهي مازالت عروسا ·· عندما انفجرت قنبلة أثناء الحرب ومزقته اشلاء هو ومن كانوا معه ·· وتمضي في بحثها حتى تراهم ينتهون من امام عينيها ·· فتسأل عنه ·· وتتشبث بستراتهم ·· مؤكدة لهم أنه يشبههم ·· تراهم يتخلصون منها ·· تخرج لهم صورته ـ لكنهم يمرون ·· تتآكل في اصواتهم كلماتها ـ حتى ذهبوا عنها ·· فتصعد الى القطار الواقف وتفتش عن ابنها بين الجنود الموجودين بها ·· تعرض امومتها على كل منهم ·· لكنهم يخذلونها عدا واحد منهم تلتقيه في النهاية فيوهمها انه رآه وانه سوف يعود ·· فتتشبث بذلك الأمل وتظل تنتظر ·· الى أن ترى بعض الرجال ينزعون لافتة الشارع القديمة ·· ويضعون مكانها لافتة جديدة تحمل اسم ابنها الشهيد ·· فتحدق فيها ـ (قصة : وانه سوف يعود) ·

« الريس سعد » الذى يذهب مع مجموعة من الصيادين في رحلة صيد رغم انه يعرف ما ينتظره ·· ثمة من سيحاولون ابعادهم عن منطقة الصيد التى ينتشلون رزقهم ورزق عائلاتهم منها ·· ويطردونهم منها ·· لم يأبه بنصح زوجته له بتأجيل ذهابه ـ كلمات الزوج تجاويف الرأس الراكدة بعيدا عن الذاكرة التى كانت اغلب رواسبها ·· تموج وتطفو ·· وتبدو ما فيها للعين فوق الحائط ·· سباق تحدى ·· رزق · موج · مد · جزر · مدى خوض البحر مع صيادين أكثرهم تفاهة يكن للريس سعد كراهية لعدم قبوله اياه للعمل معهم · وأغلبهم تعقلا يكن له أمنية الموت والاستيلاء على منطقة الرزق الوافر ـ التى يستغلها ·· وأثناء قيامه هو ومن معه بالصيد يستشعر الخطر ·· ثم يتواجه مع من جاءوا لارغامهم على ترك مكانهم ·· ويرفض العودة دون صيد حتى ولو اضطروا الى منازلة هؤلاء الذين ارادوا محاربتهم في رزقهم ·· فيفاجأ بانهم اختطفوا زوجته وابدوها له ـ مكبلة الحلق واليدين ـ بتحد ·· ولشدة المفاجأة ـ زاغت أبصار الرفاق ·· شدهت الحلوق والصدور وصدرت عنهم عبارات الدهشة غير الواعية ·· ولفهم صمت أشبه بصمت التسليم ـ الذى لا يرون منه مخرجا ·· وبدأت المساومة ·· الزوجة مقابل العودة ·· يدور صراع داخل « الريس سعد » بين الرضوخ وبين المواجهة ·· لكنه يفضل الدفاع عن مصدر رزقه ورزق من معه رغم توقعه الهزيمة ·· لكن الزوجة ـ تتقدم من قمة المركب ـ وتلقي بنفسها في البحر ·· (قصة : قربان للبطون والريح) ·

الانسان الفارق وسط همومه التى تنسيه كل مايحدث منه ·· وتدفعه الى تصرفات غير مقصودة منه ·· لكنه يذكر « سجائره » التى تركها مع صديقه ·· فيطلب منه البحث عنها في مكان آخر ·· واهما اياه أنه لا يتذكر اى شيء عنها ويطلب منه أن يتركه ليعاود نومه ويذهب ـ ربما سرقها أحدهم ـ وهو لا ذنب له ·· فيتركه ويمشي في الشارع دونما وجهة معينة يقصدها ·· تلفت نظره بالوعات الشارع فيحصيها ·· ثم يحاول أن يبحث عن شيء لا يعرفه ويدعى أنه يعرف مكانه الذى تركه فيه ·· ويطلب منه رجل يلتقيه أن يتذكر الشيء والمكان ·· فيمضي مسرعا ويحاول أن يتذكر ·· منذ زمن بعيد · بعيد ·· أبحث عن مسكن ·· أذكر ذلك جيدا ·· افتش في محتويات راسي ·· ابحث عن بديل لزوجتي الحالية · نعم · كما أذكر بحثي عن تموين الشهر من السجائر التى اكلها صديقي المخبر ·· أسير في متعرجات رأسي ·· أضغط على الأشياء الراكدة لعلها تصحو ·· اذكر أفعال البك المدير ورئيس الموظفين ومواضع الفول ومكان الشاي ·· وأعمدة الجريدة ·· والكلام الفارغ ـ لكنه ينتبه الى بحثه عن « عجلته » في مكان لم يسبق له الذهاب اليه ·· وعندما يعثر عليها يلتقي بصديقه (المخبر) هو ومجموعة معه ·· يدعوه الى قضاء السهرة معه واحتساء زجاجة خمر جلبها معه ·· وبعد أن يسكر تتراءى له زجاجة الخمر كأنها « خرطوشة السجائر التى سرقها منه ·· يحاول ان ياخذها منه دون جدوى ·· فيستقل معه وهما مازالا في غيبوبة السكر « عجلته البخارية » ويذهب الى عمله متأخرا ·· فيخصم له المدير يومه · (قصة : النبش في الذاكرة) ·

العامل الذى يتورط في حمل جثة ميت عثر عليه هو وزميلان له بعد خروجهما من العمل ·· لقد أبى أن يتركوا الميت دون دفنه ·· لكن جثته أنهكت قواهما ثم تركاها له ·· اشمئز الناس منها وطلبوا منه الابتعاد بها ·· ثم ظنه شرطي الداورية يبيع شيئا فأمره بالابتعاد ـ احمل ما تبيع والا خالفناك على ذلك ـ وحتى لا يتورط في مخالفة اشغال طريق ـ حاول أن يجره ·· ثقيلا ·· انخلعت الأكمام ·· وارتفع القميص حتى العنق بدا سطح جوفه المكور ·· استدار وبدأ يسحبه من قدميه ـ ثم ارتكن به بجوار حائط ·· ظنه شرطي آخر لص ·· وعندما اكتشف أنه يحمل جثة يطلب منه الهرب بها بشرط ـ لو قابلك حكمدار الدورية بحملك هذا فقل له انني اعترضتك وقمت نحوك باتخاذ اللازم ·· ثم قمت انت

بالهرب منى بغرض دفن والدك .. أفاهم انت ؟ ـ وذلك حتى لا يفطر للذهاب معه الى القسم بينما يحتاج الى اراحة بدنه .. فيحمل الجثة ويذهب عنه .. يلتقى برجل يساومه على بيعه .. فيقبل اذا ماوعده بأن يقوم بدفنه .. والا فسوف يظل حتى يعثر على أهل له .. وتدفعه رغبته فى الهروب الى ترك الجثة للرجل .. لكن الرجل يعدل عن فكرته ويحاول أن يعيدها اليه .. لا يستطيع اللحاق به .. فيضطر لحمل الجثة ويمضى ـ يسأل الهاربين من وجهه المجهد القرفان عمن يعرف صاحبا لهذه الجثة ـ (قصة : الميتة والعنق واكتاف الراحلين) .

المطارد الذى يبحث عن مأوى يحميه ممن يسعون خلفه .. يريدون الافتاك به .. فقد قتل القمر الذى ينير دنياهم المظلمة .. لقد صور له وهمه عندما رأى القمر فى حالة خسوف .. أنه هو الذى خنق ضوءه .. وان الذين فى الخارج يصيحون ـ الله أكبر .. الله أكبر يابنات الحور .. سيبوا القمر يدور ـ يلاحقونه هو .. بينما هو فى داخله حزين على القمر الذى يفضح بضوئه اللصوص .. وعندما وجد الغشاوة على وجهه ولم تستجب لدق الدفوف وصياح البنات وتذهب .. غرس فى جانبه الأيمن مديته التى اهداها له أبوه .. فتساقط .. وعندما ضاقت عليه حلقة المطاردة اطمأن بعض الشىء الى امكانية الهرب .. وترك المكان الذى احتمى به .. لكنه قضى عليه . (قصة الليل والأصوات) .

« عبد المتعال أفندى » الرجل المتدين الذى يفاجأ بوجود زجاجة خمر فوق رف دولابه الخاص به وبزوجته .. لم يدر ـ كيف وصلت هذه الزجاجة الى رف الدولاب ـ فهو يؤدى فروض ربه ولا يقرب المنكر .. وزوجته أيضا ليست أقل منه تدينا وتمسكا بدينها ـ لكن ليس معقولا أن يكون للزجاجة اجنحة تبلغ بها محط الشرفاء ومكامن الكارهين لها ـ من ثم انطلق الشك يغزو نفسه .. وحاول الوصول الى سر وصول زجاجة المنكر الى ـ رف الدولاب العلوى المتروك للمتروكات ـ ولو سأل زوجته عنها ـ ستكون الاجابة .. يعلم الله .. انى لا أقرب المنكر .. وربما ألقت بها من النافذة ـ لتؤكد كرهها لها .. رغم ذلك لم يبرئها من الشك فى سلوكها وفكر فى عقابها ـ أيدوس عنقها ويدسها فى التراب لتكون للناس عبرة .. ولكن .. استغفر الله .. كانت تنتظر بالفوطة حتى انتهى من اغتسالى . يصلنى همسها الرقيق . لابد انى أخطأت الزجاجة .. لا اصدق انها كذلك . انى آثم . ولكن هذه زجاجة خمر ؟ ـ وعليه أن يعرف من أتى بها .. انه يعمل أحيانا بالليل .. ويتركها وحدها فلم يكن لهما نصيب فى الأطفال .. بعد تفكير ومعاناة اتجهت ظنونه الى احد من يعملون معه .. تأكد من عدم وجوده فى مكان العمل .. فاندفع الى البيت بعد منتصف الليل .. وفى شقته تأكد من الواقعة . (قصة : المشدوه) .

هذه الحالات الانسانية كما قدمها ـ أحمد حميده ـ من خلال قصصه القصيرة .. قد تكون ـ لا شك ـ غير غريبة على المجتمع البسيط الذى يزخر بالكثير من أمثالها .. لكنه أبداها بتجسيد كشف عن جزئياتها وابعادها .. فخرج بها عن كونها حالة من الحالات التى تجذب تعاطف الانسان معها .. الى نموذج صارخ لما يلحق بالنفس البشرية حال ابتلائها بخطب ما .

فالأم التى فقدت ابنها قد يكون تشبثها بأمل ميت ينهى انتظارها له .. من الأمور العادية .. لكن مدى تلمس ذلك الأمل فى حالة استحالته سبب لها حالة من فقدان الوعى كان وقعها على الغير ـ رغم حقيقتها ـ بلا أثر .. ودونما اهتمام يصل ـ أحيانا ـ الى حد فهم عكس ما ترمى اليه ..

ـ ولدى محمود .

التفت اليها الشاب .. نفث دخانه فى صمت .. مدت يديها وسحبته :

ـ لا تقل انت أيضا انك لست ولدى .. تعال انهض . خلص نفسه منها .. سعل .. قالت :

ـ لدى طعام كثير بالبيت .. فراشى نظيف .. الحجرات البراح تدعوك .

ـ أعوذ بالله .. ماذا تقولين يا امرأة .. لا أريد خبلا أكثر مما أملك .. اذهبى ودعينى فى حالى .

لقد استحال الشوق والعطف والحنان الى دعوة لقضاء متعة .. وشتان بين لهفة المرأة .. وظن الشاب الذى يريد الافراد بنفسه لمواجهة همومه .. كل منهما يفكر فيما يخصه .. كما بدا من خلال تلك المواجهة التى أبرزها الكاتب بتلقائية ودونما اصطناع .. تلك التلقائية التى سادت مواجهة شخوصه ببعضها فى القصص ككل .. فأكدت صدق الواقع النابتة منه .. حتى تلك التى كانت دونما وعى ـ أخرجت مدينتى . أهدانيها أبى . أغرسها فى جانب القمر الأيمن . كان يطل القمر مخنوقا باهتا . يتساقط .. أجرى تحته . أجرى . يلاحقنى القمر المخنوق . تلاحقنى معه الأقدام ـ لم تبد كالمرسومة المبالغ فيها .. فظلت مشدودة الى الواقع .

من ثم يتأكد التزام ـ أحمد حميده ـ بالنهج الواقعى الذى يتلاءم مع شخوصه .. وواضح ذلك فى كل قصصه ـ حوارا وأسلوبا ـ التى يعتمد فيها على رصد حالات

انسانية ٠٠ يحملها ما يريد القاء الضوء عليه من هموم ومعاناة المجتمع البسيط ٠٠ من خلال مضمون مألوف ٠٠ نسج من فكرته ـ البسيطة ـ تطورات الحدث بتتابع مستمر ٠٠ باديا تفصيلاته بلا ملل ٠٠ رغم سعيه وراء بريق الأشكال التكنيكية باستخدامه عناوين لمواقف القصص ليس ثمة داع لها ٠٠ لأن القصة كبناء متكامل ٠٠ لم تخرج عن مضمونها الأساسى القائمة عليه ٠٠ والتلاعب بالشكل فى وضع عناوين ـ داخلية ـ قد يبديها كأجزاء ٠٠ ويمكن للجزء ـ فى هذه الحالة ـ أن يكون كعمل متكامل كما يبدو من (القربان) فى قصة ـ قربان للبطون والريح ـ اذ يمكن ـ فى حالة فصله عن القصة ـ اعتباره قصة قائمة بذاتها تقدم كعمل منفصل ٠

وبعيدا عن الرمزية واسقاطاتها التى تعدد تفسيرات العمل ٠٠ تظل قصص ـ أحمد حميده ـ فى مجموعته ـ النبش فى الذاكرة ـ لأنها فى مفرداتها لا تخرج عن كونها عملا فنيا ٠٠ يعكس الواقع بشموله ٠

السيد الهيبان

داخل الكابينة
قصص قصيرة : محمد الجمل
نقد : الدكتور السعيد الورقي

« داخل الكابينة » هى المجموعة القصصية الثالثة لمحمد الجمل بعد مجموعتيه السابقتين قبل « رحيل القطار » سنة ١٩٧٩ « أو هناك خطأ ما » سنة ١٩٨٠ ٠

وتضم المجموعة ثلاث عشرة قصة قصيرة ، تعتبر امتدادا الى حد كبير لعالم محمد الجمل القصصى الذى قدمه من قبل ، وان تميزت هذه القصص بوضوح اكثر للتجربة البشرية التى يتحرك الجمل فى اطارها ، وهو وضوح يقترب من بلورة الموقف ، لتحديد مفهوم عام يمثل وجهة نظر الفنان عند الانسان والواقع ٠

تقدم مجموعة « داخل الكابينة » بطلا يمارس الحياة بحيوية تسعى الى استيعاب كل ما فيها من تفاصيل دقيقة متأنية ، هى فى الواقع انعكاس لاحساس بالامتلاء يعيشه البطل ٠ والامتلاء هنا ثراء انسانى يعيشه البطل فى علاقاته بالآخرين ، وينعكس بالتالى على علاقاته بكل شىء من حوله ، وحتى على علاقاته بنفسه ٠

على هذا النحو نرى عالم محمد الجمل ـ كما رأيناه من قبل فى أعماله السابقة ـ عالما عامرا باللمسات الانسانية الدافئة من خلال حس اللحظات الحية ٠

ان ما يهم البطل فى هذا العالم هو البحث عن مسببات كامنة للحياة ، عن دفعات للحياة ، يرى بها ومن خلالها كل شىء يفيض بالعناء اللامحدود ٠

ان « المسألة المهمة » فى حياة الانسان عند محمد الجمل ، ليست ابدا فى تلك الوسائل المادية اليومية ، التى ربما رآها البعض منعشات حياتية وأسبابا كافية للقيمة ٠ انما المهم هنا هو الثراء الداخل ، ذلك الثراء الذى نرى من خلاله كل الأشياء ، وقد اكتست نبض الحياة ، وبطلت معه أن تكون مجرد معطيات باردة ٠

ان الجمل يقول من خلال اعماله وعالمه القصصى أنه يمكنك أن تعيش حياتك نبضات متدفقة ، تكون تبريرا معقولا لوجودك ، فقط عليك بالاعتماد على عالم الداخل العامر بجدة المشاعر وطزاجتها ، انما علم الظاهر والظواهر الخارجية المادية موجود شاحب مشوه ٠

هكذا نرى أنفسنا فى عالم محمد الجمل القصصى أمام بطل يتقوت على مشاعر الداخل ، من اجل هذا ، فهو لا يعى من حركة الواقع الا بالقدر الذى يرضى مشاعره وأحاسيسه الخاصة ، أو يكون سببا لجلاء هذه الصورة الخاصة وتوضيحها ٠ فهو بطل يرى الواقع من خلال تشوفه وحدسه ٠

وقد انعكس هذا بالتالى على أسلوب البناء الفنى عند الكاتب ، فاستخدم أسلوب الحديث الذاتى المهموس لأبطاله أساسا فى بناء نسيجه الفنى ، وذلك فى محاولة لطرح رؤيا الداخل من ناحية ، وتقديم مستوى ما قبل الحديث المنطوق وما بعده من ناحية اخرى ، اى أنه بمعنى آخر يحاول أن يقدم بناء فنيا يوضح علاقة شخصية شديدة الاحساس بذاتها ، بمن تدفع الى التعامل معهم ، من خلال تصور هذه الشخصية وتحركها وتعقبها ٠

حقيقة ان الكاتب لم يهمل الواقع الخارجى الذى حاول ان يقدم له تفاصيل كثيرة فى اكثر من قصة ، ولكن هذا الواقع كما نراه فى أعمال محمد الجمل واقع مرصود من اختيار البطل ، الذى يكتفى غالبا بتقديم ما يشـــعر به ، وما يراه المؤلف مناسبا للتحرك فى مجال مناسب .

هكذا تنتمى اعمال هذه المجموعة ـ وغيرها ـ الى قصص الشخصية الذى يركز على بطل يتحرك داخل حس ذاته ، مما لا يسمح له الا بما يراه هو ضروريا وهاما .

قدم محمد الجمل فى مجموعته الثالثة « داخل الكابينة » اذن عالما يسعى معه الانسان الى ان يحيا الحياة بحيوية وامتلاء وبممارسة ساعية الى مزيد من تحقيق دفعات حياة تعطى للوجود معنى وللانسان ..

وقد تحركت هذه المفاهيم عند الجمل من خلال رؤيا فردية لبطل منشغل فى اغلب الوقت بمنطقه الخاص ، ولكن الجمل اسـتطاع بحدس الفنان فى داخله ان يتجاوز حدود الفردية الذاتية ، لاعطاء مفهوم انسانى عام . هكذا تجاوزت التجربة ذاتية البطل لكى تكون تجربة شمول ، توافر فيها روح انسانى عام .

وربما من اجل هـــذا ، وســـعيا الى توفير مزيد من الاحساس بهذا الروح الانسانى الشامل ، حرص محمد الجمل على ان يحرك أبطاله فى زمن واضح ومنطقى ، ايمانا منه بان هذه الشخصية لا تحيا زمنها الخاص فقط ، وانما تحيا فى الواقع زمنا واقعيا جماعيا تتحمل بفعله مسئولية عامة ، هى فى الوقت نفسه مسئولية الانسان المعاصر عن عصره وقيم هذا العصر .

ولا شك ان هذه المجموعة ـ على هـــذا النحو ـ اضافة جديدة الى أعمال الكاتب السابقة ، اضـــافة تؤكد من ناحية نموا فنيا وتمرسا حقيقيا ، كما تؤكد من ناحية اخرى متابعة محمد الجمل ، لتوضـيح وبلورة الموقف الـــذى طرحه منذ بداية تعامله كاتبا مع فن القصة .

د . السعيد الورقى

كتابات جديدة

« الحياة فى خطر » (رواية) لوفية خيرى . من منشورات دار الحرية بالقاهرة ، سلسلة : مختارات الحرية .

« العلاج بالشعر .. وأوراق أخرى » : فصول نقـــدية متنوعة ، للشاعر فاروق شوشة ، دار المعارف بالقاهرة .

« شعراء السبعينات فى مصر » قصائد لسبعة عشر شاعرا . سلسلة كتابات . طبع ماستر .

« الدائرة المحكمة » (ديوان شعر) لفاروق شوشة . الناشر مكتبة مدبولى بالقاهرة .

« تغريبة الفرفور .. بيعة للضوء والماء (ديوان شعر) للشاعر محمد يوسف .

« المقهى الزجاجى والأيام الصعبة » روايتان جديدتان . لمحمد البساطى من سلسلة مطبوعات القاهرة .

« تحت القبة الرمادية الزرقاء » مجموعة قصص ، لأحمد حامد . الناشر دار المأمون بالجيزة .

« حديث شخصى » . مجموعة قصص لبدر الديب . الناشر هيئة الكتاب بالقاهرة .

« الصمت .. الحالات من واحد لخمس » سيناريو مسرحى ، قدم له يحيى الرخاوى ، لعصمت داود ستاشى . من منشورات الماستر يالاسكندرية .

« العزف على الأوتار المرتخية » .. من مطبوعات نادى القصة بالاسكندرية ، طبع ماستر .

« القرين و .. لا احد » قصتان طويلتان .. لســـليمان فياض . الناشر هيئة الكتاب بالقاهرة .

« البير وغطاه » مجموعة قصصية .. لعباس احمـــد . الناشر هيئة الكتاب بالقاهرة .

« غابات الروح » ديوان شعر .. لنـــادر ناشـــد . طباعة ماستر بالقاهرة .

عالم الفنان ممدوح عمّار

مقدمة :

البداية التي حددت مسار الفنان (ممدوح عمار) يمكن اكتشافها في مشروع تخرجه في كلية الفنون الجميلة (قسم التصوير) ، فقد كشف المشروع عن فنان اختار الأسلوب التعبيري ، واختار خامة الزيت ، وتعلق بهما حتى اليوم . قد يخرج أحيانا على الأسلوب التعبيري ، وقد يتمرد أحيانا على الخامة ، الا أن لحنه الأساسي يعاوده أكثر قوة وطغيانا ! ، وتعبيريته تتسم بالمذاق المصرى ، غير المنفصلة ، بطبيعة الحال ، عن الوعي بانجازات الفن التشكيلي ، خاصة الأوروبي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

- ولد عام ١٩٢٨ بقرية بيبان بمحافظة البحيرة .
- تخرج عام ١٩٥٢ (قسم التصوير) في كلية الفنون الجميلة بالقاهرة بتقدير امتياز .
- أمضى عامين بعد التخرج في مرسم الأقصر .
- سافر في بعثة الى الصين عام ١٩٥٧ ، ولمدة عام واحد .
- سافر في بعثة الى فرنسا وايطاليا من عام ١٩٦١ – حتى عام ١٩٦٦ .
- كان وكيلا لكلية الفنون الجميلة بالقاهرة .
- يعمل الآن أستاذا لمادة التصوير بالكلية .

محمود بقشيش

« البداية »

دار مشروع التخرج حول موضوع المجاذيب ، وامتلأت لوحاته بكل أصناف المجاذيب من رجال وسيدات ، وقد أتيح لهذا المشروع العرض في معرض خاص بمشاريع التخرج بنادى المعلمين بالجزيرة ، وقامت لجنة بمناقشة أعمال الفنانين المبتدئين الذين قدموا مذكرات تفسيرية لمشروعاتهم تبين الاتجاهات الفنية التى ينتمون اليها ، وقد

كان مشروع (عمار) هو أبرز المشاريع المقدمة ونال عنه تقدير امتياز ٠

اتسمت لوحاته بالأداء العنيف ، فاللمسات حوشية تنطلق فى أرجاء اللوحة كما لو كانت فى سباق محطمة فى طريقها الواقعية التشريحية للشكل الانسانى ، والوصفية الأكاديمية ، واتخذ من المبالغات الظاهرية للشكل طريقا لتعرية ذلك الجو العبثى للدراويش ٠

لكن على الرغم من أن تلك اللمسات العاصفة قد هدأت الآن ، بل تاهت فى الكتل المعتنى بها ، الا أن عفوية الخطوط الأساسية للوحة ظلت تكشف عن نفسها ٠ الفارق هو أن الفنان فيما مضى كان يبدأ رحلة اللوحة من بدايتها لنهايتها بنفس الدرجة من العفوية ٠ وبالقدر الذى كان ، وما يزال ، يقسو على الشكل الانسانى ، كان يتعامل مع الطبيعة بحنان ، وتبرز هذه الحالة أكثر عندما يتناول مناظر من حى الحسين مثلا ، وفى هذه الحالة يكون أسيرا لسحر العمارة الاسلامية ٠

خرج الفنان من معركة مشروع التخرج فائزا بتقدير امتياز ، كان يريد هذا الاعتراف ، وكان يظن أن هذا كاف ، الا أنه عندما أصبح موظفا بالحكومة أدرك أن الشيء الوحيد المطلوب منه هو التوقيع فى سجل التوقيعات ، والالتزام بالمواعيد

وليس مهما أن يصنع شيئا فى مساحة العمل ، فترك الوظيفة بعد شهر واحد من اللا عمل ، وقرر العمل للفن بالتفرغ له تفرغا كاملا ٠ ومن ثم تعرض للجوع ، ثم التوبة ، والعودة من جديد الى كابوس الوظيفة !

مرسم الأقصر

جاء الانقاذ الحقيقى فى شكل بعثة داخلية بمرسم الأقصر ، وكان هذا النظام يتيح للخريج فرصة التفرغ لانجاز موضوع يختاره ، ويلتزم به له علاقة ما بالبيئة وكان الطالب يحصل على نحو عشرة جنيهات شهريا ! ، ورغم ضآلة المبلغ كان الفنان (ممدوح عمار) سعيدا بتجربة التلاقى مع بيئة تجمع بين ما هو تاريخى وفطرى ، فى آن معا ٠

كان طبيعيا أن لايكون طريقه هو طريق الفنانين التأثيريين ، الذين لا يشغلهم سوى الضوء العابر ، والجو ، حتى اذا صوروا البشر فباعتبارهم لحظات تتلاشى ٠

لم يتوقف أيضا عند سحر العمارة الريفية والعمارة التاريخية فى الأقصر ، ولم يرها بمعزل عن الانسان ٠ واذا كانت حوارى الحسين قد أوحت له بصخب المجاذيب فى الموالد ، فقد أوحت له البيئة الجديدة بصمت المساحات الشاسعة ،وتناقضها الغريب ، الساحر مع ذلك، فقد كان فى مرسمه نافذتان ، نافذة تطل على صحراء جرداء تلتمع تحت وهج الشمس ،والأخرى تطل على حقول شديدة الاخضرار ممتدة ٠

ومن هنا كانت لوحات تلك المرحلة مليئة بالمصادمات بين الغامق والفاتح بين المساحات الممتدة تقطعها صيحة فى شكل بقعة صغيرة تمثل انسانا ، حتى اذا اضطر الى رسم جموع بشرية متصلة ، فانه يفصلها بمساحات واضحة ، وصريحة ، مؤكدا الفراغ الهندسى ٠

الانسان ، فى مرحلة الاقصر ، ضئيل ٠ نقطة تؤكد جلال الطبيعة ٠ ولقد بقيت هذه النغمة فى أعماله بصور مختلفة حتى الآن ، وربما دفعه هذا الى الاحتفال بعنصر ثالث غير الطبيعة ، والانسان ممثلا فى : الخيول العربية الرشيقة ، المعتدة بنفسها ٠ فقد بها عديدا من اللوحات والرسوم ولا يكاد يوجد بين خيوله الجميلة سوى فرس واحد أو اثنين ظهرا متعثرين ، ليعبر عن المثل : لكل حصان كبوة !

على الرغم من أنه قد أمضى عامين فقط فى مرسم الاقصر ، الا أن هذه المرحلة قد تركت أثرها الحاسم على انتاجه ، فظلت تتردد بعض عناصر هذه المرحلة فى لوحاته حتى الآن ، منها : المساحات الممتدة ، ظهور أشكال معمارية فى لوحاته الأخيرة ، هى ذاتها نفس الأشكال التى تعلق بها أثناء المرسم ، وان اختلفت فى الهدف مثل شكل المنابر الموجودة فى الهواء الطلق ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وشكل المهد ، المبنى بطريقة لا تسمح الزواحف السامة بالتسلل الى الاطفال .

مرحلة السيرك :

ليس في سيرك (ممدوح عمار) غير الحزن ، حتى اذا أضحكنا فهى ضحكة مرة ، تدفعنا للأسى . ليس فقط على كائنات السيرك الانسانية المهرج (بعزق) ، أو الراقصة الحامل ، بل تمتد لتملأنا حزنا على الانسان فى كل مكان . ان أهم عملين فى تلك المرحلة هما العملان المشار اليهما .

تمثل اللوحة الأولى راقصة عملاقة ، حاملا ، تتوسط اللوحة .

تستقطب وجوه المشاهدين الخالية من التفاصيل الوجوه .. مجرد دوائر تشكل فى مجموعها طلقات موجهة أهدف .والهدف هنا هو جسد الراقصة ، وهو يمنح المتفرجين أردافا سخية لا نراها ، ويواجهنا بما هو أخطر .

أما لوحة (المهرج) فتضعنا أمام مفارقة أخرى ، أو لازمة من لزومياته ، تتمثل فى تأكيد جلال ، وعظمة ، وقوة المكان على حساب الانسان الضئيل . فالشكل المعمارى للسيرك ، والمقاعد الخالية تماما التى تحيط به فى حلقات من كل جانب ، وظهور المهرج فى قاع المشهد ، تؤكد ما يسعى الفنان لابرازه فى لوحاته الأخرى وهو غربة الانسان ، ومع ذلك ينفلت شىء خاص يفصح عن هوية هذا السيرك ، فسيرك (ممدوح عمار) القاتم ، سيرك مصرى فقير يتميز بدرجة مختلفة من العبث والغرابة عن سيرك (بيكاسو) الوردى .

مرحلة التحصيل :

يعتبر الفنان السنوات التى أمضاها فى بعثات الى الصين الشعبية ، وفرنسا ، وايطاليا ، منعام ١٩٥٧ حتى ١٩٦٦ ، مجرد سنوات للتحصيل نتج عنها كمية هائلة من رسوم للجسد العارى والبورتريه . درس فن الجرافيك فى الصين الشعبية الا أنه لم يعرف فى مصر كحفار ، وقد يرجع هذا الى طبيعته التى تنفر من الوسائط الميكانيكية بينه وبين مسطح اللوحة .

وفى باريس التحق بمرسم الفنان والناقد (أندريه لوت) ، وكان ذلك قبل وفاة الأخير بستة أشهر ، وعندما سألته بماذا أفادك ؟ قال : لا شىء ! ، ولما لمح دهشتى قال : كان يحدثنى عن أشياء لا وجود لها فى اللوحة ، مما أزعجنى، غير أننى اكتشفت أنه فاقد البصر تقريبا ، وأن ما كان يصله من اللوحة كان مجرد ضباب غير محدد المعالم !

انتقل بعد ذلك الى مرسم الفنان (أوجام) ، وهناك تعلم أسلوب الرسوم الحائطية (الافرسك) غير أنه لم ينفذ رسما جداريا حتى الآن فى مصر وحتى عندما أصبح أستاذا بكلية الفنون الجميلة لم يدرس هذه المادة لطلبته . وعلى أية حال فان باريس وروما لم تلهماه بشىء ، كل ما رسمه فى الفترة الباريسية ، الايطالية كمية من لوحات تدور حول موضوع واحد ، هو « عروسة المولد» وقد أقام بها معرضا فى روما ، وكتب أحد النقاد الايطاليين عن ذلك المعرض ، فاستخرج من عرائسه أبعادا ايطالية ، ربما لم تكن واردة عند (ممدوح عمار) الذى رسم عرائسه بدافع الحنين ، على حد تعبيره . قال الناقد :

« لقد اكتشف ممدوح عمار سحرا فى العروسة الحلاوة التى توجد فى كل منزل فى مصر حيث ولد . وقد صورها وأبرزها فى حركات متغيرة : فهن يحملن الجرار مثلا ، وهن صور تذكرنا بعالم كامسلا وتتكون أرضية اللوحة من عناصر زخرفية اجنبية .

لعل الشىء الجوهرى الذى أفاده من تلك البعثات هو ضرورة عمل دراسات مستمرة مع الطبيعة ، وهى عادة تخلص منها للأسف الغالبية الساحقة من فنانينا ، فابتعدوا بها بعد بهم عن منابع الالهام الحقيقية ، وغرقوا أكثر فأكثر فى النماذج الأوروبية المحفوظة فى علب . والنتيجة : معارض تتعامل مع كتب ، لا معارض تتعامل مع الشمس المصرية ، والعمارة المصرية ، والانسان المصرى .

المرحلة الخشبية !!

تحول انسان (ممدوح عمار) الذى حكم عليه بالغربة الى دمية ، لا تفصح عن عمرها ، ولا تتميز بالتعبير ، وجوهها الكروية جامدة الملامح ، بكماء هزيلة الأطراف . وفى هذه المرحلة لا يكفى

الفنان بالايحاء بل انه يسعى الى تثبيت كل هذا عن طريق التجسيد بتأكيد البعد الثالث • عن طريق المقابلات الحادة بين اللون الأسود والفواتح القوية •

ولم يكتف باصدار حكم الاعدام على انسانه المحاصر ، بل تجاوزه الى اعدام الأمل فى الخيول العربية ، المتحدية ، الرشيقة المعتدة بنفسها ، وجمدها فى شكل لعب خشبية لا حول لها ولا قوة !

أصبح الانسان الضائع • والحصان الشامخ مجرد (طبيعة صامتة) فى ركن من أركان الاتيليه ، ملقيا عليها بالاضاءة الصناعية المناسبة التى تسمح له بدراستها دراسة قريبة من الدراسة الأكاديمية ، وحتى يبعد عن الخيول الخشبية شبهة أن تكون موضوعا من موضوعات الطبيعة الصامتة، حاول أن يخلع عليها غرابة سيريالية بوضع بيضة ، أو ستارة الى جوار رأس الحصان، أو يلقى بطائر جريح أو ميت أسفل سيقانه الخشبية • الا أن مخزون الفنان من الدراسات التى كان يجريها على المناظر الطبيعية قد أفادته كثيرا ، وأبرزت قدراته فى بناء (الفورم) والتكوين المحكم •

ومن أنجح أعماله تلك التى لم يصطنع فيها غرابة باضافة عنصر غير متوقع ، وانما انعكست تلك الغرابة من قلب الشكل الواقعى، ومن أبرز اللوحات الدالة على ذلك ، لوحة (الشاطىء المهجور) ، فقد التقطت فرشاته منظرا يمثل أرجوحة للأطفال مهجورة ، على شاطىء مهجور الا من غربان ! انها لوحة تترك فى النفس أثرا مريرا ، تشبه أطلال الشاعر الجاهلى الذى يبكى لحظة على الأحباب الغائبين ، قبل أن يشرع فى انشاء قصيدته •

لوحة (الحرب) ١٩٦٠ :

استغرقت هذه اللوحة من الفنان ممدوح عمار عاما فى التنفيذ ، وتحضير دراسات خاصة بها ، وتبدو للوهلة الأولى لوحة جدارية ، وهى موجودة الآن ، ليس فى متحف من المتاحف ، ولكنها تسد فجوة فى حائط منزل الفنان ، تعانى من التخريب ، والاهمال ، محرومة من الضوء الغامر للوحة العصر (الجورنيكا) للفنان الاسبانى (بابلو بكاسو) •

ولقد بلغت لوحة (بيكاسو) المحظوظة درجة فريدة من التأثير ، بحيث يستحيل أن تتحدث عن لوحة للحرب ،دون أن تفرض (الجورنيكا) نفسها فاللوحة ممتلئة بكل عناصر الدراما : التحدى • السقوط • الادانة • الألم • الأمل • فالفرس يصرخ ألما ، والفارس يسقط على الارض ، ولكنه وهنا البراعة ، ما يزال ممسكا بالسيف ، وبزهور الأمل البرية ، بينما لا يصلنا من لوحة (ممدوح عمار) عبر صوت واحد هو لوعة الهزيمة •

تبدو لوحة (ممدوح عمار) للوهلة الأولى كما لو كانت متناقضة ، أو مختلفة مع أعماله الأخرى الا أن المتلقى يستطيع أن يكتشف أنها تسير فى نفس الطريق•طريق التأكيد على غربة الانسان فى العالم ، وان كان الصوت فى هذه اللوحة أكثر ارتفاعا • فألوانه عموما تتسم بالوقار بينما ينتشر الأحمر الصريح بدرجاته • فى مسطح لوحة الحرب ، وتتكدس الكتل البشرية ، وتتدافع فى طابورين عظيمين، مقبلة من الأطلال ، منكفئة الى داخل اللوحة • رجال ونساء عرايا ، يجمعهم تعبير واحد هو الرعب ،ويقين واحد هو : النهاية التى لا مفر منها •

لا أمل ، لا مقاومة ، بل استسلام كامل للفناء

ان عددا قليلا من الفنانين المصريين هم الذين استجابوا لموضوع الحرب ، بينما فضل كثيرون التعبير عن السلام على طريقة هيئة الاستعلامات، فامتلأت المعارض والميادين بكل أنواع الحمام فى فترة من أحلك الفترات !

ان الفنان (ممدوح عمار) من أكثر فنانى مصر تعففا ، ونفورا من الأضواء ، وحرصا على الصلاة فى محراب الفن •

قال لى :

« تكفينى مساحة بيضاء ارسم فيها ، واوقع عليها ، والتوقيع بالنسبة لى يعنى اننى اعلن اننى اشهد ، وانا بكامل قواى العقلية ، وكل صدق، واخلاص ، بانى بذلت أقصى جهدى فى التعبير عن انفعالاتى فى هذه اللوحة •

وانا بدورى اشهد :

« ان كل اللوحات التى تحدثت عنها ، صراحة أو ضمنا ، كانت موقعة من الفنان »

القاهرة : محمود بقشيش

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

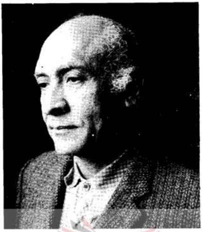

عالم الفنان ممدوح عمار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

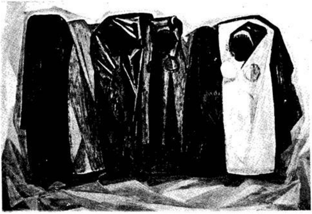

○ نساء الأقصر - ١١٦ × ٨١ سم - الوان زيت على خشب - ١٩٦٠

○ أول تعرف على الألم - ١٠٠ × ٨١ سم - الوان زيت على توال - ١٩٧٥

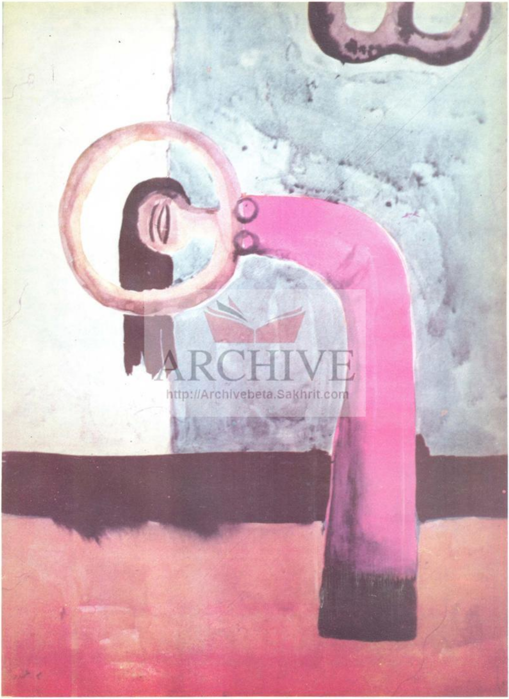

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ العروسة ـ باريس ـ ١٩٦٢

٥ المهرج بعزق - ٤١ × ٣٤ سم - الوان شمع - ١٩٥٧

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

o «تفصيل» وجه ـ ١٠٠ × ٨٠ سم ـ زيت على توال ـ ١٩٧٥

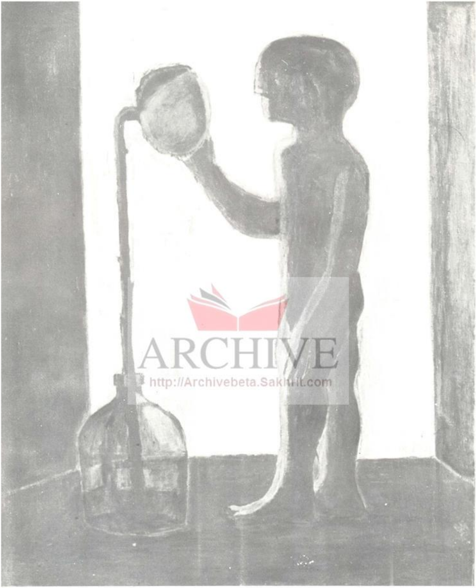

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٥ رجل وعباد الشمس وفراغ ـ ١٠٠ × ٨١ سم ـ زيت على توال ـ ١٩٧١
(من مقتنيات متحف كلية الفنون الجميلة ـ القاهرة)

○ عازف القانون الأعمى – ٣٨ × ٥٤ سم – حبر صيني وألوان مائية وشمع – ١٩٥٧

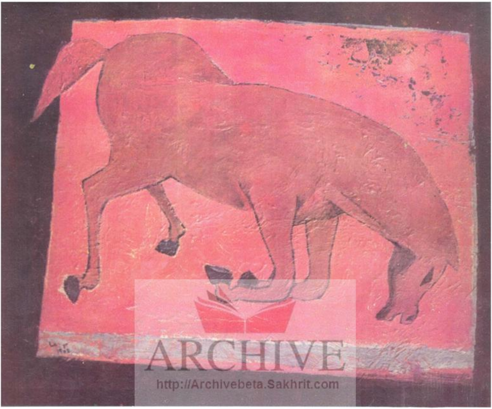
ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

▲
• كبوة حصان ـ ٥٠ × ٦٠ سم
زيت على توال ـ ١٩٥٩

• العـــروســة ـ جواش ◄
بـــاريس ـ ١٩٦٣

• خيول ـ ٦٦ × ٥٢ سم ـ زيت على توال ـ ١٩٥٩

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ — ١٩٨٣

حافظى على رشاقتك
بتنظيم اسرتك

اسرة المستقبل
توفر لك
امان

اقراص موضعية للسيدات
بجميع الصيدليات

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أول تعرف على الألم ـ ممدوح